نموذج ترخيص

أنا الطالب : نايف مناور خلف العنزي أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

المكان في الشعر السعودي الحديث في العقدين الأخيرين

١٩٩٠م/١٤١١هـ - ٢٠١٠م/١٤٣١هـ

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: نايف مناور خلف العنزي

التوقيع:

التاريخ: ٢٠١٥/١/٥

المكان في الشعر السعودي الحديث في العقدين الأخيرين

(1990 م /1411هـ - 2010م/ 1431هـ)

إعداد

نايف مناور خلف العنزي

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد أحمد القضاة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة (الماجستير) في اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية



كانون أول، 2014

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة: المكان في الشعر السعودي الحديث في العقدين الأخيرين، (1990م/1411هـ - 2010م /1431هـ). وأجيزت بتاريخ 2014/12/18

أعضاء اللجنة المناقشة:		التوقيع
الأستاذ الدكتور محمد أحمد القضاة	مشرفاً	....
أستاذ: أدب ونقد حديث		
الأستاذ الدكتور محمد حسن عواد	عضواً	....
أستاذ: لغة ونحو		
الأستاذ الدكتور إبراهيم الكوفحي	عضواً	....
أستاذ: أدب ونقد حديث		
الأستاذ الدكتور محمد المجالي	عضواً	....
أستاذ: أدب حديث / جامعة الزيتونة		

الإهداء

إلى اللذين قضى ربّي أن أحسنَ إليهما، وأمرني - سبحانه - أن أخفضَ لهما جناح الذلّ من الرّحمة؛ إذ ربّياني صغيرًا، وإلى إخواني وأخواتي الذين لهم محلّ السويداء في قلبي، وإلى زوجتي وأولادي، قرّة عيني، وخيط حبّي الممتدّ إلى ما لا نهاية؛ إليهم جميعًا أهدي ثمرة هذا الجهد العلمي، الذي أسأل الله – عزّ وجلّ - عليه الأجرَ والثوابَ.

الباحث

الشكر

لما قال صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"، فإنه ينبغي لي تقديم الشكر إلى أهله؛ لذا أشكر خاصّة أستاذي الدكتور محمّد أحمد القضاة على رعايته لي في أثناء إعدادي هذه الدراسة، التي كان لكاتبها شرف التتلمذ عليه، مؤكدًا في هذا السياق أنه لم يبخل عليّ بوقته وجهده، ولم يقصّر لحظة في إرشادي إلى جادّة الصواب، وفي توجيهي إلى ما ينفعني، ثمّ إنّ الشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور محمد حسن عواد، والأستاذ الدكتور إبراهيم الكوفحي، والأستاذ الدكتور محمد المجالي، الذين قبلوا الانضمام إلى مجلس العلم هذا. أمّا موظفو مكتبة الجامعة الأردنيّة، فلهم منّي كثير الاحترام وعظيم التقدير على تعاونهم اللافت كما لموظفي الجامعة كافة القدر نفسه من هذا الاحترام وذلك التقدير. ومجمل القول: إنني أشكر كلّ الذين اسهموا في إنجاز هذه الدراسة، سواء أعلى نحوٍ مباشر كان هذا الإسهام أم غير مباشر.

فهرس المحتويات

المكان في الشعر السعودي الحديث في العقدين الأخيرين

1990 م /1411هـ - 2010م/ 1431هـ

إعداد

نايف بن مناور خلف العنزي

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد أحمد القضاة

الملخـــــص

تتناول الدراسة موضوع المكان في الشعر السعودي الحديث من عام 1990م/1411هـ - 2010م / 1431هـ، وتبين نظرة الشاعر السعودي إلى المكان الذي يعيش فيه؛ وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح المقصود بالمكان لغة واصطلاحاً وبيان الأبعاد النفسية والاجتماعية لهذا المكان، وتهدف إلى تسليط الضوء على أهم الدلالات الاجتماعية والسياسية والنفسية والدينية للمكان في الشعر السعودي الحديث. وقد احتذت الدراسة خطى المنهج الوصفي التحليلي؛ وخلصت الدراسة إلى أن المكان يحمل أبعادًا اجتماعية تربط الأديب عمومًا والشاعر خصوصًا بتلك النواحي الاجتماعية التي ترتبط بذلك المكان، وكما يحمل المكان مجموعة من الأبعاد الاجتماعية فإنه يحمل أيضًا مجموعة من الأبعاد النفسية، ويرى الباحث أن تلك الأبعاد النفسية أكثر ظهورًا في شعر الشعراء؛ وذلك نتيجة لارتباط الجوانب النفسية بأشكال العاطفة المختلفة، ومن هنا فإن أكثر الملامح الشعرية ناشئة من هذه الجوانب النفسية العاطفية، وإن أكثر الأبعاد النفسية التي تظهر في شعر الشعراء حين يتحدثون عن المكان تتمثل في الشوق والحنين والود، خاصة إذا كان الحديث عن المحبوب أو الوطن، فإن المكان يحمل أثرًا عظيمًا في نفس الشاعر إذا ارتبط بهذه الأبعاد. وقد ارتكز الشاعر السعودي في وصفه للمكان الديني في حياته التي يعيشها ضمن أمكنته الدينية المقدسة على جوانب مكونات ذلك المكان، وقيمته التاريخية، وربط هذا كله بمشاعر القداسة والإيمان والرحمة، كما ركّز الشاعر في حديثه عن وصف المكان على قضايا مبعث رسالة الإسلام السمحة، وانطلاق الدعوة الإسلامية من هذا المكان، وبيان أن هذه البقاع الطاهرة تمثل مهبط الوحي، ومرقد الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – كما ارتبط المكان السعودي عند الشعراء بالنواحي السياسية المتعلقة بجوانب الفخر والتغني بأمجاد الوطن، ومن أبرز جوانب الحديث عن القضايا السياسية ما يتمثل في الحديث عن أمجاد الوطن وبطولاته وشجاعة أبنائه، واقتدار جيشه، وبيان تلك الأعياد الوطنية التي من شأنها أن تكون سبيلاً للفخر والابتهاج لدى أهالي هذا الوطن، وقد تفنن الشاعر السعودي في صياغة الصورة الشعرية التي ارتبطت بالمكان، فاستخدم كثيرًا من الآليات الفنية التي منحت نصه الشعري مزيدًا من الجمال والإتقان الفني.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبعدُ.

فقد أخذت الدراسات الأدبية في عصرنا الحاضر مكانها الواسع، وصار لها ارتباطها الوثيق بالحياة؛ إذ أصبحت الدراسة الأدبية ذات دلالات اجتماعية، وسياسية، ودينية ووطنية وغيرها، وهذا بفضل الانفتاح العلمي الواسع، والاطلاع على ما أنتجته الأمم الأخرى من أدب، مما فتح الباب على مصراعيه للأدباء من جهة في التفنن بأشكال أدبهم المختلفة، ومن ناحية أخرى للباحثين والدارسين الذين وجدوا في هذه الأعمال الأدبية ضالتهم البحثية، واستطاعوا بسط رؤاهم النقدية على تلك النصوص الأدبية التي لا شك في أنه كان لها الدور الواضح في الوصول إلى الفكر النقدي السليم تجاه قضايا العصر الحاضر وإشكالياته الفنية والدلالية.

ومن هنا، فقد جاءت هذه الدراسة لتتناول موضوع المكان في الشعر السعودي، ولتبين نظرة الشاعر السعودي إلى المكان الذي يعيش فيه من جهة، والمحيط به من جهة أخرى؛ لذا فإن أهمية هذه الدراسة تكمن في أنها تحاول أن تكشف القناع عن تلك المواقف الشعرية تجاه المكان السعودي من وجهة نظر الشعراء السعوديين، وبيان تلك الدلالات المرتبطة بذلك المكان، وطبيعة النظرة العامة التي ينظرها الشاعر السعودي إلى المكان من حوله:

أسئلة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة لتجيب عن الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم المكان وما أبعاده الاجتماعية والنفسية؟
- كيف ظهر المكان في الشعر السعودي بوصفه مدينة أو قرية أو ريفًا أو صحراء؟
- ما الدلالات التي اشتملت عليها قصائد المكان في الشعر السعودي؟

هدف الدراسة:

وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح المقصود بالمكان لغة واصطلاحاً، وبيان تلك الأبعاد النفسية والاجتماعية لهذا المكان، كما تهدف إلى توضيح تلك الطبيعة المكانية التي ظهرت بها المدينة والقرية والصحراء في الشعر السعودي الحديث، إضافة إلى ذلك فإنها تهدف إلى تسليط الضوء على أهم الدلالات الاجتماعية والسياسية والنفسية والدينية للمكان في الشعر السعودي فضلاً عن صياغة صورة عامة لتلك السمات الفنية التي اتسم بها شعر المكان السعودي.

منهج الدراسة:

انطلاقاً من فكرة هذه الدراسة، وبناء على طبيعتها التحليلية الاستقرائية فإنها قد احتذت خطى المنهج الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة:

لم تقع عين الباحث على دراسة مستقلة تناولت الحديث عن المكان السعودي عمومًا، وإنما عثر على مجموعة من الدراسات تناولت بعضًا من أنماط المكان السعودي، كالحديث عن مكة والمدينة المنورة، وهي:

- الجهني، سليمان سالم، **صورة المدينة المنورة في الشعر السعودي الحديث من عام 1320-1420هـ (دراسة في شاعرية المكان)**، رسالة ماجستير غير مطبوعة، كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، وهي دراسة تتناول صورة المدينة المنورة في الشعر السعودي الحديث بين عامي 1320 – 1420هـ وتتعرّف مدى اهتمام الشعراء بجماليات المكان في قصائدهم التي تناولت المدينة المنورة، حيث الأصالة والتاريخ.
- الدبيسي، محمد. **جماليات المكان في الأدب السعودي. ... المدينة المنورة أنموذجًا**. علامات في النقد الأدبي - النادي الأدبي الثقافي بجدة - السعودية، مج 11، ع 44 (2002)، ص 273 – 304، العمري، زهير بن حسن; القضاة، محمد أحمد. **مكة المكرمة والمدينة المنورة في الشعر السعودي الحديث (1326/1343هـ-2005/1924م)**، العلوم الإنسانية والاجتماعية – الأردن، مج 35، ع 3، (2008)، ص ص 481 – 506وتتحدث هذه الدراسة عن مكة المكرمة والمدينة المنورة؛ فهما أقدس المعالم الإسلامية على وجه الأرض، وأول بيت وضع للناس كان في مكة. أما المدينة فكانت مقصد الرسول الكريم حين هاجر، وهو إلى اليوم نزيلها وساكنها. ونظرًا للمكانة الدينية والتاريخية لمكة والمدينة، فقد حظيتا باهتمام الأدباء والباحثين

والمؤرخين، ومنهم السعوديون الذين دبجوا أروع النظم وأجمله في وصف هذين المكانين، والتغني بجمالهما وأهميتهما.

- القرني، منصور بن فازع (2005)، **أبها في الشعر السعودي المعاصر (دراسة موضوعية فنية)** رسالة ماجستير غير مطبوعة، كلية اللغة العربية و آدابها، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، تناولت هذه الدراسة نموذجًا مكانيًا تعددت عوامل حضوره المكاني والزمني، لتعدد معها فواعل حضوره الشعري، وهو (أبها المدينة والطبيعة)؛ حيث عنيت أولا برصد العلاقة بين الّشعر والمكان، ثم اتجهت إلى استظهار صورة (أبها) الموضوع الشعري لنصوص الدراسة في جوانب مختلفة.

- المحسني ـ عبدالرحمن بن حسن. **تجليات المكان في شعر إبراهيم طالع الألمعي**.مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة - مصر،ع 60، (2011)، ص ص 867 – 908، وتبحث هذه الدراسة في تجليات المكان في شعر إبراهيم طالع الألمعي، إذ شغلت ظاهرة المكان حيزًا كبيرًا في نسيج نصه الشعري؛ حيث يتحدث الشاعر عن المكان من عدة أوجه على النحو الآتي:

  - المكان الإنساني: حيث يعرض الشاعر لقضايا عامة في إطار المكان الإسلامي والإنساني العام.
  - المكان العربي: ويركز الشاعر فيه على الأمكنة التي تشكّل مركزًا للقضايا العربية ومنها: (فلسطين والعراق).

المكان الوطن: طاف الشاعر في هذا المبحث أرجاء وطنه، وبرز المكان في نصه الشعري بصورة أكثر حميمية وعمقًا وجدانيًا من خلال عدة أمكنة أوردها في نصه، مثل (الرياض ومكة وعسير).

من هنا، فقد قسم الباحث دراسته إلى ما يأتي:

الفصل الأول: وتناول فيه الحديث عن مفهوم المكان لغة واصطلاحًا، والحديث عن الدلالات النفسية والاجتماعية لهذا المكان.

الفصل الثاني: وتناول فيه الحديث عن أنواع المكان في الشعر السعودي الحديث؛ إذ تحدث فيه عن المدينة، وعن القرية والريف، وعن الصحراء.

الفصل الثالث: وتناول فيه الحديث عن دلالات المكان في الشعر السعودي الحديث، وهي الدلالات الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والنفسية.

الفصل الرابع: وتناولت فيه نماج مختارة من بعض الشعراء السعوديين المعاصرين.

الخاتمة: واشتملت على أهم النتائج التي توصل الباحث، يتلو هذا كله ثبت بمراجع هذه الدراسة ومصادرها.

ولا بد أن يكون لهذه الدراسة حدود تعتمد عليها، ففيما يتعلق بالحد الزماني، فإن هذه الدراسة تتناول الشعر السعودي الحديث منذ عام 1990 م /1411هـ - إلى عام 2010م/ 1431هـوالسبب في اختيار هذه الفترة هو إنها لم تتطرق لها الدراسات الأدبية – فيما أعلم، أما فيما يتعلق بالحد المكاني، فيتمثل في المملكة العربية السعودية، وأما الحد البشري، فيتمثل في شعراء المملكة العربية السعودية المعاصرين، وأما الحد الأدبي، فيتمثل في نماذج مختارة من أشعار هؤلاء الشعراء.

ولقد واجهت الباحث مجموعة من الصعوبات التي أعاقت مسيرة البحث العلمي على وجهها السليم، وتمثلت هذه الصعوبات فيما يأتي:

- غزارة المادة الشعرية وكثرتها، مما أعاق عملية الوصول الأعمق إلى تلك النصوص التي تناولت المكان السعودي.
- صعوبة الحصول على بعض الدواوين لبعض الشعراء و صعوبة التواصل معهم.
- عدم الوضوح في بعض النماذج الشعرية؛ إذ يتحدث الشاعر عن مكان، غير أن الباحث لم يكن قادرًا على تحديد شخصية هذا المكان، أسعودي هو؟ أم غير ذلك؟
- صعوبات تتعلق بالتنقل والعمل والظروف الاجتماعية والأسرية التي أحاطت بالباحث.

وأخيرًا، فإني أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكتب فيه النفع والبركة لطلبة العلم، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

مفهوم المكان وأبعاده الاجتماعية والنفسية

مفهوم المكان وأبعاده الاجتماعية والنفسية

يختلف المكان من بيئة إلى أخرى، كما تختلف نظرة الشاعر أو الفنان لذلك المكان بحسب قيمته النفسية والاجتماعية والثقافية والعاطفية؛ فالشاعر ينظر إلى المدينة برؤية مختلفة عن نظرته إلى الريف مثلاً، وينظر إلى الصحراء رؤية مختلفة عن تلك التي ينظرها إلى القرية وهكذا؛ أي أن المكان يختلف بشكله وهيئته الظاهرة، كما يختلف بقيمته الداخلية.

إن قيمة المكان التي تظهر في روح الفنان تنبع من طبيعة ارتباط الإنسان بالمكان عموماً منذ نعومة أظفاره، فالإنسان يُولد في ذلك المكان، ثم مع مرور الزمن تولد معه علاقة طبيعية فطرية تربطه بذلك المكان، وتدفعه روحيًا إلى الانجذاب إليه، ومع مرور الأيام والسنوات تأخذ تلك الروابط بين الإنسان والمكان بالتوثق في روح ذلك الإنسان، إلى أن تتجذر تلك الروابط وتشكل في نفسه علاقة روحية وثيقة بينه وبين تلك الأحداث التي جرت في تلك الأمكنة، وبين الأمكنة نفسها، وتبقى تلك الروابط بين المكان والإنسان ماثلة في حياته كلما انتقل من مكان إلى آخر، حتى يؤول به الأمر إلى المكان الأخير في مسيرته الحياتية ألا وهو القبر[(1)].

وإذا كان كل إنسان يتمتع بتلك الروابط الوثيقة بينه وبين المكان الذي يعيش فيه، ويبقى ذلك المكان ماثلاً في روحه، فإن الفنان أيًّا كان فنّه أكثر ارتباطًا بالمكان؛ ذلك أنه يمتاز بحسه المرهف ونظرته الفنية إلى تلك الأمكنة التي يعيش فيها، من هنا فإن علاقة المكان بالفنان أو الشاعر تعدّ أكثر عمقًا من أي إنسان آخر.

والإنسان ضمن أطوار حياته المتوالية في الأزمنة الغابرة مدرك لأهمية هذا المكان وعارف لقيمته، غير أن الإنسان البدائي الذي أدرك تلك القيمة الكبيرة للمكان لم يكن ينظر إليه إلا نظرة حسية بحتة، لا تتعدّى الجوانب الحسية المعيشية التي تتكرر معه في كل يوم، فالإنسان البدائي بإدراكه البدائي استطاع أن يفهم قيمة المكان، ويرى فيه مكانة حسية كبيرة في ديمومة حياته[(2)].

ولسائل أن يسأل: كيف يكتسب المكان تلك القيمة المعنوية والحسية؟ وكيف يمكن لتلك الروابط الروحية الوثيقة أن تُولد بين الإنسان والمكان؟ وهذا سؤال فطريّ قد يلوح في ذهن أي متلقٍّ لهذه الأفكار التي تدلّ على قيمة المكان، ولكي يفهم الإنسان قيمة المكان فإن عليه أن يفهم

(1) إبراهيم، نبيلة: خصوصية التشكيل الجمالي للمكان في أدب طه حسين، مجلة فصول، المجلد التاسع، العددان الأول والثاني، 1990م، ص: 49.

(2) العبيدي، حسن: نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد - العراق، الطبعة الأولى، 1987م، ص: 17 - 18.

طبيعة علاقته بالمكان، فالإنسان يسكن المكان ويعيش فيه، ويستعمله يوميًا، وهذا الاستعمال يمنح المكان قيمة وأهمية كبيرة، مما يزيد في توثيق الرابطة العلائقية بينه وبين الإنسان المستعمِل له، فالحركة اليومية التي تجري داخل أقطاب ذلك المكان تؤدي إلى إكسابه ـ أي المكان ـ مزيدًا من القيمة والأهمية في روح الإنسان(3).

ولا تُستغرَب تلك العلاقة الوثيقة بين الإنسان والمكان، وذلك أن الإنسان يرتبط بالمكان ارتباطًا روحيًا وثيقًا، فلولا وجود المكان لما وُجِد الإنسان أصلاً، فالمكان هو الذي يحتوي الإنسان، وهو الذي يحيط به، وللمكان دوره الكبير في تشكيل فكره وتكوين ثقافته؛ إذ هو بيت الطمأنينة والراحة والألفة من ناحية، وهو أيضًا من ناحية أخرى بيت الوحشة والتيه والضياع والاغتراب، فمن المكان تأتي مفاجئات الفرح والانتصار والغلبة، ومنه أيضًا تأتي مظاهر الحزن واليأس والتشتت والضياع والحرمان(4).

والمكان هو المُشكِّل الرئيس للبيئة من حولنا، وكما نعلم فإن للبيئة دورها الكبير في تشكيل شخصية الإنسان، والتأثير في عواطفه وانفعالاته النفسية، والفنان جزء لا يتجزأ من تلك البيئة المكانية التي يعيش فيها، فهو يتأثر أيًّا كان فنه بتلك البيئة، ويتعالق مع ذلك المكان الحيويّ فتتكون مجموعة من الروابط العاطفية والنفسية بين روح الفنان وذلك المكان وتلك البيئة(5).

بناء على كل ما سبق يتّضح لنا أن للمكان أهمية كبيرة في حياة الإنسان، كما أن له دورًا كبيرًا في تشكيل نفسيته، وتكوين شخصيته؛ ذلك أن هناك مجموعة من الروابط النفسية والعاطفية التي تربط الإنسان بالمكان الذي يعيش فيه، سواء في مرحلة الطفولة، أم في مرحلة الشباب، أم في مرحلة الكهولة والشيخوخة. وعليه، فإن جميع مراحل حياة الإنسان ذات ارتباط وثيق بالمكان والفنان أديبًا كان أم شاعرًا أم كاتبًا أم رسامًا أم غير ذلك إنسان يعيش في ذلك المكان، وتتعلق تلك الروابط جميعًا في شخصيته، كما تتعلق في شخصية غيره، إلا أن الفنان أكثر تعلقًا بالمكان لما يمتلكه من روح فنية لطيفة قد لا يمتلكها سواه من الناس.

---

(3) انظر: العضايلة، محمد إبراهيم ورّاد: المكان الأردني دراسة في الشعر الأردني المعاصر، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، بإشراف: الدكتور: محمد المجالي، الكرك ـ الأردن، 2003م، ص: 11.

(4) اعلاوي، نزيه محمد، والسواعير، علي عودة: صورة المكان في مقامات بديع الزمان الهمذاني، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، العدد التاسع، العدد الثاني، 2013م، ص: 34.

(5) انظر: الزهراني، يحيى أحمد: الصحراء في الشعر العربي السعودي، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، إشراف: الدكتور: أحمد بن صالح الطامي، 1425هـ، ص: 8.

ولما كان الأدب جزءًا من شخصية الإنسان الفنان، فلا بدّ لهذا الأدب من التأثر بذلك المكان، ولا بدّ له من الاصطباغ بتلك الروابط العلائقية التي تربط الإنسان بالمكان، فالمكان هو الحيّز الذي يقع فيه الأدب، كما أنّه لا وجود للأدب لو لم يوجد المكان، وبذا فإن المكان هو الذي يمنح الأدب واقعيته[6].

ولما كان المكان متنوعًا ومختلفًا بأنواع وأشكال وهيئات متعددة كان من الضروري أن ينظر الباحث إلى ذلك المكان في الشعر السعودي وفقًا لطبيعة المكان المُتحدَّث عنه، فقد يتحدث الشاعر عن المدينة، وقد يتحدث عن الريف والقرية، وقد يتحدث عن الصحراء بوصفها مكانًا مهمًا ورئيسًا تتكوّن منه الجزيرة العربية عمومًا والمملكة العربية السعودية خصوصًا.

ولا بد للباحث قبل أن يشرع في الحديث عن المكان في الشعر السعودي المعاصر أن يقدم مجموعة من المفاهيم والمصطلحات التي لها دورها المهمّ والبارز في سقل المعلومة لدى القارئ كما أن لهذه المفاهيم والمصطلحات دورًا مهمًا في تمثل أفكار الدراسة على الوجه الصحيح، وذلك من خلال بيان مفهوم المكان في اللغة والاصطلاح، وبيان بعض الأبعاد التي ترتبط بهذا المكان كالبعد الاجتماعي، والبعد النفسي.

أ. مفهوم المكان لغويًّا و فنيًّا:

المكان لغويًّا:

حين نبحث في المعاجم اللغوية فإننا لا نجدها تختلف كثيرًا في الحديث عن المكان، فمكان الإنسان وغيره من الكائنات يُجمع على أمكنة، ويقال: لفلان مكانة عند السلطان، أي منزلة[7].

والمكان والمكانة الموضع، ثم إن المكان كان أكثر ارتباطاً بهذا المعنى من لفظ "المكانة" فصار هو الدال عليه، ويقال: تمكن فلان، إذا استمكن من المكان، كقولنا: تمسكن فلان، أي تظاهر بالمسكنة[8].

أما معنى المكان عند ابن منظور فهو لا يختلف عن سابقيه، فقد أشار إلى أن المكان هو الموضع وجمعه على أمكنة، وأماكن، والميم فيه قد تكون أصلية، وقد تكون متوهمة، والأصل فيه: "كنّ"[9].

---

(6) اعلاوي: صورة المكان في مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص: 34.

(7) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1987م، ج: 2، ص: 983.

(8) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، 1407هـ، 1987م، ج: 6، ص: 2191.

(9) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي المصري الإفريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، 1414هـ، ج: 13، ص: 365.

إذن، فمعنى المكان في اللغة الموضع، ويقال تمكن فلان من الشيء، إذا استحكم منه، كما يقال لفلان مكانة، أي منزلة، وهذا الموضع لا بد له من حالّ يحل به، وإلا كيف يمكن أن يسمى مكانًا وهذا الحلول في المكان هو الذي يولّد العلاقات بين الإنسان والمكان؛ إذ تصبح الأمكنة ذات علاقة نفسية اجتماعية مع هذا الإنسان نابعة من تلك الأحداث التي حصلت في ذلك المكان على الأرجح.

المكان فنيًّا:

تتعدد وجهات النظر في تعريف المكان وتحديد مفهومه بالضبط، ويمكن للباحث أن يقول إنه لا يمكن الوصول إلى مفهوم واضح ودقيق للمكان؛ فتعريف الفلاسفة يختلف عن تعريف الأدباء، وهذان يختلفان عن مفهوم المكان عند أهل اللغة، وهكذا، فإن لكل طائفة مفهومها الخاص للمكان، فمفهوم المكان عند أهل اللغة يعني ذلك الحيز الذي يمكن أن يُشغل بشاغل، مثل موضع قعود الإنسان من الأرض، أما مفهوم المكان عند المتكلمين فهو بعد موهوم يشغله الجسم بنفوذه فيه، وهذا المفهوم هو مفهوم أفلاطون للمكان، أما أرسطو طاليس فقد عبر عن مفهوم المكان بأنه السطح، في حين أن بعض الفلاسفة عرّف المكان بقوله: هو الخلاء والحيز والفراغ المتوهم الذي يمكن أن يشغله جسم ممتد أم غير ممتد كجوهر الفرد، فالمكان أخص من الحيز، والحيز مطلب المتحرك للحصول فيه، وعمومًا فإن المكان عند الحكماء محقق يمكن الحصول فيه، في حين أن الزمان ليس محققًا ولا يمكن الحصول فيه[10].

لقد تبين لنا من خلال كلام الكفوي السابق أن أمر تحديد مفهوم المكان ليس بالأمر السهل فثمة آراء مختلفة في تحديد طبيعة هذا المفهوم، فمن ناظر إليه على أساس أنه موضع يُشغل بواسطة الإنسان، إلى ناظر إليه من حيث إنه بُعد موهوم يمكن شغله، وهكذا، وهذا التعدد في بيان مفهوم المكان ليس أمرًا غريبًا في مثل هذه الحالة، وذلك أن مثل هذه المصطلحات التي تُطلق في حياتنا اليومية ولا نلقي لها بالاً قد لا يعي الإنسان معناها تمامًا، فكل واحد منا يفهم تمامًا المقصود بالمكان، غير أنه ليس من السهولة علينا أن نحدد أبعاد هذا المكان، أو أن نحدد طبيعته، أو حتى مفهومه، فإن ما يُفهَم طبْعًا قد لا يمكن التعبير عنه تعبيرًا دقيقًا ناتجًا عن فهم دقيق واضح للمعنى.

وهذا المكان لا يمكن أن نتحدث عنه بصرف النظر عن طبيعة الشعور النفسي الداخلي للفرد تجاهه، فهو يولد الحس بالمواطنة، والمكان هو الوطن الذي يعيش فيه الفرد، كما أنه يولّد في نفس

---

(10) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، د.ت، ص: 826.

الإنسان الإحساس بالزمن، فليس من الممكن أن ينظر المرء إلى المكان بمعزل عن الزمان فهو كيان لا يمكن لشيء أن يحدث بدونه، فهو تاريخ البلاد، ومطامح النفوس، وقد يكون هذا المكان حقيقيًا واقعيًا، وقد يكون رمزًا وهمياً يحمله الأديب بعض مشاعره، ويلقي عليه أفكاره التي يريد أن يبثها في نفس المتلقي، ولا يفترق المكان في دلالته على هذه الأشياء كلها باختلاف طبيعته أو هيئته؛ فالمدينة، والقرية، والصحراء، والأماكن المهجورة، والأخرى المأهولة بالسكان كلها أمكنة لها حضورها المهم في أدبيات الأديب عمومًا[11].

وبذا، فالمكان ليس مجرد موضع ميت دون حياة أو روح، بل هو في عرف أهل الأدب مجموعة من العلاقات التي تربط الإنسان به، وهو أيضًا مجموعة من الأحداث الاجتماعية أو النفسية، أو الثقافية، أو غيرها تمنح الفرد مزيداً من الارتباط بهذا المكان، وتعطيه حضورًا أوسع في نفسه فهو مرتبط بالإنسان لا من حيث كونه مكانًا فحسب، بل هو مرتبط به من حيث العلاقات المتينة التي تربط هذا الإنسان بذلك المكان.

وينظر جاستون باشلار إلى مفهوم المكان من حيث طبيعة هذه العلاقة التي تربط الإنسان بذلك المكان، كالعلاقة الأليفة التي تكون سبيلاً لربط الإنسان ببيته مثلاً، فإن البيت يمثل شكلاً من أشكال المكان الأليفة لدى الإنسان[12]، وبالطبع فكما أن هناك أمكنة أليفة يصبو إليها الإنسان، ويحاول تذكرها دائمًا فإن هناك أمكنة أخرى ليست أليفة، يسعى الإنسان دائمًا إلى إبعادها عن مخيّلته والتخلص من طبيعتها التي تؤثر في نفسه تأثيرًا سلبيًا عميقًا.

أما إذا حاولنا أن ننظر إلى مفهوم المكان من وجهة نظر أدبية روائية بحتة، فإنه يمثل شبكة من العلاقات والرؤى ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها بعضًا وذلك من أجل تشييد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه أحداث تلك الرواية[13].

وكما تكون علاقة الإنسان بالمكان علاقة ودية حميمة، فإنها قد تكون على النقيض تماماً فتكون علاقة مريرة، ملؤها الشعور بالاغتراب، فليس الاغتراب مقصورًا على مغادرة المكان حَسْبُ بل إن هناك أسبابًا أخرى قد تُشعِر الإنسان بالاغتراب حتى وهو في عقر داره، وبين

(11) ينظر: النصير، ياسين: الرواية والمكان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ـ العراق، الطبعة الأولى 1980م، ص: 5.
(12) باشلار، جاستون: جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، دار الحرية للطباعة، بغداد ـ العراق، الطبعة الأولى، 1980م، ص: 54.
(13) بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1990م ص: 32.

مجتمعه الذي يعيش فيه، خاصة ما يكون منها مرتبطًا بالنواحي الاجتماعية، والجوانب الحياتية كالشعور بالوحدة، وعدم الرضا عن بعض العادات الاجتماعية، والسخط على الوظيفة التي يمارسها ذلك الإنسان، والإحساس القوي بالضعف أو عدم الثقة بالنفس، إلى غير ذلك من الأسباب التي قد تؤدي بالإنسان إلى الشعور بالغربة حتى وهو في موطنه وبلده الأم الذي يعيش فيه[14].

إذن، فمفهوم المكان من الناحية النفسية يرتبط بجانبين، هما:

الجانب الأول: هو المكان الأليف، أو المكان الذي ينظر إليه الإنسان نظرة محبة، ويرتبط معه بعلاقات ودية حميمة.

الجانب الثاني: هو ذلك المكان الذي يشعر فيه الإنسان بالغربة والاغتراب، وقد تكون هذه الغربة حقيقية مادية ماثلة في اغتراب ذلك الإنسان عن وطنه أو بلده، أو قريته، أو ربما تكون تلك غربة معنوية، متمثلة بشعور الإنسان ببعض الجوانب الاغترابية في وطنه، وذلك ناجم في أكثر الأحيان عن بعض الأسباب الاجتماعية التي تؤدي بالإنسان إلى هذا الشعور بالوحدة والاغتراب.

وقد يخلق الأديب علاقة تجسيدية بينه وبين المكان، فيصير ذلك المكان كائنًا يسمع صوته ويرى حاله، ويشعر بما يشعر به، ثم إن هذا الأديب يحاول أن يخاطب ذلك المكان، ويطلب منه أن يساعده في عبور متاهات الأمل، ويخاطب الطريق مثلاً بأن يتسع في وجهه، أو يخاطب النهر كي يعاونه في رحلته التي يريد أن يرحلها، فالمكان عنده كائن حي يعيش معه، ويفهم كلامه ويحس بأحاسيسه[15].

والمكان بطبيعته بناء هندسي له أبعاده المحسوسة والملموسة، وقد ارتبط به الإنسان منذ بدء الخليقة، فمنحه عاطفته من حب ووئام، وأقام عليه حياته المادية والنفسية والروحية، وهذا ناجم عن طبيعة الإحساس العميق لدى هذا الإنسان تجاه المكان من حيث إنه موئل لوجوده وموضع لكيانه[16].

والإنسان ينظر إلى المكان وفق اعتبارات متعددة، فقد تنطلق نظرته إليه من الجانب الديني، وقد تنطلق من الجانب العاطفي، وقد تنطلق من الجانب الاجتماعي، وقد تنطلق من الجانب السياسي وهكذا. والباحث في هذه الدراسة سيتحدث عن مجموعة من هذه المنطلقات التي نظر خلالها

---

(14) انظر: عباس، إحسان: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، الطبعة الأولى، 1978م، ص: 55.
(15) عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص: 103.
(16) محمود، وجدان يعكوب. الزمان والمكان في روايات نجيب الكيلاني، ص: 144.

الشاعر السعودي المعاصر إلى الأمكنة التي يعيش فيها، فسيتحدث عن علاقة هذا الشاعر بالمدينة، وعلاقته بالريف والقرى، كما سيتناول الحديث عن علاقته بالصحراء بوصفها عنصرًا مهمًا مكونًا للبيئة المكانية من حوله، ومن ناحية أخرى فإن الباحث سيتناول بحديثه عن المكان الدلالات التي تربط بعض الأمكنة بالشاعر، كالدلالة الدينية المتمثلة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، والدلالة الاجتماعية التي تربط الشاعر ببعض الأحداث الاجتماعية في حياته، ولا يغفل الباحث الحديث عن تلك الدلالات السياسية التي يمكن أن نراها بوضوح في العاصمة السعودية؛ إذ تمثل العاصمة موئل السياسات في وطن الشاعر، وأخيرًا سيتناول الباحث الحديث عن الدلالات النفسية التي تربط المكان ببعض الأحوال العاطفية، والمشاعر النفسية التي يحس بها الشاعر نتيجة لارتباطه بمكان ما.

(أما الوعاء المكاني للأدب السعودي فيمتد ليشمل جميع الأجزاء التي تتكون منها المملكة العربية السعودية حاليًا، وإذا كان هناك من يرى أن بداية النهضة الحقيقية للأدب السعودي قد ارتبطت بالعهد السعودي الذي بدأ في الحجاز عام 1343هـ، الموافق لعام: 1924م، فإن هذا لا يُلغي ما نذهب إليه من أن الإرهاصات الأولى بدأت مع بداية الاتفاق بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد عبد الوهاب عام 1158هـ)[17].

ب. الأبعاد الاجتماعية للمكان:

هناك ارتباط وثيق بين المكان والإنسان قائم على أساس التفاعل بينهما، ولا بد لأحدهما أن يترك أثرًا في الآخر، ومن هنا ينعدم في مخيلة هذا الإنسان الانتقال من المكان إلى اللامكان وحتى لو افترضنا جدلاً أن هناك فراغاً، فإن هذا الفراغ بمحضه مكان، ومن العبث أن يُعتقد أنه يمكن أن يكون في حياة الإنسان لا مكان[18].

ولا شك في أن المكان بحيزه الذي يراه الشاعر أو الأديب أمامه هو حيز فقط، غيرَ أن هناك مجموعة من العناصر التي تربط هذا الشاعر أو ذاك الأديب بالمكان، فللمكان أبعاد تخصه وله تصورات ذاتية في نفس هذا الشاعر، فهو ينظر إليه وفق تلك المنظومة المتماسكة من الأبعاد سواء منها الاجتماعية أم النفسية أم غيرهما[19].

---

(17) انظر: أبو داهش، الدكتور عبدالله بن محمد. رأي في تحديد بداية نهضة الشعر السعودي المعاصر، مجلة الحرس الوطني، العدد: 5114، شعبان: 1412هـ، والشمطي، محمد صالح. في الأدب العربي السعودي وفنونه واتجاهاته ونماذج منه، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل ـ السعودية، الطبعة الخامسة، 1431هـ 2010م، ص: 14.

(18) محمود، وجدان يعكوب. الزمان والمكان في روايات نجيب الكيلاني، رسالة ماجستير، الجامعة العراقية كلية الآداب، إشراف: الأستاذ الدكتور: جبير صالح حمادي، العراق، 1432هـ، 2011م، ص: 144.

(19) حور، محمد. الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، دار القلم، دبي ـ الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الثانية، 1989م، ص: 18.

وهذا البعد الاجتماعي المؤثر في طبيعة شعر الشاعر لم يكن وليد اللحظة، بل يمكن القول أنّ هذه الأبعاد الاجتماعية للشعر عمومًا قد وُلدت مع ميلاد القصيدة الأولى في أدبنا العربي عبر عصوره الطويلة، فهذا أدبنا الجاهلي بشعره مثلاً لم يكن إلا صدى لتلك الأبعاد الاجتماعية القبلية التي سادت جزيرة العرب قبل مجيء الإسلام، ولم يكن إلا تمثيلاً واضحًا لتلك الأفكار التي يمليها النظام القبلي على أفراده، فنرى مثلاً فيه التعصب للقبيلة، والسعي من أجل نصرتها، كما نرى فيه النماذج الحية للانقياد إلى تقاليد تلك القبيلة التي يعيش فيها الشاعر، وتمثل حلقته الاجتماعية الأهم في حياته[20].

ومعنى هذا الكلام أن الشعر كان انعكاسًا لبعض المقومات الاجتماعية التي تسود في حياة الشاعر سواء أكانت تلك المقومات الاجتماعية متمثلة في القبيلة التي يعيش فيها هذا الشاعر، في نواحي حياته الجماعية في مجموعة من الأفراد، ثم إن هذا الشعر يلبي جميع هذه الأبعاد الاجتماعية التي تظهر في حياة الشاعر، وتحاول أن تفرض نفسها في قصائده وشعره.

ومن ناحية أخرى فإننا قد نجد أن الشاعر الجاهلي اختلف في نموذج آخر هو نموذج الصعاليك فقد ثار هؤلاء الصعاليك على تقاليد القبيلة، وصار شعرهم مرآة لتلك الثورة التي تمردوا فيها على تقاليد القبيلة العربية، ورأوا أن الصراع هو السبيل الأمثل للوصول إلى عدالة اجتماعية داخل مجتمعاتهم، مما أدى بقبائلهم إلى خلعهم، وإبعادهم عن نظام القبيلة الاجتماعي الذي ساد العصر الجاهلي، فيصير الصعلوك معبرًا عن بعد اجتماعي آخر يختلف كثيرًا عن ذلك البعد الذي يعبّر عنه الشاعر القبلي نفسه[21].

أي أن نموذج الصعلوك يختلف كثيرًا عن نموذج الشاعر القبلي الذي عرف القبيلة، وآمن بتقاليدها الاجتماعية، فصارت تلك التقاليد تعكس بعدًا اجتماعيًا ظاهرًا في شعر ذلك الشاعر، أما الصعلوك فقد كانت نظرته تختلف عن نظرة الشاعر القبلي نفسه إلى تقاليد القبيلة، فالشاعران يتحدثان عن بُعد اجتماعي واحد، غير أن الصعلوك ينظر إليه على أساس من التمرد والثورة، كما ينظر إليه على أساس من الظلم والقهر، ويرى في نموذج الرفاق والأصحاب من الصعاليك المختلفين سبيلاً إلى تحقيق الذات والعدالة الاجتماعية في ذلك المجتمع، في حين أن الشاعر القبلي ـ إن جاز لنا التعبير ـ ينظر للقبيلة من خلال بُعد اجتماعي مختلف تمامًا عن ذلك البعد الذي ينظر إليه الصعلوك نفسه [22].

(20) عبدالرحمن، عفيف: الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثًا، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1987م، ص: 261.
(21) خليف، يوسف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، الطبعة الرابعة، ص: 60.
(22) ينظر: عبد الرحمن: الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثًا، ص: 261.

إن هذه الأبعاد الاجتماعية التي تحيط بالشاعر لا بد لها عند النظر في شعر هذا الشاعر أو ذاك؛ لأن مثل هذه الأبعاد الاجتماعية ستؤدي وظيفة مهمة في دقة النظرة النقدية إلى أعمال هذا الأديب أو ذاك؛ إذ للأبعاد الاجتماعية دورها في تكوين الشخصية الأدبية للأديب، والشخصية الشعرية للشاعر على حد مخصص، فقد أفاد النقاد كثيرًا من هذه الأبعاد الاجتماعية المحيطة بالشاعر في تحديد نظرتهم إلى الأدب، وتكوين فكرة واضحة عن الأعمال الأدبية التي بين أيديهم ونخص من بين هذه الملامح النقدية ما نجده عند نقاد المنهج الاجتماعي، الذين أفادوا من نتائج علم الاجتماع فيما وضعوه من أسس اجتماعية نقدية في الأدب[23].

يعني ذلك أن تلك الأبعاد الاجتماعية التي تظهر في شعر الشاعر لا تقتصر على جوانب التأثر والتأثير حَسْبُ، بل هي نموذج يقود النقاد إلى فهم المنظومة الأدبية التي يتحرك من خلالها هذا الشاعر، أو ذلك الأديب، كل هذا من خلال مجموعة من الأبعاد الاجتماعية أو النفسية أو غيرها.

إن الأدب عمومًا يفتح الباب أمام الدارسين من أجل الوصول إلى مجموعة الأبعاد الاجتماعية التي يرسمها الأديب من خلال أدبه، غير أن الأدب الشعبي هو أكثر هذه النماذج انطلاقًا في هذا الجانب البحثي، فهو قادر على إيجاد ملامح الحياة الاجتماعية بجميع صورها من خلال بساطته، واتصاله المباشر بالمجتمع من حوله[24].

من هنا، فإن للمكان بطبيعته الاجتماعية وأبعاده تلك التي تحيط بالشاعر أثرها في تكوين عباراته الشعرية من جهة، وتكوين صورته الشعرية من جهة أخرى، ومن الأمثلة الواضحة على تبدي الأبعاد الاجتماعية المكانية في شعر الشاعر ما نجده في قصة علي بن الجهم حين أتى لمدح الخليفة، فقال فيه:

أنْـــتَ كَالْكَلْـــبِ فِـــيْ حِفْاِظِـــكَ للْـــودِّ وَكَـــالتَّيْسِ فِـــيْ قِـــرَاعِ الْخُطُـــوْبِ

فهمَّ من حول الأمير بقتله، غير أن الأمير قد فهم أثر ذلك المكان الذي يعيش فيه الشاعر وتبين الأثر الواضح في شعره جراء هذا المكان بأبعاده الاجتماعية، فقد عرف الشاعر بيئة الرعي والحياة البدوية، ومن هنا فليس عنده مثلاً أعلى لحفظ الود من الكلب، وليس عنده مثلاً أعلى لقراع

---

(23) ينظر: هايمن، ستانلي أدغار: النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1960م، ج: 2، ص: 222.

(24) عبدالرحمن: الأدب الجاهلي في آثار الدارسين، ص: 228.

الخطوب مثل التيس، فرأى أن تشبيه الأمير بهما غاية في الجودة، وهذا بعد اجتماعي مستمد من البيئة والمكان الذي يعيش فيه الشاعر، غير أن الأمير أمهلهم، وطلب إليهم أن يغيروا بيئة هذا الشاعر حتى تظهر تلك الآثار المكانية بأبعادها الاجتماعية الجميلة في شعره، فلما جعلوه في بغداد، قال:

يَــا مَــنْ حَــوَى وَرْدَ الرِّيَــاضِ بِخَــدِّهِ	**وَحَكَــى قضِيــبَ الْخَيْــزَرَانِ بِقَــدِّهِ**
دَعْ عَنْــكَ ذَا السَّــيْفَ الَّــذِي جَرَّدْتَــهُ	**عَيْنَــاكَ أَمْضَــى مِــنْ مَضَــارِبِ حَــدِّهِ**
كُــلُّ السُّــيُوْفِ قَوَاطِــعٌ إِنْ جُــرِّدَتْ	**وَحُسَــامُ لَحْظِــكَ قَــاطِعٌ فِــيْ غِمْــدِهِ**
إِنْ رُمْــتَ تَقْتُلُنِــيْ فَأَنْــتَ مُخَيَّــرٌ	**مَــنْ ذَا يُعَــارِضُ سَــيِّدًا فِــيْ عَبْــدِهِ**

فانظر كيف تغير شعر هذا الشاعر وفقاً لتغير المكان الذي يعيش فيه، ومهما يكن من أمر صحة هذه القصة أو عدم صحتها فإنه من غير شك أن بعض الشعراء قد تأثرت قرائحهم الشعرية نتيجة لتأثرهم بالبيئة والمكان الذي يعيشون فيه، فتغير كلامهم من الشدة إلى اللين والرقة[25].

وبذا، فقد أثر المكان في الطبيعة الاجتماعية لهذا الشاعر، فحينما كان البعد الاجتماعي عنده متأثرًا بالحياة البدوية، وجاعلاً من عناصرها التي تكونها المثل الأعلى في محاسن الصفات وجمال الأخلاق، كالوفاء عند الكلب، والشجاعة عند التيس، تغيرت هذه العناصر تمامًا، وتأثر البعد الاجتماعي عنده بتغير المكان الذي يعيش فيه، فصار الحديث عن جمال الخدود وحمرتها وحدة اللحظ؛ إذ تغيّرت هذه الأبعاد الجديدة بتغير المكان، فصار الشاعر ينقل عن بيئة اجتماعية جديدة ترتبط بتغير البيئة المكانية نفسها من البادية إلى المدينة، فالبيئة المعينة التي يعيش فيها الإنسان عمومًا والشاعر خصوصًا تسهم إسهامًا مباشرًا في تكوين عناصر شخصيته النفسية والاجتماعية؛ إذ الإنسان ابن البيئة، فمما لا شك فيه أن لهذه البيئة المكانية التي يعيش ضمنها هذا الشاعر أثرها الكبير والواضح في تكوين شخصيته الاجتماعية والنفسية، وظهور تلك العناصر ضمن أعماله الفنية، فللبيئة حظها الأوسع والأكبر في ظهور العناصر التكوينية لشخصية الشاعر الشعرية[26] وهو ما لوحظ ضمن المثال السابق.

---

(25) الشايب، أحمد: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثانية عشرة، 2003م، ص: 131 ـ 132.

(26) حور. الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، ص: 18.

فمكان حياة الشاعر المتمثل في البادية أو المدينة، أو القرية، ذو أبعاد اجتماعية مختلفة تظهر من خلال شعر هذا الشاعر، فأثر المكان واضح في طبيعة هذا البعد الاجتماعي، وذلك ناجم عن مجموعة المكونات الاجتماعية التي توجد في مكان حياة الشاعر، والمدينة أو القرية أو البادية بوصفها مكانًا جغرافيًا يعيش فيه الشاعر، ويكوّن خلاله مجموعة من العلاقات الاجتماعية لا بد أن يكون لها أثر في تلك الأبعاد الاجتماعية المرتبطة بذلك المكان، سواء إيجابية كانت تلك الأبعاد أم سلبية.

وكثيرًا ما نجد النقاد القدماء يشيرون إلى مسألة رقة الشعر ولينه لمّا ينتقل الشاعر من بيئة البادية والصحراء إلى بيئة المدينة أو القرية، فإن شعره حين ينتقل من هذه البيئة إلى تلك البيئة يلين ويرق، فيتحول من جافي الألفاظ، صعب الكلمات، بعيد الصور، خشن الألفاظ، إلى رقيق الصورة، لين اللفظ، قريب المعاني، لطيف الكلمات، كل هذا ناشئ من طبيعة البيئة التي كان فيها وانتقل إليها(27).

وعليه، فإن البعد عن البادية، والقرب من الحواضر التي يقطنها لينو الطبع، يؤدي دون شك إلى لين شعر الشاعر، وابتعاده عن الغلظة وصعوبة الألفاظ، فما هذا إلا مظهر لأثر المكان في شعر هذا الشاعر(28)، وملمح اجتماعي رفيع في جانب الأبعاد الاجتماعية للمكان.

فالبعد الاجتماعي للمكان لا يؤثر فقط في طبيعة الشعر نفسه، وإنما يؤثر في الشاعر أيضًا قبل شعره، فينقله من الصعوبة إلى الرقة، ومن الجلافة إلى اللين، ومن العمق إلى السطحية، وهكذا كل ذلك ناشئ من طبيعة المكان وأبعاده التي تحيط بهذا الشاعر.

وخلاصة القول إن لهذه البيئة التي يعيش ضمنها الفنان أو الشاعر دورها الكبير في تكوين شخصيته الفنية والجمالية، وهذا الأثر يبدو ظاهرًا في جميع أشكال التعبير الفني التي ينتهجها الشاعر، من تراكيب، وصور، وألفاظ، ومعانٍ، وأساليب، ومفردات، وعناصر جمالية ضمن العمل الأدبي، وهذه المظاهر كلها تطبع الفنان بسمة خاصة به تميزه عن سواه، وتجعله متميزًا ضمن عمله الفني هذا، خاصة إذا كان هذا الفنان شاعرًا، فليس الشعر إلا تعبيرًا صادقًا عما هو في نفس الإنسان ضمن عناصر بيئته المختلفة(29).

---

(27) ينظر: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: لباب الآداب، تحقيق: أحمد حسن لبج، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ، 1997م، ص: 120.

(28) الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبدالعزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى د.ت، ص: 18.

(29) انظر: الدرابسة، محمود: أثر البيئة الطبيعية في الشعر عند النقاد العرب، مجلة جامعة أم القرى، السنة الثامنة، العدد العاشر، مكة المكرمة ـ السعودية، 1415هـ، 1995م، ص: 137.

وتكمن أهمية المكان في أنه يمثل الوعاء الذي تحدث فيه أفعال الكائنات الحية، فإن أفعال الإنسان وما عداه من الكائنات الحية الأخرى تحدث في زمان ومكان محددين، فهذه الأهمية التي تتصل بالمكان تمنحه مزيداً من القيمة الاجتماعية والنفسية لدى الشاعر[30].

ولا يمكن أن يتصور الإنسان نفسه دون مكان يعيش فيه، بل لا بد من وجود هذا المكان لنحتمي فيه، ونعيش فيه، ومن ثم يكون موضع رقودنا بعد الموت، والشاعر إنسان كسائر البشر يشعر بعلاقة توائمية بينه وبين هذا المكان الذي يعيش فيه ويترعرع في حيّزه، ومن ناحية أخرى فإن هذا المكان يسهم في تشكيل شخصية هذا الشاعر، ويؤثر في نفسيته، ويربطه بالعالم من حوله، فلا غرابة من وجود بعض الانعكاسات النفسية والعاطفية التي تظهر في أعمال ذلك الشاعر من خلال علاقته بالمكان من حوله، ويظهر بذلك أن المكان نفسه ليس دالاً من دون دلالة، فلا دلالة لهذا المكان من غير وجود الكائن الحي الذي يعيش في ذلك المكان، فهو وعاء يمنحه البشر القيمة والثقافة والعاطفة وغيرها من الأمور التعالقية من خلال علاقة هؤلاء البشر بذلك المكان، فالعلاقة بين الإنسان والمكان علاقة ترابطية كالشكل والمعنى، ليس لأحدهما غنى عن الآخر، ولا تقوم العلاقة بينهما على أساس من التعارض والتضاد، وإنما تقوم على أساس من التكامل والالتحام[31].

ت. الأبعاد النفسية للمكان:

خاض المكان رحلة طويلة في متاهة التاريخ/ الزمان، وتعرض لفاعليات الصيرورة وتحولاتها؛ لكي ينتقل من الفضاء الوحشي إلى الفضاء الثقافي – الإنساني، ومن اللاتمايز والعماء وفق الرؤية الميثولوجية إلى التهندس، ومن ثُمَّ إلى الفضاء الجمالي الفني[32].

وتجدر الإشارة هنا إلى وجود ترابط وثيق وعلاقة تشابكية بين المكان والزمان ضمن العمل الأدبي، سواء أشعرًا كان ذلك العمل أم نثرًا، فإن المكان والزمان يندمجان معًا في منظومة علائقية متماسكة ضمن العمل الأدبي، فلا يمكن أن يُذكر الزمان دون المكان، والعكس صحيح ولقد تنبه النقد الحديث إلى هذه العلاقة الوثيقة بين الزمان والمكان، فجعل النقاد لهما تقسيمات متعددة،

---

(30) خضير، شيماء جاسم. ثنائيات المكان في شعر أبي نواس دراسة تحليلية، مجلة كلية التربية الأساسية الجامعة المستنصرية، العدد التاسع والستون، 2011م، ص: 106.

(31) ينظر: اليافعي، نعيم. أطياف الوجه الواحد، دراسات نقدية في النظرية والتطبيق، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى، 1997م، ص: 18.

(32) حسين، خالد حسين. شعرية المكان في الرواية الجديدة، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض ـ السعودية 1421هـ، 2000م، ص: 62.

ومصطلحات ذات دلالات خاصة بالزمان والمكان، ونضرب لذلك مثالاً من اصطلاح باختين[33]، الذي يرى أن الزمان والمكان مصطلح علمي بحت، نُقل إلى الأدب من خلال استعارة تقريبية، وهو يشير إلى تلك العلاقة الوثيقة بين الزمان والمكان في الواجهة الأدبية الفنية، ولقد أطلق على هذا الترابط الوثيق بين الزمان والمكان مصطلح "الزمكان الفني الأدبي، ويقصد به انصهار علاقة المكان والزمان في كل واحد مدرك ومشخص، ومن هنا فمن الصعوبة الفصل بين الزمان والمكان بحكم أنهما من مكونات العمل الفني[34].

وكما مرّ سابقًا، يُلحظ أنّ المكان يحمل دلالات مرتبطة بالأبعاد الاجتماعية، سواء أكانت تلك الأبعاد ترتبط بالشاعر وحده، أم بمجموعة من الأشخاص كالقبيلة مثلاً، أو جماعة الرفاق والأصحاب، وتلك الدلالات الاجتماعية ليست بأوضح صورة من الدلالات النفسية، فللمكان أبعاد نفسية ترتبط بالشاعر نفسه، أو بشيء يخصه، كالمحبوب مثلاً، أو الصديق، أو الأهل، وما شابه ذلك من الأبعاد التي يحملها المكان ويولدها في نفس الشاعر.

فالشاعر قد يحس بأحاسيس نفسية عميقة حين يرى بعض الأمكنة، أو يمر بها، فتؤدي به تلك الأحاسيس إلى إخراج مجموعة من الأبيات الشعرية التي لها وقعها في نفس المتلقي أولاً وتدل على عمق الإحساس النفسي لدى ذاك الشاعر ثانيًا، ولا يهم في ذلك البعد النفسي أن يكون أليفًا أم غير أليف، فالمهم أن المكان يُذكي في نفس ذلك الشاعر مزيدًا من الشعور العميق بالعاطفة الجياشة تجاه ذلك المكان، فالصعاليك مثلاً يحسون بأحاسيس بعيدة عن الألفة والمودة تجاه المكان المرتبط بالقبيلة؛ إذ القبيلة عندهم مصدر للتمرد، وسبيل للخروج عن التقاليد التي اعتادتها تلك القبيلة، ومكانها يُثير فيهم ذلك الإحساس النفسي العميق، مما يدفع الصعلوك إلى اتخاذ قراره تجاه ذلك المكان، وقراره لا بد أن يكون ماثلاً بترك مكان القبيلة، والذهاب عنه بعيدًا[35]، فهذا الشنفرى يقول[36]:

أَقِيْمُــوا بَنِــيْ أُمِّــيْ صُــدُوْرَ مَطِــيِّكُمْ   فَــإِنِّيْ إِلَــى قَــوْمٍ سِــوَاكُمْ لَأَمْيَــلُ

([33]) ميخائيل باختين: ولد سنة 1895م وتوفي سنة: 1975م، فيلسوف ومنظر أدبي ولغوي روسي وُلد في مدينة "أبول"، درس فقه اللغة، ويعد أبرز أعلام الشكلانيين الروس، له مؤلفات عدة من أهمها أسئلة الأدب، وعلم الجمال، وجماليات الإبداع اللفظي، انظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة على شبكة الإنترنت.

([34]) باختين، ميخائيل. أشكال الزمان والمكان في الرواية، ترجمة: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ـ سوريا، د.ط، 1990م، ص: 220.

([35]) عمارة، السيد أحمد: دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق، مكتبة المتنبي، القاهرة ـ مصر الطبعة الأولى، د.ت، ص: 88.

([36]) انظر: العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبد الله: إعراب لامية الشنفرى، تحقيق: محمد أديب عبدالواحد جمران، المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1404هـ، 1984م، ص: 57.

فالشنفرى في هذا البيت ومنذ بداية لاميته لا يريد البقاء في مكان قبيلته، بل يريد الرحيل عنها، كما يعلن تمرده على تلك القبيلة، وهو تمرد مرتبط أيضاً بالمكان، وهو صريح في هذا التمرد، وذلك الربط بين المكان وما يمثله في نفسيته من دوافع الكره والبغض والألم، فمن هنا يريد مغادرته والذهاب عنه بعيدًا، ويبين أن مكانه في موضع آخر لم يسمِّه في هذا البيت ألا وهو الصحراء، فهو يميل إلى قوم آخرين غير قومه الذين تربى فيهم(37).

إن مكان قبيلة الصعلوك يحمل بعدًا نفسيًا متمثلاً في نواحي الكره والبغض والألم الذي عاناه الصعلوك في تلك القبيلة، فمكان تلك القبيلة يمثل الرابط الحي الذي لا يتحول من نفس ذلك الصعلوك تجاه تلك المعاناة، وهو باقٍ في ألمه ما دام هذا المكان موجودًا، وبذا لم يعد مكان القبيلة موضعًا وحيزًا حَسْبُ عند الصعلوك، وإنما تحول إلى رابط نفسي عميق يُذكر الصعلوك بماضيه الأليم، ومعاناته الصعبة في ذلك المكان.

وهناك ارتباطات نفسية خاصة بالمكان، كبيت الطفولة مثلاً، فإن الإنسان يبقى على اتصال بهذا البيت في خضم حياته اللاحقة، ويظل دفء ذلك البيت مترسخًا في روحه ونفسه، ولا تظهر هذه العلاقة الحميمية للمتلقي إلا من خلال اتصاله بالأديب بواسطة الصور الشعرية التي يرسمها لهذا المكان الأمين عنده(38).

أما البعد النفسي الثاني الذي يربط المكان بنفسية الشاعر فهو ذلك البعد المتمثل في الحزن و الحنين إلى المحبوب أو الأهل أو الرفاق عمومًا، فالشاعر إذا وقف على ديار محبوبته المهجورة تذكر أيام اللقاء، وتذكر مواضع ذلك اللقاء، فكان ذلك سببًا في إذكاء نار الحزن، وجوى الوجد في قلبه فيجعل من هذا المكان سبيلاً لاستخراج مكنونات نفسه الحزينة، وإن أبرز مثال على هذه المشاعر الجياشة ما كان من وقوف الشعراء على أطلال ديار المحبوبة، فهذا امرؤ القيس يقول(39):

قِفَا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ   بسقطِ اللوى بينَ الدخولِ فحَومَلِ

فواضح لنا من خلال هذا البيت الذي استهل به امرؤ القيس معلقته بأنه لمّا وصل إلى ديار محبوبته أخذ يتذكر تلك الأيام التي خلت، فطلب ممن معه الوقوف عند تلك الديار ليستذكر أيام المحبوبة فذكر المنزل، وهو مكان، وذكر الدخول، وهو اسم مكان أيضًا، وذكر "حومل" وهو أيضًا

---

(37) ينظر: عمارة: دراسة في نصوص العصر الجاهلي، ص: 88.
(38) محمود، وجدان يعكوب.الزمان والمكان في روايات نجيب الكيلاني، ص: 146.
(39) الكندي، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث: ديوان امرئ القيس، اعتنى به وحققه: عبد الرحمن المصطاوي دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1425هـ، 2004م، ص: 14.

اسم مكان، فجميع هذه الأمكنة تُذكي في نفس الشاعر تلك العاطفة الجياشة تجاه محبوبته وتحكي له قصص الماضي التي حوتها، فيكون ذلك كله سبيلاً إلى ازدياد حدة العاطفة لدى الشاعر.

إن هذه الافتتاحية من الشاعر ـ امرئ القيس ـ تقودنا إلى ذلك الشعور العاطفي النفسي الكبير الذي ستتضمنه تلك المعلقة أو تلك القصيدة، فمعلقة امرئ القيس من أكثر المعلقات اتصالاً بالنواحي النفسية، فهي ذات أبعاد نفسية متعددة، يتذكر فيها الشاعر علاقاته مع محبوباته سواء أكان ذلك الحب إباحيًا أم لا، فإن الظواهر النفسية بارزة في جميع أجزاء المعلقة[40]، غير أن ما يهمنا من بين هذه الظواهر ذلك الربط بين المكان والبعد النفسي للشاعر المتمثل في الحنين والشوق إلى المحبوبة حين رأى ديارها.

والوقوف على الأطلال من العادات التي اعتادها الشعراء في العصر الجاهلي، وفيها يذكر الشاعر فرط الصبابة والجوى جراء فراق محبوبته، كما يبين في تلك الأبيات مواضع اللقاء وأماكن الود التي كانت بينه وبين محبوبته، فكل هذا ما هو إلا ارتباط بالحالة النفسية التي يعيشها ذلك الشاعر عند رؤية تلك الأطلال وبقايا الديار، فناسب أن يجعلوا هذه الوقفات على تلك الأطلال سبيلاً لافتتاح قصائدهم، واستخراج ما في نفس السامع من ود ومحبة، وأغلب القصائد الجاهلية كانت تُفتتح بهذه المقدمات الطللية[41].

ولعل من أبرز المظاهر النفسية التي تبدو في شعرنا العربي منذ القدم تتمثل في ظاهرة الغربة المكانية؛ إذ عانى الشاعر العربي من هذه الغربة المكانية منذ أن وقف على الأطلال، فهو حين وقف على تلك الأطلال أخذ يتذكر الحياة القديمة التي عاشها، وأيام طفولته، فأخذت هذه الذكريات تولد في نفسه شعورًا بالاغتراب، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أخذت هذه الذكريات تنساب على لسانه قصائد شعرية فياضة، فكتب عن معاناته النفسية، واستطاع أن يخرج بصور جميلة تنم عما يجيش في نفسه، ومن ناحية أخرى فقد كان الشاعر العربي القديم مرغمًا في تنقله وفقاً لظروفه الاجتماعية، وطلباً للرزق وحياة الرعي، ومن ناحية أخرى فإن هذه الظروف قد تصل إلى اعتبارات سياسية تتمثل فيما كانت تفعله بعض القبائل العربية مع خلعائها من الصعاليك[42].

---

(40) انظر: الشيباني، أبو عمرو: شرح المعلقات التسع،تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ 2001م، ص: 118 - 119.

(41) الجندي، علي: في تاريخ الأدب الجاهلي، مكتبة دار التراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1412هـ 1991م، ص: 452.

(42) بدوي، عبده. الغربة المكانية في الشعر العربي، مجلة عالم الفكر، العدد العاشر، 1984م، ص: 14، 18.

إن الارتباط بالمكان عمومًا حاجة حميمية عند الإنسان، خاصة إذا كان هذا الإنسان شاعرًا، وكان هذا الشاعر متصفًا ببعض الصفات التي تجعله يعيش حالة من الطفولة الوجدانية المستمرة في أعماقه، فإنه يبقى على شعور دائم بالرغبة تجاه البيت والأسرة، وتبقى تلك المشاعر غنية بالحس والخيال والأحلام الطفولية تلك، فيصير المكان ـ الأرض ـ بالنسبة له بمثابة رحم الأم الذي خرج منه؛ إذ تبقى تلك الصور ماثلة في ذاكرة الشاعر ووجدانه حتى تتخذ نموذجًا علويًا من الصور البكر الأبدية بالنسبة إلى هذا الشاعر[43].

فهذه مثلاً مجموعة من الأسباب المادية التي كانت تدعو الشاعر إلى الارتحال عن وطنه والذهاب عنه، فيترك هذا الوطن آثارًا نفسية في نفس الشاعر تدفعه إلى البوح ببعض ما يُحس به في ثنايا شعره، وبين أبياته التي تتذكر وطنه، وقد تكون تلك الأسباب معنوية ونفسية تتعلق ببعض نواحي الاغتراب مما يجعل ذلك الأثر أعمق في نفس ذلك الشاعر، وأشد ظهورًا في عمله الشعري فيحاول الشاعر أن ينظر إلى وطنه ذاك بشيء من الجَلَد، ثم لا يلبث أن يدع عنه ذلك الجلد والإحساس العميق المرهف بالحنين والصبابة نحو ذلك الوطن، خاصة إذا ترافق ذهاب ذلك الشاعر مع حالة من الوداع العاطفي المتمثل في لقاء المحبوبة للمرة الأخيرة قبل الذهاب، فإن لحظة الوداع تلك تبقى ماثلة في نفس الشاعر طوال مدة اغترابه عن وطنه[44].

وقد يكون المكان سبيلاً لإذكاء الحنين إلى الأوطان، فإن المتغرب عن دياره إذا رأى بعض الأمكنة دفعه ذلك إلى استذكار وطنه، والإحساس بالشوق إليه، والحنين إلى ميزاته التي لا يرى مثلها في أي مكان في الدنيا، فهذا المتنبي يدخل شعب بوان، وهو في غاية الحسن، وكمال الجمال، حتى إنه صار بجماله ذاك كأنه الربيع بين الأمكنة، فكما أن الربيع يمتاز بجماله الفائق بين الفصول الأخرى، فإن شعب بوان يمتاز بجماله بين سائر الأمكنة على وجه الأرض آن ذاك غير أن حنين المتنبي إلى وطنه يقوده إلى الربط بين هذا المكان الرائع، والأماكن العربية التي عاش فيها، فليس في ذلك الشعب ما يدل على العروبة، بل كل ما فيه خارج عن العروبة بهيئتها وجمالها، يقول المتنبي واصفاً شعب بوان[45]:

مَغـــاني الشِّــعبِ طيبًـــا فـــي المغـــاني بمنزلـــــة الربيــــــع مــــــن الزمـــــانِ
ولـــــكنَّ الفتـــــى العربــــيَّ فيــــهِ غريــــبُ الوجـــهِ واليـــدِ واللســــانِ

([43]) العضايلة. المكان الأردني، ص: 121.
([44]) بدوي. الغربة المكانية في الشعر العربي، ص: 15.
([45]) العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله: شرح ديوان المتنبي، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، د.ت، ج: 4، ص: 251.

فأبو الطيب المتنبي في بيتيه السابقين قد جعل من شعب بوان، وهو مكان من الأمكنة سبيلاً لاستذكار البلاد العربية، والأمكنة العربية التي عاش فيها؛ إذ جعله جمال هذا الشعب يتذكر جمال بلاده، ويحن إلى وطنه، فالمكان صار سبيلاً لإذكاء أحد الأبعاد النفسية العاطفية في نفس الشاعر ألا وهو الحنين إلى وطنه، والشوق إلى رؤية بلاده، فليس في الشعب ما يشير إلى أرض العروبة بشيء، وإنما جميع هذه المناظر، وتلك الرياض والجنان ما هي إلا ملامح بعيدة عن العروبة والإنسان العربي غريب فيها، فهذا البعد النفسي المتمثل في الحنين إلى الوطن جلبه ذلك المكان الذي رآه المتنبي.

وقد يجعل الشاعر من المكان سببًا في استذكار محبوبته، وانفجار الأشواق في نفسه، حتى وإن كان ذلك المكان بعيدًا عن المحبوبة، ولم يحصل أن التقيا فيه، غير أن بعض الأمور ذكرته بتلك المحبوبة، فهذا ابن زيدون مثلاً لمّا دخل مدينة الزهراء في الربيع، وقد ازدانت بحلتها الخضراء وتجملت بالرياحين والأزهار، والنسيم العليل يداعب الأشجار، أذكت فيه الإحساس برقة محبوبته "ولادة"، وجعلته يتذكرها في شوق عظيم، ولهفة كبيرة، فأرسل إليها مجموعة من الأبيات يخبرها بأنه ما زال على عهده في حبها وودها[46]، يقول ابن زيدون[47]:

إنـــــي ذكرْتُـــــكِ بــــالزهراءِ مُشـــــتاقا والأفـــقُ طلـــقٌ ووجـــهُ الأرضِ قـــد راقـــا

فالشاعر في البيت السابق قد حمّل المكان مزيدًا من البعد النفسي المتمثل في شوقه العظيم إلى محبوبته، ولقد صرّح باسم المكان ليدلنا على أن هذا المكان ـ وهو الزهراء ـ هو السبب الكامن وراء تذكره محبوبته، فإن مكوثه في مدينة الزهراء هو الذي جعله يتذكر تلك المحبوبة ويحس بكل هذا الشوق إليها، فالمكان لم يعد مجرد حيّز في نظر الشاعر حَسْبُ، بل صار محفزًا للعاطفة الشديدة تجاه تلك المحبوبة، وصار محتملاً لذلك البعد النفسي العاطفي الذي يقوده إلى تلك المعاني الرقيقة في بيان شوقه لمحبوبته.

وبذا، فقد تبيّن من الصفحات السابقة كيف أن المكان يحمل أبعادًا نفسية يستطيع الشاعر أن يخلعها على هذا المكان أو ذاك، وفي الوقت نفسه فإن الشاعر يجعل من المكان سبيلاً لاستخراج تلك المكونات النفسية التي يحس بها، فلا يعود المكان موضعًا أو حيزًا حَسْبُ، بل يغدو مستودعًا لتلك الأبعاد النفسية التي تعج في نفس الشاعر.

([46]) انظر: المقري التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى 1997م، ج: 4، ص: 209 - 210.

([47]) ابن زيدون: ديوانه، تحقيق: علي عبد العظيم، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، 1957م، ص: 139.

الفصل الثاني

أنواع المكان في الشعر السعودي الحديث

أنواع المكان في الشعر السعودي الحديث

يتخذ المكان في الشعر السعودي خصوصًا والشعر العربي عمومًا أنواعًا مختلفة، فقد يكون هذا المكان مدينة، وقد يكون ريفًا أو قرية، وقد يكون صحراء ممتدة الأطراف، وهذا ما سيناقشه الباحث في الصفحات الآتية.

أ. المدينة:

لطالما تحدّث الشعراء عن المدينة بوصفها مكانًا عامًا ضمن أشعارهم، وتناولوها بأفكارهم وعواطفهم، وتأثروا بكل المؤثرات التي تتداعى في مجتمع المدينة، ولطالما نظر هؤلاء الشعراء إلى مجتمع المدينة بمنظور المقارنة بينه وبين مجتمع الريف والقرية، خاصّة إذا كان الشاعر نفسه آتيًا من مجتمع القرية أو الريف، وتطارحه نفسه الحنين إلى ذلك المكان الأصيل، فيأخذ ذلك الشاعر بالمقارنة بين مجتمع المدينة، ومجتمع الريف في الوجه الآخر، محاولاً استخراج عواطفه الجياشة تجاه ذلك المكان المحبوب إلى نفسه(48).

ولا شك أن الشاعر يتأثر ببيئته التي يعيش فيها، سواء أمدينة كانت تلك البيئة أم صحراوية، أم قروية ريفية، فجميع هذه البيئات التي يعيش فيها الناس يعيش فيها الشعراء أيضًا ويتأثرون بها ويظهر تأثرهم ضمن أعمالهم الشعرية، وهو ما لا يُستغرب منهم(49).

ومجتمع المدينة تسوده الفردية والذاتية، كما أن هذا المجتمع تسيطر عليه تلك العلاقات الاجتماعية المُفككة، وتظهر فيه سرعة التحرّك الاجتماعي، هذا كله علاوة على الطبيعة المُمزّقة للعلاقات الروحية السائدة بين أفراد تلك المدينة(50).

ويعاني الشاعر الريفي القروي من الصدمة الحضارية إذا انتقل إلى المدينة، فيشعر ذلك الشاعر بالاغتراب الروحي في هذا المكان الجديد، وقد لا يستطيع التأقلم مع معطيات المدينة، مما يزيد في اغترابه، وقد ينظر إليها ـ أي للمدينة ـ بمنظور آخر يتراوح بين القبول والرفض بناء على ما يجري معه من معطيات حياتية في إطار هذا المكان المدني الجديد(51).

---

(48) أبو غالي، مختار علي: المدينة في الشعر العربي المعاصر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 196، العام: 1995م، ص: 25.
(49) انظر: الدرابسة. أثر البيئة الطبيعية في الشعر عند النقاد العرب، ص: 137.
(50) أبو غالي. المدينة في الشعر العربي المعاصر، ص: 26.
(51) انظر: عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص: 117 - 118.

وتتميّز المدينة باشتمالها على مجموعة كبيرة من الضغوطات النفسية التي تظهر في نفس الشاعر وتؤثر في مسيرة حياته. ولصخب المدينة وحياتها الممزقة دور كبير في خلق الحنين الروحي لدى الشاعر إلى قريته التي عاش فيها، الأمر الذي يجعل منه دائم الحنين إلى تلك الحياة القروية الريفية[52].

ومن ناحية أخرى فإن تغيّر الحياة وتعقيدها في مجتمع القرية، وافتقار المجتمع القروي الريفي إلى مجموعة كبيرة من الخدمات وسبل العيش يجعلها تخسر كثيرًا من جاذبيتها الروحية والعاطفية عند الشعراء، لذا فليس من المستغرب أن ينظر الشاعر في يوم من الأيام إلى المدينة على أنها مكوِّن مكاني يوافق عواطفه وأحاسيسه، وربما أدّى هذا الخلل الخدمي الاجتماعي إلى صراع أعنف بين الريف والقرية من جهة، والمدينة من جهة أخرى في نفس الشاعر[53].

بين المدينة والريف:

تظهر المدينة في أحيان كثيرة في صورة المقارنة بينها وبين الريف، هذا ما أشير إليه من قبل، وفيما يأتي من صفحات سيبيّن الباحث موقف الشاعر السعودي من المدينة في مقابل الريف فهو لا يختلف عن سواه من الشعراء العرب الآخرين، كما أن موقفه من المدينة لا يختلف أيضًا عن مواقفهم منها، فالشاعر السعودي ينظر إلى المكان ضمن مكوِّن اجتماعي عربي عام، يتأثر ببعضه بعضًا، فهذا الشاعر السعودي خالد سالم [54] يتساءل متحسّرًا عن ملامح الريف والقرية التي طغت عليها المدينة، فيتساءل عن البساتين التي كانت في الأرض، ويتساءل عن تلك الأشجار المتشابكة، والرياض الوارفة، ثم يُقرر أنها قد ذهبت ولم يبقَ منها سوى بقايا مطرقة، فيقول[55]:

أيـــــــــنَ الْبَسَـــــــــاتِيْنُ الَّتِـــــــــي كَانَـــــــــتْ رِيَاضًـــــــــا مُغْدِقَـــــــــة

خَضْـــــــرَاءُ تَرْفِـــــــلُ سُنْدُسًـــــــا وَغُصُـــــــوْنُهَا مُتَعَانِقَـــــــة

([52]) أبو غالي: المدينة في الشعر العربي المعاصر، ص: 25 - 26.

([53]) انظر: عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص: 136.

([54]) هو الشاعر خالد محمد أحمد سالم، من مواليد المدينة المنورة عام 1380هـ، 1960م، عضو نادي المدينة المنورة الأدبي، يشغل منصب مدير جريدة الحوار الحر المصرية مكتب السعودية، وعضو في عدد من الروابط الأدبية حول العالم، له نشاط أدبي واسع، حاصل على عدد من الألقاب والجوائز، انظر: المجموعة الشعرية الكاملة، الغلاف.

([55]) سالم، خالد محمد أحمد: المجموعة الشعرية الكاملة، مطابع الحميضي، الرياض، الطبعة الثانية، 2013م، ص: 300.

ذَهَبَـــــــــتْ جَمِيْعًـــــــــا لا تَـــــــــرَى	إلاَّ الْبَقَايَـــــــــــا الْمُطْرَقـــــــــــة
أيْـــــــــنَ الْجَـــــــــدَاولُ فِضَّـــــــــة	مُنْسَـــــــــــــابَةً مُتَرَقرِقـــــــــــة
أيْـــــــــنَ الْخَمَائِـــــــــلُ حُمِّلَـــــــــتْ	بِـــــــــالْوَرْدِ يُسْـــــــــعَدُ نَاشِـــــــــقُهْ

ويربط الشاعر هذا التغيّر الحاصل من غياب تلك المكونات الريفية في حياته، واختفاء الروض والأزهار والجداول والخمائل بتغير الزمن، فإن هذا الزمن المتغيّر الذي ذهب بأشكال الحياة الريفية وجاء بأشكال الحياة المدنية صار كأنه حاسد للريف على ما به من خضرة وجمال ونضارة، فثار ماحقًا لكل تلك الملامح الريفية الجميلة، يقول[56]:

لَـــــــمْ يُمْهِـــــــلْ الـــــــزَّمَنُ المُغيـــــــرُ	نَضَـــــــــــــــارَةً مُتَأنّقـــــــــــــة
وَكَأنَّمَـــــــــا هُـــــــــــوَ حَاسِـــــــــدٌ	لِلـــــــــــرَّوْضِ ثَـــــــــارَ لِيَمْحَقَـــــــــة

ويستمر الشاعر برسم تلك الصورة المملوءة بالأسى والحنين والحزن، فيخلع على الجمادات صفة الحياة التي تسأله متى سيترك المدينة، وكيف سيتركها، فتسأله الحقائب متى سيرتحل، وتسأله التذاكر كذلك، ويسأله جواز السفر بأي حق طال مكوثه في ذلك المكان، ومتى سيغادره، كما تسأله الرسائل عن بريده وأيام ودّه ووصاله، ويسأله المطار متى سيأتي إليه كي يودعه، كل هذه الجمادات التي أضفى عليها الشاعر صفة الحياة إنما كان ذلك للبوح بما يجول في نفسه من مشاعر الاغتراب والحنين إلى أصله الخارج عن المدينة، يقول[57]:

وتَسْـــــأَلُنِي الْحَقَائِـــــبُ عَـــــنْ مَسِـــــيْرِي	مَتَـــــى تَأكِيْـــــدُ حَجْـــــزِي وَارْتِحَـــــالِي
وَتَسْـــــأَلُنِي التَّـــــذَاكِرُ بَعْـــــدَ وَهْـــــنٍ	وَقَـــــدْ فَـــــاتَ الْـــــأَوَانُ وَلَـــــا تُبَـــــالِي
وَيَسْـــــأَلُنِي الْجَـــــوَازُ بِـــــأيِّ حَـــــقٍّ	بِـــــأغْلاَلِ النَّـــــوَى طَـــــالَ اعْتِقَـــــالِي
وَتَسْـــــأَلُنِي الرَّسَـــــائِلُ عَـــــنْ بَرِيْـــــدِي	وَعَـــــنْ شَـــــوْقٍ لِأيَّـــــامِ الْوِصَـــــالِ
تَضِـــــيْعُ بِشَـــــارِعِ الْـــــأَحْزَانِ ذَاتِـــــي	وَأَبْحَـــــثُ عَـــــنْ شَـــــتَاتِي فِـــــي رِحَـــــالِي

---

(56) سالم: المجموعة الشعرية الكاملة، ص: 301.
(57) سالم: المجموعة الشعرية الكاملة، ص: 510 - 511.

وَتَسْـــأَلُنِي الْحَـــوَاجِزُ عَـــنْ بـــلاَدِي فَلَـــا أَدْرِي إِلَـــى أَيْـــنَ اتِّكَـــالِي
وَيَسْـــأَلُنِي الْمَطَـــارُ مَتَـــى حُضُـــوْرِي لِتَـــوْدِيْعِي وَيَمْنَحُنِـــي انْتِقَـــالِي

والشاعر حين يكون في المدينة لا تفارقه المشاعر المختلطة بالوحشة، فالوحشة ملازمة للأرصفة والبنايات، والناس في المدينة كأنهم ينتعلون الليل، ولا تهتدي خطاهم، فما تزال الوحشة تصحبهم يقول الشاعر[58]:

وَرُقْيَا الرِّيَاضِ

أُنَاسٌ يَمُرُّوْنَ بَيْنَ الْبِنَايَاتِ يَنْتَعِلُوْنَ الدُّجَى

حَلُّوْا شَمْسَهُمْ وَاسْتَبَاحُوْا الْغُيُوْمَ وَعَادُوْا إِلَى وَحْشَةِ الْأَرْصِفَةِ

والشاعر إبراهيم الوافي[59] ينظر إلى المدينة على أنها مملوءة بالجوع، وأن أهلها غريبون عنه ولا يلبث الخوف مسيطرًا على نفس الشاعر حتى من طرقات المدينة، مما يدفعه إلى الشعور بالظرف، ويصف هذا كله بأنه حكاية ظريفة، يقول[60]:

الْمَدِيْنَةُ تَحْمِلُ فِي عَامِنَا مَرَّتَيْنِ

مَرَّةً بِالسَّحَابِ الَّذِي تَتَلَهَّى بِهِ الرِّيْحُ

حِيْنَ تَهُبُّ شَمَالاً

وَأُخْرَى بِصَوْتِ الْغَرِيْبِيْنَ حَوْلِي

يَسُوْمُوْنَنِي سُوْءَ جُوْعِي

عَلَى أَوَّلِ الطُّرُقَاتِ الْمُخِيْفَة

حَكَايَا ظَرِيْفَة

([58]) الوافي، إبراهيم: وحيدًا من جهة خامسة، النادي الأدبي بالرياض، الرياض ـ السعودية، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، الطبعة الأولى، 2008م، ص: 17.

([59]) هو الشاعر السعودي: إبراهيم أحمد الوافي، من مواليد عام 1969م، كاتب صحفي وناقد، مسؤول بيت الشعر في النادي الأدبي مدينة الرياض، حصل على جائزة الإبداع الشعري من صحيفة الرياض لعام 2001م، له عدد من الدواوين الشعرية منها: رماد الحب: 1989م، سقط سهوًا: 2000م، وحدها تخطو على الماء: 2004م، أعذب الشعر امرأة: 2007م.

([60]) الوافي: وحيدًا من جهة خامسة، ص: 55 ـ 56.

فالصحراء والبادية والريف تمثل كلها الأمس عند الشاعر، والمدينة تمثل عنده اليوم، يقول[61]:

عُدْ مِنْ بِلَادِ الْأَمْسِ يَا قَلْبِي

رَمَيْتُ عَمَامَةَ الصَّحْرَاءِ عَنْ رَأسِي

وَعَنْ كَتِفَيَّ أَلْقَيْتُ السَّكِيْنَةَ

عُدْ فِي الْمَدِيْنَةِ أَلْفُ مِئْذَنَةٍ

وَرَبُّ النَّاسِ فِيْهَا نَفْسُهُ الْبَدَوِيُّ

نَفْسُ حِذَائِهِ الْجِلْدِيِّ

نَفْسُ كَلَامِهِ الْأَبَدِيِّ

وبذا، يلحظ أنّ الخيمة عند الشاعر السعودي قد بدت متألقة على القصر، وبدت في تيهها متفاخرة بأنها غلبته، مما يدفع الشاعر إلى وصف القصر بالفشل، فالرونق والجمال كله عائد إلى البادية، يقول[62]:

هَذَا أنَا الْخَيْمَةُ يَا سَائِلَتِي

خَارِجَةً مِنْ فَشَلِ الْقُصُوْرِ وَالْكُهُوْفِ

أَحْمِلُ أَلْفَ لَيْلَةٍ

وَالشِّعْرَ وَالْأَشْوَاقَ وَالدُّفُوْف

ويبتعد الأمر بالشاعر السعودي حتى يصل به إلى أن يصف المدينة بأنها موئل لتعاطي الخمور والنبيذ المعتّق فيها، والناس فيها لا يتحلون بالدين القويم، فإن قبلتهم امرأة، وهذا رمز للهو والتعلّق بالنساء في المدينة، كما أن المدينة كالقصيدة، تلهو، وتلعب، وتبكي وتضحك، وتغتاب شاعرها فهي موئل لكل هذه الصفات السيئة، ولا يرى الشاعر بدًّا من الضيق من هذه المدينة يقول إبراهيم الوافي[63]:

([61]) الوافي: وحيدًا من جهة خامسة، ص: 73.

([62]) الوشمي، عبدالله بن صالح: البحر والمرأة العاصفة، نادي القسيم الأدبي، بُرَيْدة ـ السعودية، الطبعة الأولى، 2002م، ص: 43.

([63]) الوافي: وحيدًا من جهة خامسة، ص: 101.

الْمَدِيْنَةُ مَخْمُورَةٌ تَتَعَاطى النَّبِيْذَ الْمُعَتَّق

صَلَّى بِهَا النَّاسُ قِبْلَتُهُمْ صَوْتُ أُنْثى تَمُوْتُ

الْمَدِيْنَةُ مِثْلُ الْقَصِيْدَةِ تَبْكِي وَتَضْحَكُ تَلْهُوْ وَتُنْهَكُ.. تَغْتَابُ شَاعِرَهَا فِي حَدِيثِ الْبُيُوْت

بين الحب والغزل:

يمثل غرض الغزل ووصف الحب والنسيب والتشبيب بالنساء أبرز الأغراض الشعرية التي عرفها الشعر العربي قديمًا وما زال حتى عصرنا الحاضر، فالشاعر حين يُضمن قصيدته مجموعة من أبيات النسيب، ويجعلها في مقدمة القصيدة فإنه يجذب إليه الأسماع، ويستميل إليه القلوب؛ إذ النفس تتوق للغزل والنسيب، وتتعلق بهما، كما أن الإنسان مجبول على حب النساء وليس أحد في الكون إلا ضارب فيه بسهم حلال أو حرام(64).

ولا تقتصر نظرة الشاعر السعودي إلى المدينة على أنها رمز للاغتراب، أو الحنين، أو رمز للضيق الوجداني العاطفي الذي يعانيه الشاعر نتيجة لإحساسه بأن المدينة لا تقدم له ما يقدمه الريف أو القرية أو حتى البادية، لا يقتصر الأمر عند الشاعر السعودي على هذا، بل نجده ينظر إلى المدينة نظرة متفائلة في بعض الأحيان، ويرى فيها ملامح الحب والانجذاب العاطفي الوجداني، فيصفها بأجمل العبارات، ويصورها أحلى الصور، فتظهر مدينة جدة مثلاً عروسًا للبحر، ويظهر الشاعر عاشقًا لتلك المدينة وفجرها الذي يتسلل من بين السحب، ويقبل أرضها في ودّ وفخر وإعجاب، والطيور تغني فرحة على أغصان الأشجار، وتشدو بأجمل الألحان والطرب ولا تختفي صورة البحر وزوارقه الصغيرة التي تغفو على الشاطئ متعبة من سيرها في البحر واستقبالها الموج، فهذا كلّه يدفع الشاعر إلى التغنّي بهذه المدينة، حتى تنطبع في ذهنه على أنها أجمل أرض، وليس هناك مكان في الدنيا ينافسها في جمالها، ولا يُلام الشاعر حين يتغنى بهذه المدينة كل هذا التغنّي، فهي أرض القداسات، وأرض السواري والجيوش التي تستلهم النصر بتوحيدها لله سبحانه وتعالى وتمسّكها بالسيوف المشرعة، يقول(65):

أَحْبَبْتُ فَجْرَكِ مُنْسَلًّاَ مِنَ السّ ... يُقَبِّلُ الْأَرْضَ فِي تِيْهٍ وَفِي عَجَبِ

وَالطَّيْرُ تَشْدُوْ عَلَى أَغْصَانِهَا فَرَحًا ... تُذَوِّبُ اللَحْنَ فِي شَجْوٍ وَفِي طَرَبِ

زَوَارِقُ الْبَحْرِ أَغْفَتْ فِي شَوَاطِئِهَا ... تَسْتَقْبِلُ الْمَوْجَ فِي رِفْقٍ مِنَ التَّعَبِ

---

(64) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري: الشعر والشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1423هـ، ج: 1، ص: 76.

(65) جوهرجي، محمد إسماعيل: المجموعة الشعرية الكاملة لشعر الأصالة، جدة ـ السعودية، فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى، 2011، 2012م، ج: 1، ص: 233.

غَنَّيْــــتُ أَرْضَــــكِ لَــــا أَرْضٌ تُنَافِسُــــهَا   فَهَــلْ يُلَــامُ مُحِــبُّ الْــأَرْضِ وَالْعُشُـــبِ
أَرْضُ الْقَدَاسَـــاتِ كَـــمْ فَجَّـــرْتِ سَـــارِيَةً   تَسْـــتَلْهِمُ الرُّشْـــدَ بِالتَّوْحِيْـــدِ وَالْقُضُـــبِ

ونجد الشاعر خالد محمد سالم يربط الجمال بجدة، حتى إنه يهوى تلك المدينة، ويهوى من فيها فهي مهد الظباء، ولا يكتم الشاعر هواه لتلك الظباء التي تقطن جدة، كما لا يكتم هواه للبحر والشاطئ الذي ينزل فيه ذلك البدر، فيرسل تحيته وسلامه ومحبته إلى ذلك البدر، وذلك الجمال المتمثل في جدة بوصفه شاعرًا يمتاز بشعوره الجم الرقيق، لذا فهو هاوٍ لجميع أشكال الجمال ولشتى ألوانه، يقول(66):

إِنِّـــــــيْ لَأَشْـــــــكُوْ جَـــــــدَّةً   مَهْـــــــدَ الظِّبَـــــــاءِ بِلَـــــــا فُتُـــــــوْرِ
وَالْبَحْـــــــرُ وَالشَّـــــــطُّ الَّـــــــذِيْ   نَزَلَـــــــتْ بِـــــــهِ أُخْـــــــتُ الْبُـــــــدُوْرِ
فَتَحِيَّـــــــــــــةً وَمَحَبَّـــــــــــــةً   مِـــــــنْ شَـــــــاعِرٍ جَـــــــمِّ الشُّـــــــعُوْرِ
يَهْـــــــوَى الْجَمَـــــــالَ بِكُـــــــلِّ مَـــــــا   يَحْـــــــوِيْ الْجَمَـــــــالُ مِـــــــنَ السُّـــــــطُوْرِ

وهذا الشاعر علي دغريري يصف حبه الشديد وهواه المولع بالوطن ومدنه، وكيف لا يحب ويهوى وطنه وهو الذي نشأ فيه، وعاش فيه، وجذوره منه، فالشاعر قد فُطِر على حب هذا الوطن، فمنذ أن كان طفلًا صغيرًا والتمائم في يده عرف حب الوطن وعشقه، وهو لا يفرق في حبه بين حالة وأخرى للوطن، فهو يحبه في حال خصبه، وفي حال جدبه، وفي حال حره الشديد وفي حال مطره، ففي كل هذه الأحوال نجد الشاعر عاشقًا لوطنه محبًا له، وانطلاقًا من هذا الحب فإنه يفتدي وطنه بدمه وروحه، فهو يحيا لأجله، ويموت لأجله، يقول الشاعر(67):

وَطَنِـــي أَتَيْـــتُ أَصُـــوْغُ نَـــبْضَ خَـــوَاطِرِي   وَأَبُـــثُّ بَعْـــضَ مَشَـــاعِرِي وَشُـــعُوْرِي
وَلَسْـــتُ مِنْـــكَ؟ أَلَسْـــتَ مَهْـــدَ أُرُوْمَتِـــي؟   وَمَرَابِـــعَ الْأَمْجَـــادِ مُنْـــذُ عُصُـــوْرِ
أَنَـــا مِـــنْ ثَـــرَاكَ فَلِـــي نَصِـــيْبٌ فِـــي الْهَـــوَى   خَيْـــرِي لَمِنْـــكَ وَمِـــنْ ثَـــرَاكَ جُـــذُوْرِي
وَعَلَـــى رُبَـــاكَ الطُّهْـــرُ كَلَّلَهَـــا النَّـــدَى   بَيْتِـــي الصَّـــغِيْرُ وَمَلْعَبِـــي وَغَـــدِيْرِي

---

(66) سالم: المجموعة الشعرية الكاملة، ص: 432.
(67) هو الشاعر السعودي: علي بن علي أحمد رديشدغريري، سعودي الجنسية، من مواليد قرية دغارير من محافظة أح المسارحه، بمنطقة جازان، عام 1380هـ، 1960م، حاصل على بكالوريوس اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمل مدرسًا في التعليم الثانوي والمتوسط داخل المملكة وخارجها، نُشرت بعض أعماله في المجلات والصحف المحلية، شارك في مجموعة كبيرة من الاحتفالات والمهرجانات الأدبية، عضو نادي جازان الأدبي: بين الزحام، ص: 17.

إنِّـــي عَشِـــقْتُكَ وَالتَّمَـــائِمُ فِـــي يَـــدِي فَمَلَكْــــتَ قَلْبِــــي بِـــالْهَوَى الْمَفْطُـــوْرِ
وَطَنِـــيْ تُرَابُـــكَ فِـــي سَـــوَادِ نَـــوَاظِرِي كُحْلِـــي وَمَـــوْرُ الْعَاصِـــفَاتِ عَبِيْـــرِي
أَهْـــوَاكَ مَمْطُـــوْرَ الْجِهَـــاتِ وَمُجْـــدِبًا أَهْـــوَاكَ فِـــي الْأَرْجَـــاءِ لَفْـــحُ هَجِيْـــرِ
بِـــــدَمِي أَذُوْدُ وَأَفْتَــــدِيْكَ بِمُهْجَتِـــــي هـــذَا الَّـــذِي بِيَـــدِي وَفِـــي مَقْـــدُوْرِي
أَقْسَـــمْتُ أَنْ أَحْيَـــا لِأَرْضِـــكَ وَاهِبًـــا عُمْـــرِي وَأُدْفِـــنُ فِـــي ثَـــرَاكَ مَصِـــيْرِي

وتستمر صورة المكان عند الشاعر السعودي، فنجده يتغزل بوطنه كأنه محبوبته التي يُكنّ لها من الحب ما يُكنه، فيتغنى بجمالها وفتنتها، غير أنها ليست كسائر النساء الأخريات، وإنما هي في غاية الحب والجمال في قلبه، هكذا ظهرت صورة الجوف عند الشاعر أحمد السالم؛ إذ يقول[68]:

حُـــبٌّ سَـــرَى بَـــيْنَ الضُّـــلُوْعِ وَتَاهَـــا رِفْقًـــا بِهَـــا يَـــا حُـــبَّ مَـــنْ أَهْوَاهَـــا
فَتَّانَـــــةٌ مَلَكَــــتْ فُـــؤَادِيَ وَارْتَمَــــتْ فِيْــــهِ بِكَامِــــلِ حُسْــــنِهَا وَبَهَاهَــــا
مَـــا زَادَ فِـــي شَـــجَنِي وَذِلَّـــةِ خَـــاطِرِيْ وَأَبَـــانَ ضَـــعْفِ إِرَادَتِـــي إِلَّاهَـــا
بِنْـــتٌ وَلَيْسَـــتْ كَالْبَنَـــاتِ وِصَـــالُهَا حُلْـــوٌ وَمُـــرٌّ صَـــدُّهَا وَجَفَاهَـــا

كُـــلٌّ يُؤَمِّـــلُ مَكْسَـــبًا فِـــي شُـــغْلِهِ إِلَّـــا أَنَـــا فَالشُّـــغْلُ كَـــانَ هَوَاهَـــا
كَالْبَـــدْرِ فَـــاتِنَتِي تَجَلَّـــتْ وَازْدَهَـــتْ فَتَبَـــــارَكَ اللهُ الَّـــــذِي جَلَّاهَـــــا

ونجد الشاعر السعودي يصف المدينة بأنها فاتنة، فيناديها بألفاظ الحب والهوى، فلولا الهوى لما تكلم الشاعر عن حب هذه المدينة، ولم يودّع غيرها من الأماكن والمدن الأخرى، فحب المدينة ليس فيه عذل ولوم كحب النساء، وذلك إذ يقول[69]:

أَفَـــاتِنَتِي لَوْلَـــا الْهَـــوَى مَـــا تَكَلَّمْـــتُ وَلَوْلَـــاكِ مَـــا وَدَّعْـــتُ نَجْـــدًا وَاتهَمْـــتُ
عَشِـقْتُكِ يَـا (أَبْهَـا) كَغَيْـرِي مِـنَ الْـوَرَى وَلَـوْ لَـامَ كُلُّ النَّـاسِ لَـافِيَ الْحُبِّ مَا لُمْتَ
عُرِفْـــــتُ مُحِبًّـــا لِلْجَمَـــالِ وَأَهْلِـــهِ وَيَـــا قَلَّمَـــا عَـــنْ ذِكْـــرِ مَغْنَـــاهُ أَرْغِمْـــتُ

فالشاعر يصف نفسه بأنه قد تفنن في حب الديار وعشقها ووصف مشاعر الحب تجاهها فلولا هذا الحب والهوى العظيمان لمّا تفنن الشاعر في وصف البلاد؛ إذ لا يمكن له أن يغض طرفه عن جمال هذه البلاد والمدن التي يعيش فيها، فذكر حبها في كل حال، فإن قام ذكر حبها وإن قعد ذكر

(68) السالم، أحمد بن عبدالله. ديوان بوح الخاطر، السعودية، الطبعة الأولى، 1418هـ، 1997م، ص: 52.
(69) السالم. ديوان بوح الخاطر، ص: 68.

حبها أيضًا، فمن هنا تفنن في وصف هذه البلاد، وهو في حاله تلك ليس وحيدًا، بل هناك غيره الكثير من وقع في حب هذه الأمكنة والمدن، وما هو إلا واحد كغيره من العشاق يقول[70]:

تَفَنَّنْتُ فِي عِشْقِ الدِّيَارِ وَوَصْفِهَا   وَلَوْلَا تَبَارِيْحُ الْجَوَى مَا تَفَنَّنْتُ

فَكَيْفَ أَغُضُّ الطَّرْفَ عَنْ أَجْمَلِ الرُّؤَى   وَذِكْرَى هَوَاهَا إِنْ قَعَدْتُ وَإِنْ قُمْتُ

فَسَوْدَةُ وَالْقَرْعَا وَثَمَّ سِوَاهُمَا   كَمَا هَامَ غَيْرِيْ فِي هَوَاهُنَّ قَدْ هِمْتُ

ولا يتوقف الشاعر أحمد السالم عن وصف حبه العظيم لبلاده، وإبراز ما استقر في قلبه من هذا الحب، فهو يحس موضع ذلك الحب في فؤاده، ثم إنه يسري في أوردته وشرايينه كأنه يغني، فكل امرئ في هذه الدنيا له ذوق في الحب، غير أن حب هذه البلاد ليس فيه ذوق، وإنما هو مخلوق مع الإنسان فطريًا، ومن أسباب هذا الحب الكبير للمدن السعودية عائد إلى وجود الأهل والجيران في هذه البلاد، يقول[71]:

بِلَادِيْ هَوَاهَا فِي فُؤَادِي أُحِسُّهُ   لَهُ أُغْنِيَاتٌ فِيْ وَرِيْدِيْ وَشِرْيَانِي

إِذَا حَارَتِ الْأَذْوَاقُ فِيْ حُبِّ غَيْرِهَا   فَحُبُّ بِلَادِيْ لَيْسَ فِيْهِ ذَوْقَانِ

فَمَا وَطَأَتْ رِجْلِيْ دِيَارًا عَزِيْزَةً   كَدَارٍ بِهَا أَهْلِيْ وَصَحْبِيْ وَجِيْرَانِي

الافتخار بالوطن:

يظهر الشاعر السعودي مفتخرًا بالمدن السعودية الكبيرة التي لها من التاريخ ما لها، فيُبرز تلك الشمائل الرجولية التي يتسم بها سكانها، كما يُظهر علاقتهم الفطرية بالدين، فهم لا ينكرون قيمة هذا الدين في حياتهم، هكذا تظهر المدينة في بعض الأحيان عند الشعراء، ومن ذلك قول الشاعر أحمد السالم مفتخرًا بمدينة الجوف[72]:

وَإِذَا تَفَاخَرَتِ الدِّيَارُ فَدَارُكُمْ   يَسْمُوْ بِأَلْوَانِ الْفَخَارِ بِنَاهَا

إِنْ لَجَّ (مَارِدُ) مُعْرِبًا عَنْ نَفْسِهِ   تَبِعَتْهُ (زَعْبَلُ) وَاسْتَقَلَّ نِدَاهَا

وَإِذَا (الرَّجَاجِيلُ) أَوْمَأُوْا بِشِمَالِهِمْ   فَالْبِئْرُ (سَيْسَرُّ) أَوْمَأَتْ يُمْنَاهَا

وَإِذَا السُّكُوْنُ أَحَاطَهَا بِرِدَائِهِ   وَاسْتَسْلَمَتْ لِمَنَامِهَا عَيْنَاهَا

---

(70) السالم: ديوان بوح الخاطر، ص: 69.

(71) السالم: ديوان بوح الخاطر، ص: 94 - 95.

(72) السالم. ديوان بوح الخاطر، ص: 53.

رَفَعَ الْمُؤَذِّنُ صَوْتَهُ مِنْ مَسْجِدِ ... الْخَطَّابِ يَدْعُوْ النَّاسَ نَحْوَ تُقَاهَا
وَإِذَا اسْتَكَانَتْ صَوْتُ (إِثْرَةٍ) هَاجَهَا ... وَنَدَاءُ (كَافٍ) مَا أَعَزَّ نَدَاهَا
هَذِيْ الْمَآثِرُ كُلُّهَا قَدْ سُطِّرَتْ ... فِي دَوْحَةِ التَّارِيْخِ فَاحَ شَذَاهَا

وجميع المدن السعودية ذات تاريخ مشرق، وبطولات فاخرة عبر الزمان، تجعل الشعراء يتغنون بهذه البطولات والأمجاد، فالجزيرة كلها قادرة على البطولة وردّ البغاة عنها، فهي التي يفوح منها الطيب والعطر إلى الكون كله، وإن غاية فخر المدن السعودية أن دين الإسلام شع منها، وانطلقت الرسالة السماوية من أرجاء هذا الوطن، فأثمرت الدنيا في الزمان المجدب واستمرت مواكب النور تمضي عبر توالي القرون والأزمان، ورغم ما وقف في طريق هذا الوطن من عقبات ومحن، إلا أنه مضى في طريقه إلى العلياء لما حظي به من محبين ومجيبين لدعاء البطولة والفداء، يقول الشاعر(73):

أَنَا أَرْضُ الْجَزِيْرَةِ ارْتَدَّ عَنِّيْ ... كُلُّ بَاغٍ يُدِيْرُ مُقْلَةَ ذِيْبِ
تُرْبَتِيْ أَنْبَتَتْ أَزَاهِيْرَ خَيْرٍ ... فَاحَ مِنْهَا لِلْكَوْنِ أَجْمَلُ طِيْبِ
هَزَّ دِيْنُ الْإِسْلَامِ جِذْعِيْ فَأَعْطَى ... ثَمَرَ الْخَيْرِ فِيْ الزَّمَانِ الْجَدِيْبِ
وَمَضَتْ بِيْ مَرَاكِبُ النُّوْرِ تَلْوِيْ ... عُنُقَ الرِّيْحِ نَحْوَ رَوْضِيْ خَصِيْبِ
وَاعْتَرَتْنِيْ عَلَى الطَّرِيْقِ هُمُوْمٌ ... وَأُقِيْمَتْ حَوَاجِزٌ فِيْ دُرُوْبِيْ
غَيْرَ أَنِّيْ مَضَيْتُ أَدْعُوْ وَأَحْظَى ... كُلَّ يَوْمٍ بِطَائِعٍ وَمُجِيْبِ

ويظهر هذا الفخر بالوطن من خلال ذكر المدن وتعداد أسمائها ضمن القصيدة الشعرية، والتغني بحبها، فهذا الشاعر العواجي يعدد بعضًا من المدن السعودية كالسودة، والباحة ونجران، وجازان فكل هذه المدن السعودية سبيل لعشق الشاعر، وسبيل لتغنيه بها، والافتخار بما فيها من خيرات وجمال، يقول الشاعر(74):

يَا ذُرَى (السَّوْدَةِ) مُدِّيْ أَذْرُعًا ... تَحْضِنُ الشَّاطِئَ فِيْ نِصْفِ الْقَمَرْ
وَالْثُمِيْ (الْبَاحَةَ) مَا أَرْوَعَهَا ... طِفْلَةً تَخْتَالُ كَالْغُصْنِ النَّضِرْ

---

(73) العشماوي، عبدالرحمن صالح: يا أمة الإسلام، مكتبة العبيكان، الرياض – السعودية، الطبعة الثالثة، 1427هـ، 2006م، ص: 83 – 84.
(74) العواجي: الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 329.

وَتَهــــادَيْ صَـــوْبَ (جَـــازَانَ) الَّتِـــيْ نَبْضُـــــهَا نَبْضِـــــيْ بِبَحْـــــرٍ اَوْبَـــــرْ
وَامْنَحِـــيْ (نَجْـــرَانَ) عَهْـــدًا قاطِعًـــا وَاجْعَلِـــيْ دَفْقَـــكِ فِـــي الْـــوَادِيْ نَهَـــر
وَارْقُصِـــيْ جَـــذْلَى عَلَـــى سَـــهْلِ الأبَـــا وَامْرَحِـــيْ نَشْـــوَى بِسَـــاحَاتِ الزَّهَـــر

ويمزج الشاعر السعودي الفخر بالوصف في حديثه عن المدينة السعودية، فيشبهها بالقمر تارة وبالحجارة الكريمة تارة ثانية، فهي عنده ثمينة جدًا، ويفتخر بها إلى حد لا يمكن معه تحمل البعد عنها، ولا بد للنفس من أن ترتاح في هذه المدن الجميلة، فعلى الرغم من شدة الشوق إلى بعض هذه المدن إلا أن بًعد المكان يمنع الشاعر من مداومة تلك الزيارة، فأبهى الجميلة في جنوب السعودية بينها وبين الرياض آلاف مؤلفة من المسافات، وهذه المسافة إذا أراد الشاعر أن يقطعها فإنها بعيدة جدًا إلى حدّ يملّ فيه المسافر إليها، غير أنه قطعها شوقًا وحبًا لملاقاة أهلها، يقول الشاعر[75]:

بهـــاء (أبهـــا) الـــذي يبـــدو أم القمـــر أم أنَّهـــا طلعـــة الحســـناء مـــا الخبـــر؟
يَاقُوْتَـــةُ الصَّـــيْفِ يَـــا أبْهَـــا أمِـــنْ خَطَـــرٍ عَلَـــيَّ إنْ زُرْتُ أمْ صَـــدِّيْ هُـــوَ الْخَطَـــرُ؟
لِلـــنَّفْسِ مِـــنْ وَقْتِنَـــا وَقْـــتٌ نُـــرِيْحُ بِـــهِ هَـــلْ تُتْـــرَكُ الـــنَّفْسُ لِلآلَـــامِ تَعْتَصِـــرُ؟
أمَّـــــا أنَـــــا فَـــــدَوَامِيْ فِـــــيْ زِيَارَتِهَـــــا يَشُـــوْبُهُ – رَغْـــمَ تِجْـــذَابِ الْهَـــوَى – قَتَـــرُ
أخْشَـــى تَعَلُّـــقَ قَلْبِـــيْ وَالطَّرِيْـــقُ عَلَـــى مِثْلِـــيْ يَطُـــوْلُ وَإنْ أقْـــوَى وأاتَّـــزِرُ
بَيْنِـــــيْ وَبَيْنَـــــكِ آلَـــــافٌ مُؤَلَّفَـــــةٌ مَـــنَ الْخُطَـــا جُلُّهَـــا سَـــفْحٌ وَمُنْحَـــدَرُ
مِـــنَ الشَّـــمَالِ إلَـــى قَلْـــبِ الْجَنُـــوْبِ هُنَـــا ثَلَاثَـــةٌ مِـــنْ ألُـــوْفٍ مَلَّهَـــا السَّـــفَرُ
طَوَيْتُهَـــــا كَـــــيْ ألَـــــاقِيْكُمْ وَأنْشِـــــدُكُمْ فَالشِّـــعْرُ مِـــنْ فَيْضَـــهِ تُسْـــتَنْبَطُ الـــدُّرَرُ

ولا ينسى الشاعر السعودي تاريخ مدنه المقدس، فإنها مدن قد أخرجت أبطالًا أفذاذًا وجيشت الجيوش التي تستلهم النصر من قضب الرماح ونصال السيوف، يقول الشاعر محمد جوهرجي[76] واصفًا مدينة جدة[77]:

---

(75) السالم: عندما كنت هناك، ص: 60.
(76) هو الشاعر السعودي: محمد اسماعيل جوهرجي، من مواليد مكة المكرمة في عام 1356هـ، تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوية في مكة المكرمة، التحق بجامعة الملك سعود بالرياض، نشر معظم إنتاجه الشعري في المجلات والصحف السعودية، من أعماله الشعرية، أحلام اصبا، النغم الظامئ، عطر وموسيقى، اليقين، أبخرة الرماد، نبض الظفائر، شرخ الضمير، علاوة على مجموعة من المؤلفات في اللغة العربية والنحو.
(77) جوهرجي. المجموعة الشعرية الكاملة لشعر الأصالة، ج: 1، ص: 233.

أرْضُ الْقدَاسَـــــاتِ كَـــمْ فجَّـــرْتِ سَـــارِيَةً   تَسْـــتَلْهِمُ الرُّشْـــدَ بالتَّوْحِيْـــدِ وَالْقُضُـــبِ

ونجد الشاعر السعودي تتجاذبه الأحاسيس والعواطف حينما يتطرق للحديث عن المدن السعودية، فتارة يفتخر، وأخرى يتشوق ويتوق لتلك المدن، وأخرى يجعل من هذه المدن سبيلًا لإبراز عواطفه الجياشة تجاه الوطن، فليس المكان وحده عزيز على الشاعر، متمكن من قلبه وحبه، بل إن سكان هذه المدن لهم مكان كبير في قلوب الشعراء، يقول الشاعر أحمد السالم[78]:

فجَـــاءَنِي هَـــاتِفٌ فِـــي صَـــوْتِهِ شَـــغَفٌ   إلَـــى الْقَـــوَافِي وَيَسْـــتَجْدِي مُلَاقَـــاتِي
كَـمْ قُلْـتُ لَـا حِـيْنَ كَـانَ الظَّـرْفُ يَمْنَعُنِـي   وَكَـــمْ تَـــذُوْبُ مَـــعَ الْإِصْـــرَارِ لَـــاءَاتِي
إنَّ (الْقُرَيَّـــــاتِ) تَـــدْعُوْكُمْ لِأُمْسِـــيَةٍ   فقُلْـــتُ: أهْلًـــا بِسُـــكَّانِ (الْقُرَيَّـــاتِ)
فَالْأَهْـلُ أهْلِـــي وَهَـــذِي الـــدَّارُ مُنْتَجَعِـــي   هُـــمْ سَـــادَتِي بِفَخَـــارٍ وَهْـــيَ مَوْلَـــاتِي
لَـــمْ يَفْصِـــلِ الْبُعْـــدُ فِيْمَـــا بَيْنَنَـــا أبَـــدًا   فَفِـــي مَرَابعِهَـــا أقْـــوَى عَلَاقَـــاتِي

المدينة الدينية:

حبا الله سبحانه وتعالى المملكة العربية السعودية بأن جعل فيها قبلة المسلمين، والحرم المدني الشريف، فهذان المكانان من أقدس بقاع الأرض، فكانت بذلك مدينة مكة المكرمة والمدينة المنورة رمزًا للجوانب الدينية التي تغنى بها الشعراء. ولمّا كان لهاتين البقعتين الطاهرتين تلك المكانة، فإن الباحث سيتحدث عنهما على نحوٍ مفصّل في مبحث خاص ضمن الفصل الثالث، أما ما سيُورده هنا فهو مجرد إشارة عامة لمّا لهاتين المدينتين الدينيتين من مكانة في نفوس الشعراء.

حظيت مكة المكرمة بمكانة عظيمة في نفوس الشعراء الذين عاشوا فيها، وأمضوا شطرًا من حياتهم في جنابتها المقدسة، فكان لتلك الحياة المقدسة موضعًا عظيمًا في نفوسهم، ومكانة كبيرة في أرواحهم. وبلا شك فإن حب مكة يضيء الجنان، وتلمّس أركانها يهب الأمان، ورؤياها فيض أشواق، ويمتاز الشعر المعاصر الذي تناول الحديث عن مكة المكرمة بأن شعراءه قد أفردوا قصائد مخصوصة للحديث عن هذا المكان المقدّس، وبيان شوقهم العظيم إليه. صحيح أن القدامى قد تحدثوا عن تلك الجوانب الروحانية التي يشعرونها تجاه مكة المكرمة، إلا أن شعراء هذا العصر تميّزوا بحديثهم عن شوقهم الفياض لمكة المكرمة، ومشاعرهم الجياشة تجاهها[79].

([78]) السالم، أحمد بن عبدالله: ديوان عندما كنت هناك، دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض ـ السعودية، الطبعة الأولى، 1433هـ، 2012م، ص: 17.

([79]) حسين، عبدالرزاق. مكة المكرمة في عيون الشعراء العرب، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1434هـ، 2013م، ص: 38.

ولا يختلف وصف الشعراء لمكة المكرمة في أشعارهم؛ وذلك لأنهم يعتمدون في أغلب الأحيان على وصف مشاعرهم المقدسة تجاه هذا المكان المقدس، كما يعتمدون على بيان علو هذا المكان وشرفه بالنسبة إليهم وإلى سائر المسلمين، مما يجعل حديث هؤلاء الشعراء عن هذا المكان المقدس حديثًا متشابهًا في أكثر الأحيان[80].

بناء على ما سلف، نجد الشاعر محمد جوهرجي مثلاً يصف مشاعره الفياضة تجاه مكة المكرمة والمدينة المنورة، متغنيًّا بهما؛ ففيهما النور طالع، ومنهما خرج الإسلام نورًا يهدي الشعوب، فقد اندحر الشرك والأصنام بحلول دين الإسلام من مكة المكرمة ثم ذهابه إلى المدينة المنورة، والحب للمدينة المنورة لا يعادله حب، فلا يزال الشاعر خافق القلب بحب هذه البقعة الطاهرة من الأرض يقول[81]:

غَنَّيْتُ (مَكَّةَ) حَيْثُ النُّوْرُ مُؤْتَلِقٌ   وَجْهًا يُجَلِّيْ ظَلَامَ الشِّرْكِ وَالنُّصُبِ

بِأَرْضِ (طِيْبَةَ) حُبِّيْ لَا يُعَادِلُهُ   خَفْقُ الْهُيَامِ لِصَبٍّ مُغْرَمٍ نَحِبِ

ونجد الشاعر عبد العزيز خوجه[82] يصف المدينة المنورة وصفًا جميلًا حاملًا هذا الوصف لولده فهي الوجهة الصحيحة لهما؛ إذ هي مدينة يحرسها نور النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- هي تحرسها الملائكة فلا يقربها الشر ولا الشرك، وهناك حيث الراحة النفسية والطمأنينة الأزلية يغسل المرء همه، وينجلي تعبه، فالطريق إليها كأنه طريق نحو السماء، يقول الشاعر[83]:

وَلَدِيْ يَا وَلَدِيْ

لَيْسَ فِيْ وِجْهَتِنَا غَيْرُ الْمَدِيْنَة

دُرَّةٌ يَحْرُسُهَا نُوْرُ النَّبِيِّ الْأَمجَدِ

بَابُهَا يَرْعَاهُ مِلْيُوْنُ مَلَاكْ

---

(80) حسين. مكة المكرمة في عيون الشعراء العرب، ص: 40.

(81) جوهرجي: المجموعة الشعرية الكاملة لشعر الأصالة، ج: 1، ص: 233.

(82) هو الشاعر السعودي: عبدالعزيز محيي الدين خوجه، ولد سنة 1361هـ، 1942م، يحمل شهادة الدكتوراه في الكيمياء من جامعة برمنغهام بإنجلترا، عُيّن أستاذًا للكيمياء في كلية التربية بمكة المكرمة، ثم عميدًا لها ومشرفًا عامًا على الجامعة، كما درّس في جامعة الملك عبد العزيز، قام بأعمال المدير العام لجهاز تلفزيون الخليج، عُيّن وزيرًا للثقافة والإعلام في عام 2009م، له مؤلفات علمية في الكيمياء، وصدرت له عدة دواوين شعرية منها: حنانيك، عذاب البوح، بذرة المعنى، حلم الفراشة، الصهيل الحزين، إلى من أهواه، أسفار الرؤيا، قصائد حب، ديوان عبدالعزيز خوجه، ومائة قصيدة وقصيدة للقمر، رحلة البدء والمنتهى، والحب يُقرئك السلام، وسبحان من خلق.

(83) خوجه: الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 482.

اغْسِلِ الْهَمَّ هُنَاكْ

دَرْبُهَا أَجْنِحَةٌ نَحْوَ السَّمَاءْ

وهذا الشاعر محمد جوهرجي من جديد يشير خلال شعره إلى المكانة الدينية الرفيعة التي تحظى بها مدينة مكة المكرمة؛ فهي موضع الرسالة، ومنها شعّ نور الإسلام، فكانت وجهًا مضيئًا أزال به الله -سبحانه وتعالى- ظلام الشرك وعبادة الأوثان، فمن غار حِراء انبعث النور الإلهي كأنه قنديل يبث النور للأمم، يقول[84]:

مِـــنْ أَرْضِ مَكَّـــةَ شَـــعَّ النُّـــوْرُ مُؤْتَلِقًـــا وَجْهًـــا يُجَلِّـــيْ عَتَّـــامَ اللَّيْـــلِ وَالسُّـــدُمِ

هَـــذَا حِـــرَاءٌ عَلَـــى مَـــرْأى يُطَالِعُنَـــا قِنْـــدِيْلَ ضَـــوْءٍ يُفِـــيْضُ النُّـــوْرُ لِلْـــأُمَمِ

ب. الريف والقرية:

يمثل الريف أو القرية موئل الراحة والطمأنينة والسكينة التي يعيشها الإنسان عمومًا والأديب أو الفنان خصوصًا؛ إذ تمتاز الحياة في الريف بأنها أكثر تماسكًا من الناحية الاجتماعية؛ وذلك لأن سكان الريف والقرية يمتازون بأنهم أكثر تجانسًا وتماسكًا إذا ما قيس المجتمع القروي الريفي بمجتمع المدينة، وبحكم طبيعة الحياة الريفية التي يعيشها هؤلاء الناس المتجانسون فإنهم يشعرون دائمًا بسعادة غامرة، كما أن حياتهم أكثر فرحًا إذا ما قيست أيضًا بحياة المدينة وعلاقتهم بالمكان علاقة وثيقة، فالحياة الزراعية التي يحيونها تؤدي إلى شعورهم بالتمسك أكثر فأكثر بالأرض -المكان- التي يعيشون فيها، وكذلك يمتاز مجتمع القرية بأنه خالٍ من الضغوطات النفسية الكبيرة التي يعانيها سكّان المدن، ومن الميزات التي يمتاز بها مجتمع القرية أو الريف أن سكانه أكثر تماسكًا وترابطًا اجتماعيًا، فهم يعرفون بعضهم بعضًا، مما يؤدي إلى مزيد من التماسك والترابط بين أهالي تلك القرية أو الريف[85].

ولمّا كان مجتمع القرية والريف يمتاز بكل هذه الميزات البيئية، ويأخذ مكانه العاطفي الروحي الوثيق في نفس الفنان والشاعر خصوصًا، فلا بد من ظهور تلك الحالات الانفعالية الروحية لدى الشاعر في قصائده وأشعاره، تلك الحالات الانفعالية التي تأثرت بالبيئة التي عاشها الشاعر قديمًا فربما كانت القرية أو الريف موئل طفولته وصباه، وهذه البيئة التي عاشها الشاعر لا بد أن تؤثر في أعماله الشعرية، وتظهر ضمن ملامح قصائده الفياضة بجميع أشكال الانفعال العاطفي مع البيئة التي يعيشها، فما هذه الأشعار والقصائد إلا صورًا لأنماط المعاناة النفسية

([84]) جوهرجي: المجموعة الشعرية الكاملة لشعر الأصالة، ج: 1، ص: 301.

([85]) انظر: أبو غالي: المدينة في الشعر العربي المعاصر، ص: 25.

الروحية التي يعيشها الشاعر ضمن بيئته المكانية التي تغذّي فيه جميع هذه الصور والأنماط الانفعالية، وأشكال المعاناة التي يحياها[86].

من هنا، فإن الشاعر دائم الحنين إلى قريته أو إلى الريف الذي عاش فيه؛ لأن تلك القرية أو الريف تمثل أصل ذلك الشاعر، وهي المنبع الذي تفجّرت منه حياته، ويظهر هذا الحنين عميقًا في نفس الشاعر حين تزحمه المدينة بضغوطاتها النفسية، وتمزّقها الاجتماعي، واغترابها النفسي والجسدي، وصخبها المقلق، فكل هذه السمات المدنية تدفع الشاعر نحو الحنين إلى قريته أو إلى الريف الذي عاش فيه[87].

والريف والمدينة وعاء يستخدمه الشاعر من أجل توظيف أفكاره وعواطفه، فليس من الضروري أن يقف الشاعر من المدينة موقف المحارب، وليس من الضروري أن يقف من القرية أو الريف موقف المستسلم الذي يستلهم العاطفة منه، بل إن موقفه المحايد تجاه هذا وذاك يجعله قادرًا على توظيف المدينة توظيفًا إدليوجيًا موافقًا لما يؤمن به، أو استعمال المدينة مكانًا لإظهار عواطفه كما يُظهرها مع الريف، غير أن الأغلب الأعم في شعراء العربية أنهم يقفون من الريف والقرية موقف الحنين والاشتياق، ويقفون من المدينة موقف الكراهية والاضطراب والاغتراب[88].

الريف والقرية في مقابل المدينة:

والشاعر السعودي في نظرته إلى القرية أو الريف في مقابل المدينة لا يختلف عن سائر شعراء العربية، فطالما تغنّى بالريف والقرية، وطالما حمّلها عواطفه وحنينه الدائم إليها، وطالما نظر إليها نظرة الحزين على تبدُّل أحوالها، واختفاء تلك الأرياف والقرى وحلول المدن مكانها. ونجد الشاعر في بعض الأحيان يخلق نوعًا من الحوار بينه وبين ذاته في منظوره إلى القرية وهل القرية ذات صفات جميلة، أم هي في عكس ذلك ليس فيها من الجمال شيء، فيولّد ذلك صراعًا في ذهنه، ويصف هذا الموقف من ناحيتيه، فالمهاجر من القرية ينظر إليها على أنها منبع للأساطير والخرافات، تلك الأساطير كانت سببًا في عذابه، والقرية مخيفة بما فيها من ملامح الخوف والأشباح نتيجة لطبيعتها المتباعدة والمشتملة على الأشجار والتلال، مما يخلق الخوف في نفس الإنسان، فلا يستطيع التمييز بين الحقيقة والشبح، مما أدى إلى انقلاب الأحوال، وتغير الزمان نفسه في القرية، فصار صباحها كالليل البهيم الطويل الذي لا ينتهي، يقول الشاعر[89]:

([86]) الدرابسة: أثر البيئة الطبيعية في الشعر عند النقاد العرب، ص: 137.
([87]) أبو غالي: المدينة في الشعر العربي المعاصر، ص: 26.
([88]) انظر: عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص: 128 - 129.
([89]) الثقفي: بعيدًا، ص: 44.

مِنْ خِلَالِ الزِّحَامْ
جَاءَنِيْ الصَّوْتُ مُسْتَوْضِحًا
لِمَ اَقبَلْتَ يَا أيُّهَا الْقَرَوِيُّ؟
قُلْتُ إنَّ الْقُرَى
عَذَّبَتْنِيْ أسَاطِيْرُهَا
رَوَّعَتْنِيْ بِأشْبَاحِهَا
وَصَبَاحُ الْقُرَى
صَارَ مِثْلَ الْمَسَاءِ الطَّوِيْل

غير أن هذا الصوت المستوضح الذي نادى بالشاعر من قبل أخذ ينعته بالجنون، فكيف تكون القرية على هذه الحال الذي وصفها به الشاعر، وكيف ينظر إليها بهذه النظرة السوداوية القبيحة فالقرية أجمل من ذاك بكثير، بل إنها جنة حالمة، حتى جبالها الراسيات ما هي إلا كالسفن التي تعوم في البحر، فكل هذا وذاك سبيل لميلاد الجمال في تلك القرية، وطريق لاختلاق الروعة والرونق الأنيق في وجه الشاعر، يعني ذاك أن المهاجر للمدينة من القرية مخطئ بنظرته إلى القرية، يقول الشاعر[90]:

هَلْ جُنِنْتَ؟

الْقُرَى جَنَّةٌ حَالِمَةٌ

وَجِبَالُ الْقُرَى الشَّاهِقَاتُ سُفُنٌ عَائِمَةٌ

إن هذا الحوار الذي جاء به الشاعر يمثل نظرة القروي المهاجر من القرية إلى المدينة المدينة التي يملؤها الزحام، غير أنه يبقى ناظرًا إليها على أنها موضع الحلم، وينظر إلى القرية بمنظور القبح والسوداوية، فالقرية مملوءة بالخرافات والأساطير، ولا سبيل إلى العيش فيها من غير خوف، ثم يكون الرد صارمًا ممن عرف المدينة حق معرفتها، وتبينت له الحقيقة بأن هذا الموقف من القرية ليس صحيحًا، والصواب أن يقف الإنسان من القرية موقف المحب العاشق؛ إذ هي رمز للأحلام وهي جنة بما فيها من راحة نفسية وبُعد عن ضغوطات المدينة، هذا علاوة على طبيعتها الأخّاذة.

---

(90) الثقفي: بعيدًا، ص: 45.

ونجد الشاعر يربط بين القرية والمدينة من خلال علاقة الحب الأزلية التي تحكمه كعاشق لهذه الأرض وهذا المكان، فلا نجده يقف من القرية موقف المحب، ومن المدينة موقف الكاره، بل يبادل هذه الحب، وهذه الحب، فهو محب للقرية كما هو محب للمدينة، وهو ما صرّح به الشاعر أحمد السالم حين قال[91]:

أَنَــا مَــا نَأَيْــتُ إِلَــى سِــوَاهَا مُرْغَمًــا إِلَّـــــا وَتَسْــــحَبُنِيْ حِبَــــالُ هَوَاهَــــا
فَــــإِذَا سُــــئِلْتُ أَجَبْــــتُ: إِنَّ حَبِيْبَتِــــيْ هَــــذِيْ الــــدِّيَارُ بِمُــــدْنِهَا[92] وَقُرَاهَــــا

الوصف:

ويتخذ الشاعر السعودي من الوصف سبيلًا لإبراز الملامح الجمالية في القرى والأرياف فهذا الشاعر محمد إسماعيل يطير به خياله إلى تلك الربوع الريفية الرائعة الخضرة، ويطير كالعصفور سابحًا بين الروابي والتلال، يزداد دفئًا من تلك الربوع الخضراء الجميلة، ويخفق فؤاده برؤاه الأنيقة بين تلك المعاني الريفية الرقيقة، فيهيم كأنه عاشق جذلان بتلك الربوع، ويتغنى بحسنها الفائق، ويُظهر حنينه لها فهي مشاعر دافئة تسري بين ضلوعه، فتبثّ فيها الدفء، وتشعل في قلبه حرارة الحنين إليها والتمسك بها، فتسري تلك الدفقات الانفعالية حتى تتغلغل في مسامّ جسده وروحه ونفسه، يقول[93]:

وَأَغِيْبُ أَسْبَحُ فِيْ الْخَيَالْ
بَيْنَ الرَّوَابِيْ وَالتِّلَالْ
مُسْتَجْلِيًا بِالْحُبِّ دِفْئًا
وَالرُّؤَى خَفْقٌ
هُيَامْ
يَا حُسْنَهَا تِلْكَ الرُّبُوْعْ
يَا دِفْأَهَا بَيْنَ الضُّلُوْعْ
يَسْرِيْ وَيَخْفِقُ
فِيْ الْمَسَامْ..

---

(91) السالم: ديوان بوح الخاطر، ص: 53.
(92) الأصل أن يقال: بِمُدُنِها، أي بضم الدال، غير أن الشاعر أسكنها طلبًا لموافقة الوزن الشعري للبحر.
(93) جوهرجي: المجموعة الكاملة لشعر الأصالة، ج: 1، ص: 325.

ويستمر الشاعر السعودي واصفًا القرية بشكلها الطبيعي الحالم، ويبيّن صورتها اليومية التي تظهر عليها للناظر، وصفًا لا يعدو أن يكون تسجيلًا لأحوال القرى، مشتملًا على بعض ملامح العاطفة والحنين إلى أجواء تلك القرى، فالريح تعبث بها، وتهبّ في هيئة غريبة، وهي في القرية ليست كمثل الريح في مكان آخر؛ إذ هي أشد عصفًا. ويلوّن الشاعر هذه الصورة الحسية للقرية بلون الجرح الذي اعتيد على ربطه بالقرية، فأهل القرية الذين يعانون جراحهم ليسوا كأهل المدينة في هذا الجانب. كما يربط الشاعر صورة القرية بكبار السن؛ إذ أوّل ما يلوح في ذهن السامع لحال القرية كبار السن الذين يقطنونها، ويتمسّكون بها، يقول الشاعر[94]:

الرِّيْحُ تَعْبَثُ بِالْقُرَى

تَهُبُّ فِيْ عَصْفٍ غَرِيْبْ

وَهُنَاكَ امْرَأَةٌ تُدَاوِيْ جُرْحَهَا

وَهُنَاكَ شَيْخٌ طاعِنٌ فِيْ السِّنِّ عَذَّبَهُ النَّحِيْبْ

لقد استعمل الشاعر في هذا الموضع الشعري رمزًا حسيًا للدلالة على جانب معنوي مرتبط بالقرية، وهذا الرمز الحسي يتمثل في الشيخ الكبير الطاعن في السن الذي عذّبه النحيب فالقرية تمثل الماضي، والشيخ الطاعن في السن يتناسب موضوعيًا مع القرية التي صارت رمزًا للماضي، كما أن القرية تمثل جانب التمسّك بالعادات والتقاليد، والشيخ الطاعن في السن يمثل بقاء الإنسان مصرًّا على تمسّكه بعاداته وتقاليده، ومجتمعه الذي عاش فيه، ومن هنا فإن صورة الشيخ الطاعن في السن شكّلت رمزًا للتمسك بالقرية والعادات والتقاليد، والحفاظ على الماضي وعدم التفريط به أيًا كانت الحال.

ويبقى الشاعر السعودي واصفًا حال القرية بتصوير فني قليل الحنين إليها، مكتفيًا بالنظر إليها من بعيد، فيصف مكانها ويحدده في طلعة جبلية بين النقا والحجون، في ذلك المكان الريفي الجبلي الجميل ما زال الصغار يلهون ويلعبون في الساحات وبين الحقول، تضجّ أصواتهم في فيه ويستمرون في اللعب بين الزوايا وهم يختفون عن بعضهم بعضًا، ويتنقلون في تلك القرية الجبلية في ظاهر الأرض، يأخذون الأحجار، ويحنّونها، ويحملون بأيديهم الإناء النحاسيّ الصغير كأنه

([94]) الثقفي، سعد الحامد: بعيدًا، النادي الأدبي بالرياض، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، 2013م، ص: 23.

ثمرة من ثمار تلك الحقول والأشجار، ثم إنهم يبنون بيتًا من الطين المعجون، ولا يلبثون إلا أن يقضّوه ويهدموه، كل هذا في صورة طفولية لاهية بين أحضان تلك القرية الجبلية، يقول الشاعر[95]:

عَلَى الطَّلْعَةِ الْجَبَلِيَّةِ بَيْنَ النَّقا وَالْحُجُوْن

لَا يَزَالُ الصِّغَارُ

يَضِجّوْنَ فِيْ الْمَدْرَجِ الْجَبَلِيِّ

يَدُسّوْنَ أوْجُهَهُمْ فِيْ الزَّوَايَا

خَفَايَا خَفَايَا

وَفِيْ الْقَرْيَةِ الْجَبَلِيَّةِ

فِيْ ظاهِرِ الْأَرْضِ

لَمْ يَزَالُوا

يُحَثُّوْنَ أحْجَارَهُمْ

يَقْطُفُوْنَ الْإِنَاءَ الصَّغِيْرَ النُّحَاسِيِّ

يَبْنُوْنَ بَيْتًا مِنَ الطِّيْنِ

ثُمَّ يَقُضُّوْنَهُ

ويمزج الشاعر أحمد السالم وصف تلك الأرياف بمدح الأمير سلطان آل سعود، فقد كانت الأرياف قبل رؤيته في حال، فلما أتاها صارت في حال أخرى، كانت قور وقيعان، فصارت رياضًا، وكان البوم يصفر في أرجائها، فلما أتاها صار طائر الكركي يعزف الألحان فيها، فما هذا التبدل لأحوال الريف إلا بسبب زيارة الأمير سلطان آل سعود لهذه الأرياف، فتعهدها بالحب والحنان، وملأها بالحكمة حتى صار جميع من فيها إخوان متماسكين فيما بينهم، يقول الشاعر[96]:

أتَـــى فَأضْـــحَتْ رِيَاضًـــا فِـــيْ نَضَـــارَتِهَا وَهْـــيَ الَّتِـــيْ قَبْلَـــهُ قُـــوْرٌ وَقِيْعَـــانُ

---

(95) با فقيه، علي: رقيات، النادي الأدبي بالرياض، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، 2007م، ص: 76.
(96) السالم: ديوان بوح الخاطر، ص: 56 - 57.

قِيْعَــانُ يَصْــفُرُ فِيْهَــا الْبُــوْمُ فَانْطَلَقَــتْ   فِـيْ الـرَّوْضِ مِـنْ طَـائِرِ الْكُرَكِـيِّ أَلْحَـانُ

أَمِيْرُهَــا بَــاتَ يَرْعَاهَــا بِحِكْمَتِــهِ   وَعَدْلِــهِ وَكَــأَنَّ النَّــاسَ إِخْــوَانُ

وهذا الشاعر علي دغريري[97] يصف القرية والريف ويمزج وصفه لها بالحديث عن المرأة التي تعيش هناك، فالريف معشب النواحي، يمنح هذا الاخضرار له العطر اللذيذ، فتأتي المرأة الريفية إلى مراح الأغنام صباحًا فتكرّم هذا المراح بطلعتها البهية الجليلة، وهذه الأغنام التي تعيش في الريف تنطلق لترعى العشب بوادي الشيخ، فيتناثر ذبول الدوش مالئًا الحقول برائحته الجميلة العطرية، فصارت تلك الرائحة كأنها عصابة للمرأة الريفية، كل هذا واقع في الريف حينما تضج النواحي والفجاج بأصوات الرعاة الذين يُذكون الشجن الجميل في نفس المرأة الريفية، يقول[98]:

وَقَــدْ بَكَــرَتْ وَمُعْشِــبَةُ النَّــوَاحِي   تُعَطِّرُهَــا وَتَنْفَحُهَــا عَبِيْــرا

فَيَصْــطَبِحُ المُــرَاحُ عَلَــى خُطَاهَــا   تُكَرِّمُــهُ بِطَلْعَتِهَــا نُــزُوْلا

بِــوَادِي الشَّــيْخِ آخَــرُ مَــا يَرَاهَــا   بِــهِ اتَّخَــذَتْ لِمَرْعَاهَــا سَــبِيْلا

وَتَنْثُــرُ مِــنْ ذُبُــوْلِ "الــدَّوْشِ" رِيْحًــا   وَرَائِحَــةً تَقَاسَــمَتِ الْحُقُــوْلا

بِــهِ صَــنَعَتْ عِصَــابَتَهَا وَعَــادَتْ   مُعَصِّــبَةً بِهَــا فَرْعًــا طَــوِيْلا

وَأَصْــوَاتُ الرُّعَــاةِ بِكُــلِّ فَــجٍّ   تُثِيْــرُ بِرُوْحِهَــا شَــجَنًا جَمِــيْلا

وهذا الشاعر سليمان العيسى يصف زيارة قام بها لإحدى المناطق الريفية، فقد زار جنبات الوادي فهيّج الوادي في قلبه الذكرى، وفي نفسه الماضي؛ إذ لما كانت البيداء حقلاً أخضرً، تذكر الشاعر ابن الدمينة، ولقد امتد عشب ذلك السهل الأخضر إلى مرتمى الطرف، فتذكر الشاعر جميلًا وبثينة، وهي إشارة منه إلى التراث الأدبي العربي المرتبط بهذين العاشقين، يقول [99]:

زُرْتُ يَوْمًا جَنَبَاتِ الْوَادِيَيْنِ

كَانَتِ الْبَيْدَاءُ حَقْلاً أَخْضَرًا

---

(97) هو الشاعر السعودي: علي بن علي أحمد رديشدغريري، سعودي الجنسية، من مواليد قرية دغارير من محافظة أح المسارحه، بمنطقة جازان، عام 1380هـ، 1960م، حاصل على بكالوريوس اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمل مدرسًا في التعليم الثانوي والمتوسط داخل المملكة وخارجها، نُشرت بعض أعماله في المجلات والصحف المحلية، شارك في مجموعة كبيرة من الاحتفالات والمهرجانات الأدبية، عضو نادي جازان الأدبي.

(98) دغريري، علي رديش: بين الزحام، نادي جازان الأدبي، السعودية، الطبعة الأولى، 1430هـ، 2009م، ص: 15 - 17.

(99) العيسى: أنا وجزيرتنا العربية، ص: 104.

يَا ابْنَ الدُّمَيْنَة

غَمَرَ الْعُشْبُ حَنَايَاهَا إلَى

مَرْتَمَى الطَّرْفِ وَأَبْصَرْتُ عَلَى

حَنْوَةِ الرَّمْلِ

جَمِيْلًا وَبُثَيْنَة

ولا يتوقف الشعراء السعوديون عن وصف البقاع الريفية التي تمتاز بجمالها الطبيعي الأخاذ فتغنوا بالنسيم العليل، والربى الخضراء التي تتهادى في نسماته اللطيفة، حتى تجاوبت معها الأزهار والورود بأن فاحت بأطيب الروائح، وانطلقت منها تلك الروائح التي تزيد على رائحة الند طيبًا ولذّة، وسالت مياه الغدير كأنها تتلهّف للوصول إلى تلك الأشجار والنباتات كي تسقيها، كل ذلك في لحظة قبّلت فيها الشمس وجه الأرض هوى وعشقًا قبل أن تغيب وراء الأفق يقول الشاعر(100):

حَيِّـــــــيْ النَّسِـــــــيْمَ بِبَسْـــــــمَةٍ وَوِدَادِ   خُضْـــرُ الرُّبَـــى بِمُـــرُوْرِهِ الْمُتَهَـــادِي

فَتَجَاوَبَـــــتْ اَزْهَارُهَـــــا وَوُرُوْدُهَـــــا   بِــــرَوَائِحِ ذَاعَـــتْ مِـــنَ الْـــأَعْوَادِ

وَجَـــــرَى الْغَـــــدِيْرُ بِلَهْفَـــــةٍ لِنَبَاتِـــــهِ   وَكَأنَّــــــهُ مِنْــــــهُ عَلَــــــى مِيْعَـــــادِ

وَالشَّـــــمْسُ قَبَّلَـــــتِ الْخِضَـــــمَّ بِقُبْلَـــــةٍ   عِنْـــدَ الْأصِـــيْلِ هَـــوَىً قُبَيْـــلَ بُعَـــادِ

والشاعر السعودي تعجبه تلك الطبيعة الأخاذة التي يراها في الريف والقرى، فهو يذهب إلى تلك البقاع الريفية القروية ليزداد سحرًا وجمالًا، فالطبيعة ثرة، وهذه الطبيعة تمتاز بألوانها الخلابة تراها وكأنها ورست، وأنحاؤها المترامية تبدو كأنها ملاعب جنة، فالتاريخ بأكمله يأخذ عطره من هذه البقاع المعطرة، يقول(101):

ذَهَبْنَـــا إلَـــى حَيْـــثُ الطَّبِيْعَـــةُ ثَـــرَّةٌ   فَمَـــا وَرسَـــتْ لَكِـــنْ كَـــأَنَّ بِهَـــا وَرْسَـــا

مَعَالِمُهَـــــا تَبْـــــدُوْ مَلَاعِـــــبَ جَنَّـــــةٍ   وَأَنْشُـــوْدَةً لِلْـــأَمْسِ قَـــدْ كَمُلَـــتْ جَرْسَـــا

لَقَـــدْ أَخَـــذَ التَّـــارِيْخُ مِنْهَـــا عُطُـــوْرَهُ   وَعَطَّـرَ مِنْـهُ اليُـوْنَ(102) وَالـرُّوْمَ وَالْفُرْسَـا

الحنين إلى الريف والقرى:

(100) سالم: الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 298.
(101) السالم: ديوان بوح الخاطر، ص: 65 - 66.
(102) يقصد الشاعر بكلمة "اليون" أي اليونانيون.

يُعد الحنين إلى الأمكنة من أبرز الأغراض الشعرية التي عرفها الشعر العربي منذ القدم وكان الشاعر يحن إلى وطنه العربي المتمثل في الجزيرة العربية إذا غادرها لسبب من الأسباب غير أن الوقت الحالي أخرج الشاعر من دائرة الحنين إلى الوطن الكبير، وأدخله ضمن إطار الحنين إلى وطنه الصغير المتمثل في البقعة المخصصة للدولة، فصار الحنين إلى الوطن شبيهًا بالحنين إلى المدن، وكأنّ الشاعر حين يحن إلى وطنه يقصد الحنين إلى مدينته أو قريته[103].

ونجد الشاعر السعودي يتلوع بألوان الحنين والشوق إلى القرية وحياتها الحالمة الجميلة ويتوق إلى تلك الأرياف المليئة بالحب والرقة والبساطة، فهذا الشاعر عبد العزيز خوجه يبحث في داره العتيقة عن مجموعة من الصور التي تعيد إليه ماضيه، لكنه وجد تلك الصور قد صارت تحت العناكب فوق جدران البيت العتيق، وأخذ الغبار منها كل مأخذ، فصار كالغلاف عليها، فكان ذلك المنظر سببًا في إثارة عاطفة الشاعر، ومنحه العظة والعبرة لتقلب الزمان والمكان، فالأحلام عنده صارت موتى يواريها التراب، والآثار القديمة العتيقة التي عفا عليها الزمن أخذت تلاحق الشاعر من موضع إلى آخر، فهذه بئر معطلة، وهذا سياج خرب، وبقايا جذوع الأشجار صارت في مهبّ الريح، وأعجاز نخل منقعر، وسدرة جرداء تمثل أخبار من ذهب عن هذا المكان واختفى، فكل هذه الآثار تولّد في نفس الشاعر الإحساس بالحنين، والإحساس بتقلّب الأحوال والأيام، يقول[104]:

وَبَحَثْتُ فِيْ الدَّارِ الْعَتِيْقَةِ عَنْ صُوَرْ
فَوَجَدْتُهَا تَحْتَ الْعَنَاكِبِ فِيْ الْجِدَارْ
صُوَرٌ يُغَلِّفُهَا الْغُبَارْ
تَتْرَى عَلَى قَلْبِيْ عِبَرْ
حُلْمٌ يُوَارِيْهِ التُّرَابْ
فَهُنَا أَثَرْ .. وَهُنَا أَثَرْ
بِئْرٌ مُعَطَّلَةٌ وَأَسْيَاجٌ خَرَابْ
وَجُذُوْعُ أَشْجَارٍ هَيَاكِلُ فِيْ الْيَبَابْ
أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرْ
وَالسِّدْرَةُ الْجَرْدَاءُ ذِكْرَى مَنْ خَبَرْ

---

(103) ينظر: فهمي، ماهر حسن: الحنين والغربة في الشعر العربي، معهد البحوث والدراسات العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1970م، ص: 29.

(104) خوجه، عبد العزيز محيي الدين: المجموعة الشعرية الكاملة، منشورات ضفاف، الرياض ـ السعودية، وبيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 2014م، ص: 413.

ولا يزال الحنين إلى القرية والريف يطارد الشاعر السعودي حتى بعد أن يبلغ من العمر عتيًا فيجاوز السبعين، ولكن ذكرى القرية باقٍ في ذهنه، فيتذكر نفسه طفلًا يجول ويلعب في الحواكير والساحات القروية، ويعرفه ورد الحديقة كله، كما يعرفه العشب كذلك، فإن عشب تلك الحديقة ما هو إلا عمرٌ طويل شاهد على هذه العلاقة الروحية العاطفية بين الشاعر والريف الجميل، يقول الشاعر[105]:

أَمُــدُّ عَلَــى السَّــبْعِيْنَ ظِــلَّ عَبَــاءَتِيْ   وَأَدْرُجُ طِفْلًــا فِــيْ الْحَــوَاكِيْرِ يَلْعَــبُ

وَيَعْرِفُنِــيْ عُشْــبُ الْحَدِيْقَــةِ كُلُّــهُ   هُــوَ السِّــرُّ عُمْــرٌ بِالطُّفُوْلَــةِ مُعْشِــبُ

وخلاصة القول: إنّ الشاعر السعودي كان ينظر إلى القرية أو الريف بمنظورين: الأول: منظور الوصف الشكلي العام السطحي، الذي لا يعدو أن يكون وصفًا صريحًا للهيئة التي تظهر عليها القرية أو الريف، خاليًا في بعض الأحيان من العاطفة، وربما كانت العاطفة فيه ضعيفة والثاني: المنظور العاطفي الممزوج بالحنين إلى تلك القرية وما فيها من خيرات، وراحة نفسية وبُعد عن صخب المدينة وحياتها الممزقة. ولم يصرّح الشاعر السعودي بالمقارنة الواضحة بين المدينة والقرية، ولكن الأوصاف التي أثبتها للقرية دلّت على موقفه المضادّ من المدينة، فإنه حين ينظر إلى القرية على أنها جنة الأحلام، وأنها سبيل الراحة، فهذا ضمنيًا يعني أنه ينظر إلى المدينة على أنها موضع الصخب والاغتراب، وحياة التمزّق والضياع، كل هذا وإن لم يصرّح به الشاعر فإنه كان واضحًا من طبيعة نظرته إلى القرية، وطبيعة حديثه عنها. ومن ناحية أخرى فإن الشاعر السعودي قد اهتم بجوانب الوصف البسيطة التي استطاع من خلالها أن يرسم لنا صورة الريف والقرية بشكلها الذي يراه حوله، ويربط ذلك الوصف بطبيعة التعلق الداخلي النفسي بهذه القرية أو الريف، يمزج هذا كله بالحنين إلى الأيام التي خلت في حياته في الريف والقرى.

ج. الصحراء:

والصحراء أكثر حضورًا في شعر الشاعر السعودي لأسباب بيئية بحتة؛ إذ الجزيرة العربية عمومًا، والمملكة العربية السعودية خصوصًا مناطق صحراوية بالدرجة الأولى قبل أن تكون مدنًا أو قرى وأرياف. وانطلاقًا من هذه الفكرة، فإن الصحراء تبقى حاضرة في ذهن الشاعر السعودي خاصة، والإنسان السعودي عامة؛ لأنها تشكل الجزء الأكبر من البيئة التي يعيش فيها.

---

(105) العيسى: أنا وجزيرتنا العربية، ص: 88.

ومن المعروف في الأدب أن للبيئة أثرها الكبير في نفس الفنان، والشاعر فنان ينقل عن بيئته، فإذا كانت البيئة التي تحيط به في أغلبها صحارى ممتدة بجميع أشكال الحياة فيها، وكل ما فيها من عناصر صحراوية، فلا بد أن يكون لهذه البيئة أثر كبير في نفس هذا الشاعر، ولا بد من توظيف تلك البيئة الحسية التي تحيط به في أعماله الأدبية عامة، فالبيئة من أكثر المحرّكات الفنية في ذهن الفنان[106].

فالبيئة تؤثر على نحوٍ مباشر في نفس الفنان، وفي مادة فنه، وهي اللغة كل ما ينتج عنها من ألفاظ ومعانٍ وتراكيب وصور وأساليب تعبير مختلفة، تعطي العمل الفني الإبداعي سمة وهوية خاصة مميزة له عن غيره من الأعمال، كما أن الفن بعامة والشعر بخاصة ظاهرة جمالية تنجم عن انفعال الإنسان بالبيئة الطبيعية وبالوجود من حوله، فالفن سواء أشعرًا كان أم نثرًا هو تعبير وتجسيد لهموم الإنسان وآلامه وأفراحه، الهموم والأفراح التي تظهر في صور جمالية فنية يبدعها الفنان وينسجها من خيوط هذه المعاناة التي يعيشها في بيئته التي تؤثر فيه، ويتفاعل مع مكوناتها ومعطياتها، بحيث تصبح جزءًا من كيانه وروحه ووجوده[107].

وحين يتحدث الشاعر عن الصحراء فإنه لا يجعل جُلّ حديثه عن تلك البيئة الرملية الممتدة الصحراوية من حوله حَسْبُ، بل إنه يجعله شاملاً لجميع أشكال الحياة الصحراوية، سواء من الناحية المادية كالحديث عن الهضاب والتلال والسهول الرملية الممتدة، أو الحديث عن أدوات ذلك البدوي الذي يقطن الصحراء، كالخيمة وأدوات الرعي، وغيرها من الأمور. ويمتد الحديث ليشمل بعض الجوانب المعنوية، كالحديث عن العادات والتقاليد، والمثل العليا عند البدوي، والنظرة الروحية التي يتمتع بها الفنان تجاه تلك الصحراء، فالحديث عن الصحراء لا يقتصر على الجانب المادي حَسْبُ، أو الجوانب السطحية، بل يتغلغل إلى أعماق الصحراء نفسها، ويتعدى الماديات ليصل إلى الجوانب المعنوية والعاطفية التي تجيش في نفس البدوي أو الفنان[108].

وهذا الحضور الفني للصحراء في الشعر العربي عامة ماثل في كل عصر من عصور الأدب المتوالية، بدءًا من العصر الجاهلي، حتى عصرنا الحاضر، فلا بد للشاعر بشكل أو بآخر من التأثر بهذه البيئة الصحراوية، وهو أمر ظاهر في أدبنا العربي، فطالما تحدّث الشاعر الجاهلي عن الصحراء، وديار المحبوبة، وارتحالها عن ديارها، وهيامه في تلك الصحراء باحثًا عنها

(106) انظر: الزهراني: الصحراء في الشعر العربي السعودي، ص: 8.
(107) الدرابسة: أثر البيئة الطبيعية في الشعر، ص: 137.
(108) الزهراني: الصحراء في الشعر العربي السعودي، ص: 8.

وطالما ظهر مشهد الصحراء في شعر الحماسات، وهو أمر لا يُستغرب سلف؛ فالبيئة لها دورها في تكوين شخصية الشاعر، ومن ثم التأثير في نتاجه الفني[109].

والشاعر السعودي يمثل امتدادًا لهذا الفن العربي الرفيع، وامتدادًا لهذا الذوق النابع من البيئة الشعرية للشاعر، فالصحراء جزء لا يتجزأ من شخصيته، وهي ذات مكانة وحظ وافر في شعره فصوّرها صورًا عديدة، وتمثّل بعض عاداتها وتقاليدها، ونظر إليها على أنها نبع للأصالة والحياة الطبيعية الرائقة، كل هذا ظهر من خلال أشعار هؤلاء الشعراء السعوديين.

الوصف:

يُعدّ الوصف من أبرز الأغراض التي ظهرت في الحديث عن الصحراء عند الشاعر السعودي؛ إذ وصف الصحراء التي عاش فيها، والبيئة التي خبرها، فهذا الشاعر محمد إسماعيل يُصرّح بحبه الشديد لصحراء الجزيرة العربية التي يعيش فيها، ويُفصّل الحديث في تلك البيئة التي يصورها في شعره، فهي جزيرة عربية محبوبة لديه، وهو يحب النخل، والأثل فيها، كما يُحب ما فيها من أجواء مناخية متمثلة في الجدب والقحط، فالأمر عنده سيان بين الخصب والجدب من حيث حبه لتلك الجزيرة، فكما أنه يحب الخصب فيها، فإنه يُحب فيها الجدب أيضًا، ولا شيء يؤثر في حبه لتلك الصحراء العربية، ويحب سهولها، وقفرها، كما يُحبّ ما فيها من حرّ شديد، ولا يتثاقل من أي شيء في تلك الصحراء، فهي كلها محبوبة لديه، يقول[110]:

جَزِيْرَتِـــــيْ فِـــــيْ حُبِّهَـــــا مُتَـــــيَّمٌ   بِأَثْلِهَـــــا وَنَخْلِهَـــــا الْفَرِيْـــــدِ

بِخَصْـــــبِهَا وَجَـــــدْبِهَا بِقَفْرِهَـــــا   وَسَـــــهْلِهَا بِحَرِّهَـــــا الشَّـــــدِيْدِ

ومن ناحية أخرى فإن وصف الصحراء ليس أمرًا صعبًا عند الشاعر السعودي سليمان العيسى فقد لخّص تلك الصحراء بما فيها في عنصرين اثنين، هما: الرمل والريح، حتى زاد المرء فيها ما هو إلا رمل وريح، فكيف يمكنه أن يقطع تلك الصحراء، يقول الشاعر[111]:

صَحْرَاؤُنَا.. هِيَ مِثْلُنَا.. هِيَ مِثْلُنَا

([109]) الجندي: في تاريخ الأدب الجاهلي، ص: 346.

([110]) جوهرجي: المجموعة الكاملة لشعر الأصالة، ج: 2، ص: 1375.

([111]) العيسى: أنا وجزيرتنا العربية، ص: 70.

رَمْلٌ وَرِيْح

هَذِيْ الْفَيَافِيْ.. كَيْفَ نَقْطَعُهَا إِلَيْكِ

وَزَادُنَا.. رَمْلٌ وَرِيْح

ويخاطب الشاعر السعودي نفسه مؤكدًا ما يعيشه من أحوال صحراوية، فالصحراء تحيط به من حوله، وعلى جسده أن يعلم ذاك، غير أن هذه الصحراء لا تمثل عنصرًا ثقيلًا عند الشاعر، وإنما هي منبع لأحلامه وآماله، وإن كان جُل ما فيها نار لا غير تتلهّب، ولا تملك له تلك النار وعدًا تعده به، ولكن كل هذا سبيل إلى ابتعاث الأحلام في نفس الشاعر، يقول(112):

هِيَ الصَّحْرَاءُ
يَا جَسَدِيْ
تُبَتِّكُ فِيْكَ أَحْلَامَ الْخَلَايَا
...
فَلَيْسَ هُنَا
سِوَى النَّار الَّتِيْ تُلْوِيْ عَلَى لَهَبٍ
وَلَا تَعِدُ

ويستمر هذا الشاعر بخلق الصورة الوصفية لتلك الصحراء مخاطبًا من حوله من أهله فيخاطب جده وأباه وأمه، ثم يعود لمخاطبة ولده من جديد؛ ليبين له أن هذه الصحراء ما هي إلا لسان لاهب من الجحيم، فيه الحسم، وفيه التبديد، وفيه الكمد، وفيه التعزيز، هو لسان لاهب، يمكن أن يُذهب عن الإنسان الفأل، يقول الشاعر واصفًا هذا كله(113):

هِيَ الصَّحْرَاءُ

فِي خَلَدِي

هِيَ الصَّحْرَاءُ

يَا جَدِّي

هِيَ الصَّحْرَاءُ

يَا أُمِّي

---

(112) الزيد، عبدالله: آهٍ من سطوة الحرمان آهٍ من موت العبارة، النادي الأدبي بالرياض، الرياض ـ السعودية، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، الطبعة الأولى، 2009م، ص: 73.

(113) الزيد: آه من سطوة الخذلان آه من موت العبارة، ص: 73 ـ 74.

وِيَا أَبَتِي

هِيَ الصَّحْرَاءُ

يَا وَلَدِي

لِسَانٌ

مِنْ جَحِيْمِ الْحَسْمِ

وَالتَّبْدِيْدِ

وَالتَّعْزِيْزِ وَالْكَمَدِ

لِسَانٌ لَاهِبٌ

تَأْتِي سَجِيَّتُهُ

فَتُذْهِبُ فَأْلَ أَزْمِنَتِي

ولا يُغفل الشاعر السعودي وصف بعض مظاهر الطبيعة الصحراوية، كالمطر مثلاً الناشئ من الغيوم المتدافعة؛ إذ إن الصحراء لا تنام إلا بشغف، وهذه الرمال التي تستقبل المطر تشبه طوايا الصبايا الحسان، تفوح منها رائحة العبق نتيجة لاختلاط المطر بها، كما تفوح روائح الطيب والعطر من تلك الصبايا، أما الهواء فإنه يعتلّ كعادته من رائحة الطين الناشئة من اختلاط المطر بالرمال، فهذا مشهد بدوي صحراوي لطيف، يُعبر عنه الشاعر بمقدار كبير من الحب العميق لتلك الصحراء التي تحمل كل هذا الوصف الطبيعي، يقول[114]:

غَيْمَةٌ تَتَدَافَعُ

وَالصَّحْرَاءُ

لَا تَنَامُ بِلَا شَغَفٍ

وَالرِّمَالُ الضَّجِيْعَةُ

مِثْلُ طَوَايَا الصَّبَايَا

تَفُوْحُ رَوَائِحُهَا

وَالْهَوَاءُ

كَمَا هِيَ عَادَتُهُ

(114) با فقيه: رقيات، ص: 97.

يَتَعَلْعَلُ مِنْ شَهْقَةِ الطِّيْنِ

إن كل هذه السمات الصحراوية البدوية المتأصلة في العروبة تمثل عنصرًا يفتخر به الشاعر السعودي، فتجده يتغنى بمكانه ذاك، ويُظهر شغفه الشديد حين يكون في بعض المناطق الصحراوية، فيفتخر أنه في القصيم وعُنيزة، فهذه المناطق ترتبط برباط تاريخي عروبي يتمثل في أنها كانت ديارًا لبني تميم، فقبيلة تميم العربية قد سكنت هذه الأماكن، ومن هنا أخذ الشاعر يحسّ بسطوة تلك المشاعر العروبية النابعة من طبيعة المكان، ثم يربط تلك الديار والأماكن بأحداث لا تختفي من الذاكرة العربية، كأن يربط الديار بعبلة المحبوبة، وبالطلول التي كان يقف عليها الشعراء وهي هامدة لا تسمع ولا تتكلم، كما يصف بعض مكونات تلك الصحراء، فيتحدث عن الرمال التي تمتدّ من الحدود إلى الحدود، ليصل الشاعر في نهاية المطاف بشدة شغفه بالصحراء إلى أن يتّحد مع تلك الصحراء، فتصبح همومها هموم الشاعر، ويصير هو بيت من بيوت تلك الصحراء المترامية الأطراف، كل هذه المشاعر التي تتزاحم في فكر الشاعر تدلّ على تعلّقه الشديد بهذا المكان الذي ارتبط به منذ نعومة أظفاره، يقول(115):

أنَـــــا فِـــــيْ عُنَيْـــــزَةَ وَالْقصِـــــيْم   أنَـــــا فِـــــيْ دِيَـــــار بَنِـــــيْ تَمِـــــيْم

فِـــــيْ دَار عَبْلَـــــة فِـــــيْ الطُّلُـــــوْلِ   الْهَامِـــــدَاتِ وَفِـــــيْ الرُّسُـــــوْم

فِـــــيْ الرَّمْـــــلِ حَيْـــــثُ انْـــــدَاحَ مِـــــنْ   أقصَـــــى التُّخُـــــوْمِ إلَـــــى التُّخُـــــوْم

أنَـــــا شَـــــهْقَةُ الصَّـــــحْرَاءِ حُمْـــــرُ   هُمُوْمِهَـــــا أبَـــــدًا هُمُـــــوْمِي

أنَـــــا بَيْـــــتُ شِـــــعْرٍ لِلطُّفُوْلَـــــةِ   فِـــــيْ الْعَـــــرَارِ وَفِـــــيْ الشَّـــــمِيْم

ولا يزال الشاعر واصفًا لمكونات الصحراء سواء أمادية طبيعية كانت تلك المكونات، أم مادية بشرية، فيصف الرمل الذي يمتد في تلك الصحراء بأنه كالذهب في لمعانه، وتلك السماء الصافية لا تغيّب البدر عن أعين أهل الصحراء، كما لا تُخفي النجوم الماثلة فيها كالأهداب، ولا ينسى الشاعر أن يوظف بعض الأساطير التي تعلق في أذهان أهل الصحراء من وجود الجن ومعزوفاتهم الليلية في أرجاء تلك البيد، ومن ناحية ثانية فإن العرب – من سكان البادية – يجتمعون حول النار الموقدة في المساء، ثم ينطلق صوت شاعرهم ليملأ تلك البيد بشعره العجيب ليختلط هذا الشعر بزجل الجن، وتمتمة الرقاة، وعواء الذئب، وتباشير الفجر، وأدعية الصلاة يقول(116):

كُنْتُ هُنَا أمْتَدُّ فَوْقَ رَمْلِهِ الذَّهَب

---

(115) العيسى: أنا وجزيرتنا العربية، ص: 19.

(116) الوشمي: البحر والمرأة العاصفة، ص: 44 – 45.

وَأَلْمَحُ الْبَدْرَ عَلَى فِرَاشِهِ
وَالنَّجْمَ كَالْهَدَب
فِي هذِهِ الْبِيْدِ الَّتِي
تَعْزِفُ فِي رُبُوْعِهَا الْجِنُّ وَحَوْلَ نَارِهَا يَجْتَمِعُ الْعَرَب
مَا زَالَ صَوْتُ شَاعِرِي يَمْلأُ هذي الْبِيْدَ بِالْعَجَب
مِنْ زَجَلِ الْجِنِّ وَمِنْ عُوَاءِ الذِئْبِ مِنْ تَمْتَمَةِ الرُّقَاةِ
مِنَ التَّبَاشِيْرِ الَّتِي يَنْثُرُهَا الْفَجْرُ عَلَى مَضَارِبِ الْبَدْوِ وَمِنْ
أدْعِيَةِ الصَّلَاة

وقد يتحدّث الشاعر عند وصفه للصحراء عن رحلة قام بها في المناطق الصحراوية، فقد خرج الشاعر أحمد السالم مع جماعة في رحلة صيد، ومعهم سيد البر يقودهم، وهو رجل يمتاز بفراسته العالية، خرجوا في طلب الصيد ومعهم في رحالهم كل ما تشتهيه نفوسهم لمن أراد الصيد، أو من أراد اللعب، غير أن الشاعر يعترف أنه لا يجيد طرائق الصيد؛ إذ هو عارف بطرائق الإعراب والنحو، يقول[117]:

رَحَلْنَا وَفِيْنَا سَيِّدُ الْبَرِّ قائِدًا … فَرَاسَتُهُ لَيْسَتْ تَغِيْبُ وَتَغْرُبُ
وَفِيْ رَحْلِنَا مَا تَشْتَهِيْهِ نُفُوْسُنَا … لِمَنْ جَاءَ صَيَّادًا وَمَنْ جَاءَ يَلْعَبُ
وَلَكِنَّ طُرْقَ الصَّيْدِ لَسْنَا نُجِيْدُهَا … لَنَا النَّحْوُ مَيْدَانٌ يُقَالُ وَنُعْرِبُ

وقد يجعل الشاعر من وصف الصحراء سبيلًا للحديث عن شخص ما، فيصفه بما يصف به الصحراء، فقد وصف الشاعر عبد الله الوشمي[118] شخصًا بأن أصحابه كأنهم من ليالي البيد، فهم كالقافية له، والذئب يعوي، والحكايات الثقيلة، كما أنه صراخ في حياته وهي كناية عن السذاجة وقلة القدر، أو هو كالخيل، ولكن ليست خيلًا شريفة، بل ذبل في شدقها الموسم الشاتي، وهو الليالي أيضًا، وهو البحر الذي تغرق فيه النهايات، فلا نهاية له، يقول[119]:

عَارٌ عَلَى كَفِّهِ تَخْضَرُّ مِرْآتِي … أَنَا هُنَا عِنْدَهُ وَالْمَوْعِدُ الآتِي
أَصْحَابُهُ فِي لَيَالِي الْبِيْدَ قَافِيَةٌ … وَالذِّئْبُ يَعْوِي وَأَشْوَاقُ الْغَدِ الْعَاتِي

([117]) السالم: ديوان بوح الخاطر، ص: 73.
([118]) هو الشاعر السعودي: عبدالله بن صالح الوشمي، حصل على جائزة الأمير فيصل بن فهد للإبداع الشعري.
([119]) الوشمي: البحر والمرأة العاصفة، ص: 15.

هُـوَ الصُّــرَاخُ هُـوَ الْخَيْــلُ الَّــذي ذَبُلَــتْ فِــي شِــدْقِهِ أغْنِيَــاتُ الْمَوْسِــمِ الشَّــاتي

هُـوَ الليَــالِي هُـوَ الْبَحْـرُ الَّــذي غرقــتْ فِـــي شَـــاطِئَيْهِ نِهَايَــاتُ النِّهَايَــاتِ

أما الشاعر سعد حامد الثقفي[120] فيختلف وصفه للصحراء قليلاً عن ذاك الوصف الذي رأيناه عند سابقيه من الشعراء؛ إذ جعل من عناصر الصحراء سبيلًا للاختفاء، فخاطب البدوي متأثرًا بما حصل للأعراب من تركهم الصحراء؛ إذ كان العرب يثقفون السهام كي تعينهم على الحياة في بيئة الصحراء القاسية، غير أننا دفنَّاهم جميعًا، ونسينا سهامهم المثقفة، ولم يبقَ من ملامح حياتهم القديمة سوى القصيدة الأولى، وقد سافرت القوافل بالرجال الذين كانوا من أهل هذه الصحراء وتميزوا بكل صفات الرجولة، ولم يبقَ منهم في القبيلة أحد غير بعض النساء، فمن لهذه النساء حين تتغيب عنهن الرجال، وحالت بينهن وبين الأوطان الحوائل، يقول[121]:

يَا أيُّها البَدَوِيُّ

هَلَّا جِئْتَنَا بِنُبُوْءَةِ الصَّحْرَاء

لَوْ قاسَمْتَنَا بَعْضَ الْكَلَام

فَأبي الَّذِي ثقِفَ السِّهَامَ دَفَنْتُهُ

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ قَصِيْدَتِي الْأوْلَى

فَهَلْ يُجْدِي الْمَقَام

يَا أيُّهَا الْبَدَوِيُّ سَافَرَتِ الْقَوَافِلُ بِالرِّجَالِ

إلَّا نِسَاءً فِي الْقَبِيْلَةِ مَنْ لَهُنَّ إذا تَغَيَّبَتِ الرِّجَالُ

وَحَالَ بَيْنَ الْقَوْمِ وَالأوْطَانِ حَال؟

ويصف الشاعر السعودي في بعض أبياته الشعرية تلك الحياة الصحراوية التي يعيش فيها فالحصان رمز العروبة في تلك الصحراء، وهو سبيل البدوي للحياة فيها، وهذه الصحراء تمتاز بحرّها الشديد، ويوجد فيها من المناطق العقيمة التي لا نبات فيها، ويراها الشاعر عارية يقرأ في

([120]) هو الشاعر السعودي: سعد الحامدي الثقفي، شاعر سعودي متخصص في حقل الكيمياء، ويعمل في الصحافة، وهو ناقد أدبي معاصر.

([121]) الثقفي: بعيدًا: ص: 56.

جسدها سفر تاريخ العروبة العظيم، يقول[122]:

أحْيَـــــا بِصَهْلَـــــــةِ مُهـــــــريَ الْعَرَبَـــــيِّ فِــــيْ حَـــــرِّ السَّـــــمُوْمِ

قُـــــــــــــلْ لِلْجَزِيْـــــــــــــرَةِ كُــلُّ حَـرْفٍ فِيْــكِ نَــبْضٌ فِــيْ صَــمِيْمي

مَـــــا زِلْـــــتُ أغْنِيَـــــةَ الْبَـــوَادِيْ فِـــــيْ الْخَصِـــــيْبِ وَفِـــــيْ الْعَقِـــــيْمِ

فِـــــيْ صَـــــدْرِهَا الْعُرْيَـــــانِ أقْـــــرَأَ سِفْـــــــرَ مَنْبَتِــــــــيَ الْعَظِيْـــــــمِ

الصحراء والإنسان:

هناك مجموعة من العلاقات التي أظهرها الشاعر السعودي بين الصحراء والإنسان سواء علاقات حبّ كانت،أم علاقات أمومة، فمزج بين المحبوبة والصحراء، وبين الأم والصحراء، وبين البدوي والصحراء، كل هذا سيظهر لنا في المقاطع الشعرية الآتية.

فالشاعر مثلاً يجعل من الصحراء سبيلًا للافتخار أمام محبوبته؛ يحمّلها مجموعة من عناصر العروبة، فيجعلها رمزًا للهمة العربية، وسبيلًا للنخوة التي يمتاز بها العربي. كل هذا ظاهر في حياة الصحراء، وهو أمر يفتخر به هذا الشاعر أمام محبوبته، فالصحراء عنده محملة بكل هذه المعالم العروبية التي قد لا توجد إلا في بيئة الصحراء، يقول[123]:

صَـــــــــــــحْرَاؤُكِ الْأبِيَّـــــــــــة تُعَلِّـــــــــــــمُ الْبَرِيَّـــــــــــة

النَّخْـــــــــــــوَةَ الْعَرَبِيَّـــــــــــة وَالْهِمَّـــــــــــــة النَّجْدِيَّـــــــــــة

ونجد الشاعر السعودي لشدة ارتباطه بالصحراء، وحبه العظيم لها يُشبه محبوبته بها، ويخلق لها عنصرًا جماليًا يجعله أكثر ارتباطًا بها، فالمحبوبة عنده هي الحجاز، وهي هضاب الصحراء المتناثرة، والمرتفعات الصحراوية الشاهقة، وهي أيضًا جبال تلك الصحراء، ولا ينسى الشاعر أن يخلع بعض صفات الصحراء على تلك المحبوبة، فهي تتحلى بالمجد الرفيع مثلها مثل صحراء تهامة العربية، يقول[124]:

أنْتِ الْحِجَازُ وَالْهِضَابُ وَالْحَزَنْ

أنْتِ السَّرَاه

وَتُهَامَةُ الْمَجْدِ الْأغَنّ

(122) العيسى: أنا وجزيرتنا العربية، ص: 19 - 20.
(123) سالم: المجموعة الشعرية الكاملة، ص: 360.
(124) خوجه: الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 38.

فحضور المحبوبة ماثل في حديث الشاعر عن الصحراء؛ إذ لا يغيب عن ذهنه هذا الواقع الذي يعيشه، فهو صحراوي في حياته، وهو دائم النظرة إلى محبوبة جميلة تحمل شيئًا من سمات الصحراء. وإن لم تكن كذلك فإن الشاعر يظهر في صورة حائرة؛ إذ هو صحراوي جيء به من جفاف البداوة وجواها، وهي ليست كذلك، فقد جيء بها من حافة النهر، يقول الشاعر[125]:

جِيْءَ بِيْ مِنْ جَوَىً فِيْ جَفَافِ الْبَدَاوَة...

جِيْءَ بِهَا مِنْ خَرِيْرٍ عَلَى حَافَّةِ النَّهْرِ

ويستمر هذا الشاعر بالحديث عن تلك السمات الصحراوية التي تتأصل في ذاته، ويرى فيها موضع افتخار على من يخاطبه، فهو كالمطر البدوي الصحراوي الهابط على رمال تلك الصحراء، يقول[126]:

تُشْبِهِيْنَ الْكَآبَةَ قَالَ

فَقُلْتُ لَهُ:

تُشْبِهُ الْمَطَرَ الْبَدَوِيَّ

عَلَى حَافَّةِ الرَّمْلِ

بَيْنَ الثُّمَامَةِ وَالْبَيْتِ وَالْمَكْتَبَة

وتظل البيئة الصحراوية مسيطرة على ذهن الشاعر، حتى يجعلها سمة عامة لبعض أحداثه العاطفية كالحديث عن أمه، فإنها ـ أي الأم ـ متألقة تحت رمال الصحراء المحرقة، ولا تزال الشمس تسفعها كل حين، وهي ما تزال باقية ماكثة في وجه الزمن لا تدع تلك الصحراء وبيئتها القاسية، بل تبقى ماكثة فيها، يقول الشاعر[127]:

يَا أُمَّنَا الْمُتَأَلِّقَة

تَحْتَ الرِّمَالِ الْمُحْرِقَة

مَا زَالَ وَهْجُ الشَّمْس فِيْكِ

وَأَنْتِ فِيْ كَهْفِ الزمنْ

---

(125) با فقيه: رقيات، ص: 45.
(126) با فقيه: رقيات، ص: 46.
(127) العيسى: أنا وجزيرتنا العربية، ص: 69.

ويخاطب الشاعر ذاتًا أخرى لعلّه الحصان؛ هذا العنصر الصحراوي المهم، فيقول له أطلق صهيلك، فهذه هي الرمال التي تشير إلى الصحراء، وهذا هو الطلل البالي الذي يدلّ على الراحلين، وهذه الرمال والأطلال ليست شيئًا بخيسًا، بل هي جذور الشاعر ماثلة في عينيه، ثم ينتقل الشاعر ليخاطب المكان، وليصفه بصفة تاريخية تراثية عروبية، فيقول إنها دار عبلة وهي إشارة من الشاعر إلى مكانة هذا الموضع من تراثنا العربي، كما أن في هذه الإشارة دليلاً على ديمومة الحياة الصحراوية منذ عصورنا الغابرة، فليس من يسكنها الآن بمنأى عمن سكنها بالأمس، فالجميع سكنوا هذه الصحراء وعاشوا فيها، ثم يأخذ الشاعر بالارتحال في تلك الصحراء وإن كان هذا الارتحال معنويًا فهو رمز آخر لتراثنا القديم، فقد اعتاد الشعراء الجاهليون على ذكر الرحلة في قصائدهم، ومن هنا ذكرها الشاعر سليمان العيسى[128] في قوله[129]:

أطلقْ صهيلَكَ

هَذَا الرَّمْلُ وَالطَّلَلُ

هَذِيْ جُذُوْرُكَ فِيْ عَيْنَيْكَ تَشْتَعِلُ

يَا دَارَ عَبْلَةَ إنِّيْ دَمْعَةٌ طَفَرَتْ

وَرُحْتُ فِيْ شَهْقَةِ الصَّحْرَاءِ أرْتَحِلُ

ولا ينسى الشاعر أن يتحدث عن إنسان تلك الصحراء بما يتمتع به من صفات مروءة وعروبة فهو دائم المكوث على باب الخيمة ينتظر الضيوف، ويرقب أفق الصحراء الواسع الممتد أمامه غير أن عينيه ليست كعيني من هم خارج البيئة الصحراوية، حاد البصر كأنه الصقر في نظراته تعانقه البشاشة حين يرى أحدًا من المرتحلين قد أتى إليه ضيفًا، يقول[130]:

ألفَيْتُهُ عَلَى بابِ خَيْمَتِهِ

يَرْقُبُ الْأُفُقَ الْبَعِيْدَ بعَيْنَيْ صَقْرْ

سَلَّمْتُ فَرَدَّ التَّحِيَّةَ ببَشَاشَةٍ

([128]) هو الشاعر السعودي: سليمان العيسى، من مواليد عام 1921م، في قرية المعيرية، حفظ القرآن الكريم والمعلقات، وديوان المتنبي، وآلاف من أبيات الشعر العربي، له عدد كبير من المؤلفات الأدبية والشعرية.

([129]) العيسى: أنا وجزيرتنا العربية، ص: 76.

([130]) العيسى: أنا وجزيرتنا العربية، ص: 114.

إن ما بيّنه الشاعر في نصه السابق يمثل بعضًا من العادات والتقاليد التي يمتاز بها أهل الصحراء عن غيرهم، فهم بشوشو الوجه عند رؤية الضيوف، يستقبلونه بوافر من التحية والسلام وهي عادات وتقاليد اعتاد عليها أهل الصحراء منذ القدم، فالضيف عندهم معزز مكرّم، يُبذّل لأجله كل ما لدى البدوي من طعام وشراب، وهو مظهر أكّده الشاعر ضمنيًا في نصه السابق.

ويُظهر الشاعر بعض ملامح الصحراء في هيئة ساكنيها؛ إذ تظهر فيهم تلك الملامح الصحراوية ففي ثيابهم الرمال ماثلة، وفي وجوههم سيل من الحكايات التي لطالما جرت على ألسنة أهل الصحراء، فساكن الصحراء لا يخفى على الناظرين، تظهر فيه سماتها، ودماؤها ولونها، كل هذه العلامات ما هي إلا آيات دالة على هذا الإنسان الصحراوي، لا يخفى منظره على أحد، يقول(131):

مِــنْ أيْــنَ جِئْــتَ رِيَــاحُ الْبِيْــدِ ظَامِئَــةٌ وَالرَّمْــــلُ يَشْــــكُوْ وَأَكْــــدَاسٌ حِكَايَــــاتِي

مِــنْ أيْــنَ سِــرُّ الصَّــحَارَى فِيْــكَ أعْرِفُــهُ وَلَوْنُهَــــا وَدِمَاهَــــا فِيْــــكَ آيَــــاتِي

وهكذا يُظهر الشاعر بيئته الصحراوية التي يعيش فيها أو ربما عاش فيها من خلال تصوير فني لطيف، يبتعد فيه عن التصنع والتعسف في رسم تلك الصورة، وهو بطبعه ناقل عن بيئة حقيقية وطبيعة يومية يعايشها ويخالطها، متعلق أبدًا بها، منشغل دائمًا برسم صورها كما تظهر له.

وتَظهر الصحراء التي يتغنى بها الشاعر معادلاً موضوعيًا لشخصية الشاعر، فهو يخاطبها ويطلب إليها أن تعيده إلى وتره، فهي لم تعد كما كانت على وصال به، وهو متيّم بها فتقطعت بهم السبل، حتى إنه ما يزال متذكرًا تلك اللحظات التي قضاها على باب الخيمة الصحراوية متكئًا، هذا هو التاريخ الحقيقي بالنسبة إلى الشاعر، وذلك إذ يقول(132):

يَا دَارَ عَبْلَةَ رُدِّيْنِيْ إِلَى وَتَرِيْ
تَقَطَّعَتْ بَيْنَنَا
يَا حُلْوَتِيْ السُّبُلُ
فِيْ بَابِ خَيْمَتِكِ الزَّرْقَاءِ
مُتَّكِئِيْ
وَلْيَرْحَلُوا
إنَّنَا التَّارِيْخُ وَالْأَزَلُ

(131) الوشمي: البحر والمرأة العاصفة، ص: 15.
(132) العيسى: أنا وجزيرتنا العربية، ص: 77.

وربما جعل الشاعر من صورة المعشوقة سبيلًا لوصف الصحراء والتغني بجمالها، فهذا الشاعر أحمد السيد[133] يصف لنا المحبوبة بين عناصر الصحراء المختلفة، وكيف تظهر مكنوناتها –أي المحبوبة– من خلال مكنونات الصحراء نفسها، فخلخالها يرن في شعاب الأودية المترامية ومقنعها يرف في بطاح تلك الأرض الصحراوية الممتدة، وهي في هذه الحالة ترد بالشياه وتصدر بالهواء اللذيذ الرقيق كأنه المزاح، ثم يبين الشاعر أيضًا أن هذا الحب صحراوي كبيئته تمامًا، فربما مر على العاشقين عام كامل بما فيه من ثقل دون أن يلتقيا، وإذا التقيا صدفة بعد عام مر بكل ما فيه من ثقل ولوعة فليس أكثر من أن يُسلّما على بعضهما، ثم تروح هي إلى شأنها ويروح هو إلى شأنه، يقول[134]:

يُــــــذاكِرُهَا يَــــــوْمَ شَــــــبَّ الْهَــــــوَى   وَأَهْلُهُمَـــــا نَجْعَـــــةً فِـــــي المِـــــرَاح
وَرَنَّـــــةُ خُلْخَالِهَـــــا فِـــــي الشِّـــــعَابِ   وَرَفَّـــــةُ مِقْنَعِهَـــــا فِـــــي الْبِطَـــــاح
بِـــــ (خُمْـــــرانَ) وَارِدَةً بِالشِّـــــيَاهِ   وَصَـــــادِرَةً بِهَـــــوَىً كَـــــالْمُزَاح
وَعَامًـــــا عَلَـــــى سَـــــفْحِ (جُحْفَـــــانَ)   مُعْتَقَـــلِ الْجِـــنَّ قِيْـــلَ وَمَـــأْوَى الرِّيَـــاح
تَصَـــــعَّدَ دَهْـــــرٌ إِلَـــــى قَدَمَيْـــــهِ   وَدَهْـــــرٌ عَلَـــــى كَتِفَيْـــــهِ اسْـــــتَرَاح
هُنَالِـــــكَ، إِذْ ذَهَبَـــــتْ فِـــــي الصِّـــــبا   وَجُنَّـــــتْ بِهَـــــا الْمُخْصِـــــبَاتُ الْفِسَـــــاح
إِذَا الْتَقَيَـــــا صُـــــدْفَةً سَـــــلَّمَا   وَرَاحَـــــتْ لِغَايَتِهَـــــا ثُـــــمَّ رَاح

وبعدُ، فقد تحدّث الشاعر السعودي عن الصحراء بوصفها بيئته، وبوصفها أصله وبوصفها تراثه فمن حيث هي بيئته عاش فيها، ومن حيث هي أصله كان آباؤه وأجداده يحيون فيها، ومن حيث هي تراثه عاش فيها العرب الأوائل، وتغنوا بجمالها ورونقها، وكانت فيها محبوباتهم كعبلة محبوبة عنترة.

ولم يكن وصف الصحراء عند الشاعر السعودي مقتصرًا على الجوانب المادية الحسية حَسْبُ، بل تعدّى ذلك إلى بعض النواحي المعنوية النفسية، فقد وصفها حسيًا وماديًا بالحديث عن رمالها وجوها، ونباتها، وخيمتها، وإنسانها، ومطرها، وهكذا، ووصفها من الناحية المعنوية فتحدّث عن عاداتها وتقاليدها، وقيمها، وشدتها، وقساوتها، وهكذا، فكان وصف الشاعر للصحراء شاملًا لأكثر نواحيها مثولاً عند أهلها ومن يعرفها.

([133]) هو الشاعر السعودي أحمد السيد.
([134]) السيد، أحمد: زجاج، ديوان شعري، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية 1435هـ، 2014م، ص: 24.

لقد كانت صورة الصحراء عند الشاعر صورة بسيطة سهلة التلقي، لا تحتاج من المتلقي إلى كثير عناء حتى يفهمها أو يدرك ما فيها من جوانب تصويرية بديعة، بل اكتفى بوصف الخطوط العامة ببساطة اللغة، ووضوح العبارة.

فضلاً إلى ما سلف، فقد ربط الشاعر السعودي في كثير من الأحيان بين الصحراء والمعشوقة فتحدّث للمعشوقة عن سمات تلك الصحراء، وتحدّث أيضًا عمّا صنعته فيه الصحراء وربما بلغ الترابط بين الصحراء والشاعر أن جعل المحبوبة هي الصحراء، فيصفها بالحجاز والحجون والسراة وغيرها من أسماء المناطق الصحراوية الأخرى التي من شأنها أن تربط الشاعر العاشق ببيئته التي عاش فيها.

بناءً على ما تقدّم ذكر، فإنّ حديث الشاعر السعودي عن الصحراء حديث افتخار وتمجيد وعشق لا حديث تثاقل وتقليل من شأنها ومكانتها، فرغم كل هذه الحداثة والتطور العلمي الحديث تبقى مكانة الصحراء محفوظة لدى الشعراء، ويبقى تعلّقهم بها كبيرًا لا تغيّره الأوقات والأزمان.

الفصل الثالث

دلالات المكان في الشعر السعودي الحديث

يأخذ المكان عددًا من الدلالات، منها: الدينية والاجتماعية والنفسية والسياسية، وذلك وفقاً لما يتحدث عنه الشاعر. وفيما يأتي سيبين الباحث أبرز هذه الدلالات:

الدلالات الدينية للمكان:

حظيت المملكة العربية السعودية بمكانة دينية عظيمة لما لها من ارتباط بالأماكن المقدسة عند المسلمين؛ فمكة المكرمة والمدينة المنورة خير بقاع الله على الأرض؛ إذ حظيت مكة المكرمة بمكانة دينية عظيمة لاحتوائها على بيت الله الحرام، وهو أول بيت وُضِع للناس، يقول سبحانه وتعالى: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ"[135]، فمن هنا كانت المكانة العظيمة لمكة المكرمة من جانبها الديني، ولمّا كانت هذه المكانة العظيمة لمكة المكرمة فإن الله سبحانه وتعالى ميّزها بأن جعل دخول المشركين إليها ممنوع، فهم نجس، قال سبحانه وتعالى: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"[136].

وكما كان لمكة المكرمة مكانتها العظيمة في الدين الإسلامي، فإن للمدينة المنورة هي الأخرى مكانتها العظيمة، فقد حظيت بعدد من الأسماء ممّا يدل على عظم مكانتها، وعلوّ قيمتها وشرف منزلتها، وهي طيبة، وطابة، والدار، ويثرب، والمدينة المنورة[137].

ولقد بيّن النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – أن المدينة المنورة بلد حرام كمكة، بل إنه صلوات الله وسلامه عليه دعا ربه أن يحبّب إليه المدينة المنورة، فقال: "اللهم حبّب إلينا المدينة كما حبّبت إلينا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدّنا، وصحّحها لنا، وانقل حُمّاها إلى الجُحفة"[138].

وممّا يؤكد خصوصية هذين المكانين في حياة المسلمين، ومكانتهما الدينية عندهم ما كان من قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام والمسجد الأقصى"[139].

---

(135) سورة آل عمران، آية: 96.

(136) سورة التوبة، آية: 28.

(137) ينظر: السخاوي، أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1414هـ، 1993م، ج: 2، ص: 411، والبليهشي، محمد صالح: المدينة اليوم المدينة المنورة في القرن الخامس عشر، نادي المدينة الأدبي، المدينة المنورة – السعودية، الطبعة الأولى، 1402هـ، ص: 23.

(138) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بالإضافة إلى ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الأولى، 1422هـ، ج: 3، ص: 23، حديث رقم: 1889.

(139) النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، د.ت، ج: 2، ص: 1014، حديث رقم: 1397.

ومن ناحية تاريخية فقد تمتعت مكة المكرمة والمدينة المنورة بمكانة تاريخية عظيمة ووُجدت في الأرض منذ أن خلقها الله سبحانه وتعالى، فقد نُقل عن الثعلبي أنه قال: إن الله تعالى خلق جوهرة خضراء، ثم نظر إليها بالهيبة فصارت ماء، فخلق الأرض من زبده، والسماء من بخاره، فأول ما ظهر على وجه الأرض مكة، وزاد بعضهم ثم المدينة، ثم بيت المقدس، ثم دحا الأرض منها طبقًا واحدًا[140].

ومما ورد في أخبار مكة وتاريخها ما رواه الأزرق عن مجاهد؛ حيث قال: "بلغني أنه لما خلق الله السماوات والأرض كان أول شيء وضعه فيها البيت الحرام، وهو يومئذ ياقوتة حمراء؛ لها بابان شرقي وغربي، فجعلها مستقبل البيت المعمور، فلما كان زمن الغرق رفع في ديباجتين وهو فيهما إلى يوم القيامة، واستودع الله الركن أبا قبيس"[141].

ولا تقل المدينة المنورة شأنًا من الناحية التاريخية عن مكة المكرمة، فقد اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون مهدًا لرسالة خاتم الأنبياء والمرسلين، ومحضنًا للدين الإسلامي، ولقد قيل إنّ أول من سكنها رجل يقال له "يثرب أبو عبيد"، ولهذا سُمِّيت باسمه قبل مجيء الإسلام[142].

ولقد هام في حب مكة المكرمة والمدينة المنورة أكثر الشعراء علاوة على غيرهم من الناس، وكان الشاعر السعودي أكثر حبًا لهذا المكان، فهو من ناحية يمثل الارتباط الديني العميق في نفس هذا الشاعر، وهو من ناحية أخرى يتميز عن سائر الشعراء العرب بأن مكة والمدينة تمثلان الوطن لهذا الشاعر السعودي، فهو يتميز بالاستيطان الواقعي، وهو حامل راية هذا البلد والذائد عن حماه[143].

انطلاقاً من هذه المكانة الدينية والتاريخية العظيمة التي حظيت بها مكة المكرمة والمدينة المنورة فقد اهتم بها العلماء والباحثون والكتاب على مر العصور والدهور، ومن بينهم الشعراء، إذ اهتموا بها، وكتبوا فيهما أروع القصائد، وأجمل الأشعار. وفيما يأتي سيبين الباحث تلك الأشعار التي تطرقت للحديث عن مكة المكرمة والمدينة المنورة.

---

(140) ينظر قوله في: ابن الضياء، أبو البقاء محمد بن أحمد بن الضياء: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم، وأيمن نصر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى، 1424هـ، 2004م، ص: 23.

(141) الأزرق، أبو الوليد محمد بن عبدالله: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس دار الأندلس للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، د.ت، ص: 50 – 51.

(142) ينظر: البليهشي، محمد صالح: هذه بلادنا المدينة المنورة، نادي المدينة الأدبي، المدينة المنورة – السعودية، الطبعة الأولى، د.ت، ص: 26.

(143) ينظر: العطوي، مسعد بن عيد: الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية، الرياض – السعودية الطبعة الأولى، 1427هـ، ص: 333.

مكة المكرمة والمدينة المنورة في أغراض الشعراء السعوديين:

يستشعر الشاعر السعودي القيمة الكبيرة للمملكة العربية السعودية من خلال ارتباطها بالحرمين الشريفين، بوصفها مهبط الوحي، ومهد رسالة الإسلام، لذا فإن أفئدة المسلمين تهوي إلى هذه البقاع المقدسة من جميع أرجاء الأرض، ومن هنا فقد تعرّض الشعراء السعوديون للحديث عن هذه المقدسات الإسلامية، والمكانة الدينية للمملكة العربية السعودية عن قصد وعن غير قصد فوقع بين أيدي الباحثين نتاج شعري ضخم، وهذا النتاج الشعري ليس غريبًا على شاعر استمدّ روحه من عناصر الملامح الإيمانية لهذه المقدسات والبقاع الطاهرة[144].

تغنى الشعراء السعوديون بمكة المكرمة والمدينة المنورة وفقاً للأغراض الآتية:

الوصف:

كان الشعراء السعوديون يكثرون من وصف مكة، وإبراز مكانتها التارخية، فهي مهبط الوحي، وأرض الإسلام الأولى، فمنها شع النور مؤتلقًا، ومن غار حراء انطلقت الهداية الإلهية للكون أجمع، يقول الشاعر[145]:

مِـنْ أَرْضِ مَكَّـةَ شَـعَّ النُّـوْرُ مُؤْتَلِقـاً   وَجْهـاً يُجَلِّـيْ عَتَـامَ اللَيْـلِ وَالسُّـدُمِ

هَـذَا حِـرَاءٌ عَلَـى مَـرْأى يُطَالِعُنَـا   قِنْـدِيْلَ ضَـوْءٍ يُفِـيْضُ النُّـوْرُ لِلْـأُمَمِ

والشاعر يرى في المدينة المنورة مكانًا مختلفًا عن سواه من الأمكنة الأخرى، فهي تبدو للعين من بعيد بقبابها، ونبي الله المصطفى – صلى الله عليه وسلم – أفضل شيء فيها، فنسيمها در وشرابها شهد، والرمل ليس كالرمل المعتاد، بل هو درر منثورة في ساحاتها، كأنه حليّ النساء يطوق رقابها، ويستشعر الكون كله هذا الوصف الرقيق للمدينة المنورة فيغني الطير في أغصانه وتنتشي الخمائل في أرجائها، ويكفي المدينة كل هذا الفخر،، يقول الشاعر[146]:

هَـذِيْ الْمَدِيْنَـةُ قَـدْ بَـدَتْ بِقِبَابِهَـا   وَالْمُصْـطَفَى الْمُخْتَـارُ أَفْضَـلُ مِـا بِهَـا

مَـا الـدُّرُّ إِلَّـا مِـنْ شَـذِيِّ نَسِـيْمِهَا   مَـا الشَّـهْدُ إِلَّـا مِـنْ كَـرِيْمِ شَـرَابِهَا

---

(144) ينظر: أمين، بكري شيخ: الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان الطبعة الأولى، د.ت، ص: 420.

(145) جوهرجي: المجموعة الشعرية الكاملة لشعر الأصالة، ج: 1، ص: 301.

(146) سالم: المجموعة الشعرية الكاملة، ص: 253.

وَالرَّمْــــلُ كَالــــدُّرِّ النَّثِيْـــرِ بِأَرْضِــــهَا   حُلَــــى الْحِسَـــانِ مُطَـــوِّقٍ لِرِقَابِهَــــا
وَالطَّيْـــرُ تَصْـــدَحُ وَالْخَمَائِـــلُ تَنْتَشِـــيْ   فَتَمِيْـــلُ مِـــنْ زَهْـــوٍ وَمِـــنْ إِعْجَابِهَـــا
هَـــذِيْ الْمَدِيْنَـــةُ قَـــدْ بَـــدَتْ بِقِبَابِهَـــا   مُخْتَالَـــــةً بِفَخَارِهَـــــا وَإِبَائِهَـــــا
أَرَأَيْـــتَ أَوَّلَ مَسْـــجِدٍ فِـــيْ سَـــاحِهَا   وَعَلَـــى التُّقَـــى مُتَأَسِّسًـــاً بِفِنَائِهَـــا

ومن وصف تلك البقاع الطاهرة وصف ما يجري فيها من مناسك حج وعمرة، إذ يصف الشاعر أحمد السالم موقف الحجاج حين سافروا إلى الحج ولجوا في طاعة الله تعالى، وهاهم يطوفون فوجاً بعد فوج حول الكعبة المشرفة، فمن طائف بالبيت، ومن ساعٍ بين الصفا والمروة يتدافعون في المسجد الحرام كأنهم موج متلاطم لكثرتهم، يغذي ذاك كله شعار دائم بقولهم: الله أكبر، دائمًا وتمازجت دموع الخاشعين بدموع التائبين، يقول الشاعر(147):

اَلْحَـــــجُّ حَـــــانَ فَسَـــــافَرَ الْحُجَّـــــاجُ   وَأَتُـــوْا إِلَـــى كَنَـــفِ الْإِلَـــهِ وَلَـــاجُوا
أَفْـــوَاجُهُمْ مَـــا مَـــرَّ فَـــوْجٌ طَـــائِفٌ   إِلَّـــــا وَمَـــــرَّتْ بَعْـــــدَهُ أَفْـــــوَاجُ
هَـــذَا يَطُـــوْفُ وَذَاكَ يَسْـــعَى سَـــعْيَهُ   يَتَـــــــدَافَعُوْنَ كَـــــأَنَّهُمْ أَمْـــــوَاجُ
وَشِـــــعَارُهُمْ اللهُ أَكْبَـــــرُ دَائِمــــاً   وَسِـــوَاهُ مِنْهَـــا مَـــا لَهُـــنَّ رَوَاجُ
وَهُنَـــاكَ قَـــدْ سَـــالَتْ دُمُـــوْعُ مُفَـــرِّطٍ   وَلَهَـــا دُمُـــوْعُ الْخَاشِـــعِيْنَ مِـــزَاجُ

ومما تجدر الإشارة إليه هَاهُنا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد حث على الارتحال إلى ثلاثة مساجد في هذه الدنيا، فقال: "لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام والمسجد الأقصى"(148)، ومن هنا انطلق بعض الشعراء السعوديون في الربط بين هذه المساجد الثلاث في لوحة شعرية، فحرمة المسجد الأقصى كحرمة المسجد الحرام، والمسجد النبوي؛ إذ إن الحديث النبوي جمعها كلها، يقول الشاعر رابطًا بين هذه المساجد الثلاث(149):

هُـــوَ قِبْلَتِـــي الأُوْلَـــى وَمَسْـــرَى سَـــيِّدِي   خَيْـــرُ الأَنَـــامِ عَلَيْـــهِ صَـــلَّى الْخَـــالِقُ

(147) السالم: ديوان عندما كنت هناك، ص: 24.
(148) النيسابوري: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج: 2، ص: 1014، حديث رقم: 1397.
(149) العشماوي: على قمم النصر، ص: 64.

مَـــا بَـــيْنَ كَعْبَتِنَـــا وَمَسْـــجِدِ طِيْبَـــةٍ شَـــمَّاءُ فِيْهَـــا لِلْيَقِـــيْنِ وَثَـــائِقُ

هُـــوَ قُبَّـــةُ الْمَجْـــدِ التَّلِيْـــدِ وَصَـــخْرَةٌ لِلْمَسْـــجِدِ الْأقصَـــى مَقَـــامٌ سَـــامِقُ

ومن مظاهر الوصف أيضًا ما ذكره الشعراء السعوديون في الحديث عن بعض المناسك الدينية التي ترتبط بالحج أو العمرة، فهذا الغامدي يصف بعض مناسك الحج، فيتحدث عن الإحرام، ويبين أنه يسير إلى الانعتاق من لوعة الأطيان، وهذا الإحرام يكون وفق ميقات محدد يصل إليه المسلم حين يريد الحج، وهذا الإحرام ما هو إلا خروج من زيف تلك الملابس الدنيوية للدخول في حقيقة الكفن الذي سيصير يوماً إليه كل إنسان، يقول(150):

وَإِلَيْـــكِ الْمِيْقَـــاتُ فَاسْـــتَقْبِلِيْهِ فِـــي خُشُـــوْعٍ وَأَقبِلِـــي فِـــي أَمَـــانِ

إنَّ فِـــي الْحَـــجِّ لَـــوْ عَلِمْـــتِ انْعِتَاقَـــاً وَانْطِلَاقَـــاً مِـــنْ رِبْقَـــةِ الْأَطْيَـــانِ

فَـــاخْلَعِي كُـــلَّ زَائِـــفٍ مِـــنْ لِبَـــاسٍ وَادْخُلِـــي فِـــي حَقَـــائِقِ الْأكْفَـــانِ

ويستمر الشاعر في وصف تلك المناسك التي ترتبط بالمكان المتعلق بفريضة الحج فيتحدث عن جبل عرفات، ويبين أن السير إليه من شأنه أن يدخل النفس في طمأنينة عظيمة؛ فالشوق إلى عرفات عظيم، وبه تتجلى أصناف المعاني كلها، يقول الشاعر(151):

نَفْـــسُ سِـــيْرِي بِنَـــا إِلَـــى عَرَفَـــاتٍ فِـــي انْكِسَـــارٍ وَطَـــامِنِي فِـــي هَـــوَانِ

فَإِلَيْهَـــا يُنَـــازِعُ الشَّـــوْقُ شَـــوْقَاً وَعَلَيْهَـــا تَجَلَّـــى صُـــنُوْفُ الْمَعَـــانِي

ثم يصف الوصول إلى مزدلفة، فهو المكان الذي تتجلى فيه رحمة الله سبحانه وتعالى، لذا على المسلم أن يطيل النجوى في ذلك المكان، ففي هذا المكان موضع المغفرة، يقول الشاعر(152):

وَلَـــدَى الْمَشْـــعَرِ الْحَـــرَامِ أَطِيْلِـــي وَقْفَـــةَ الـــذِّكْرِ وَالنَّجَـــاوى الْحِسَـــانِ

هَاهُنَـــا بَـــرْزَخُ الرَّجَـــاءِ أضَـــاءَتْ شَـــاطِئَيْهِ بَشَـــائِرُ الْغُفْـــرَانِ

(150) الغامدي: إلى العرين شامخاً، ص: 150.
(151) الغامدي: إلى العرين شامخًا، ص: 152.
(152) الغامدي: إلى العرين شامخًا، ص: 154.

ولا يغيب عن فكر الشاعر السعودي الربط بين المكان وتاريخه، فإن مكة المكرمة تحمل دلالات تاريخية عظيمة، من أعظمها وأجلها مكانًا ما يتعلق بنزول الوحي من السماء، كما أن مكة موضع الإسراء؛ إذ نزل البراق للنبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – فانطلق به إلى بيت المقدس ويتذكر الشاعر أيضًا تلك السنوات العشر التي استمرت بعد ذاك نورًا وهداية للتائهين فقد شعّ نور الإسلام من مكة المكرمة، وكان النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – سبيلاً لاهتداء الناس يقول الشاعر(153):

أنَـــا نَائِيَـــاتِ الـــذِّكْرَيَاتِ تَخُـــوْنُنِيْ	فَـــإِذَا تَنَـــزَّلَ مَكَّـــةَ الْحُجَّـــاجُ
طَـارَتْ بِـيَ الـذِّكْرَى إِلَـى عَرَصَـاتِهَا	إِنَّ الْقَـــرَائِحَ بِالْقَـــدِيْمِ تُهَـــاجُ
فَــذَكَرْتُ طَـــهَ وَالْبُـــرَاقُ يَزُفُّـــهُ	وَتَـــدَاعَتِ الْإِسْـــرَاءُ وَالْمِعْـــرَاجُ
وَذَكَـرْتُ عَشْـرَ سِـنِيْنَ مِـنْ أَحْقَابِهَـا	وَالْمُصْـــطَفَى لِلتَّـــائِهِيْنَ سِـــرَاجُ
طَـــهَ قَـــدِ اتَّخَـــذَ الْوَقَـــارَ عَمَامَـــةً	فَضَـــعَا لَـــهُ مِـــنْ لِبْسِـــهِ الـــدِّيْبَاجُ
مِـنْ مَكَّـةَ الْإِسْـلَامِ أَشْـرَقَ نُـوْرُهُ	وَلِسَـــائِرِ الـــأَزْوَاجِ سُـــنَّ زَوَاجُ
وَتَنَـــزَّلَ الْـــوَحْيُ الْكَـــرِيْمُ بِغَارِهَـــا	يَحْمِيْـــهِ مِـــنْ نَسْـــجِ الْخِـــدَرْنَقِ سَـــاجُ

ومن مظاهر الوصف عند الشعراء السعوديين ما تجلّى في الحديث عن وصف بعض الأماكن الداخلة في مكة المكرمة، كوصف الكعبة، فقد يُكني الشاعر عن هذه الكعبة ببعض الأمور، كأن يتحدث عن سواد ثيابها الحريرية، ويتحدث عن بياض المكان، وتلك المشاعر الإيمانية التي تعتريه حين يكون عند الكعبة الشريفة، كما يتطرق الشاعر للحديث عن مسجد الجن في مكة المكرمة والحديث عن غار حراء يقول محمد الثبيتي(154):

وَنَقَشْتُ اسْمِيْ فِيْ سَوَادِ ثِيَابِهَا
وَغَسَلْتُ وَجْهِيْ فِيْ بَيَاضِ حَيَائِهَا
وَكَتَبْتُ شِعْرْ عِنْدَ مَسْجِدِ جِنِّهَا
وَقَرَأْتُ وِرْدِيْ قُرْبَ غَارِ حِرَائِهَا

(153) السالم: ديوان عندما كنت هناك، ص: 24.
(154) الثبيتي: الأعمال الكاملة، ص: 304.

وهذا الشاعر محمد سالم يصف تلك الحالة الإيمانية اللطيفة التي تسري في أفئدة الناس حينما يكونون في المدينة المنورة، وخاصة عندما تهوي أفئدتهم إلى الروضة الكريمة، فلا يتحدث منهم أحد، وإنما كل الحديث هناك دعوات ممطرة ترجو رحمة الله سبحانه وتعالى، يقول الشاعر(155):

فِــــــي الرَّوْضَـــــــةِ الْمُعَطَّـــــرَةْ   اَنْــــــــتِ بِهَــــــــا مُـــــــــوَقَّرَةْ

فَمَـــــا بِهَــــــا مِـــــنْ ثَرْثَـــــرَةْ   بَــــــلْ دَعَــــــوَاتٌ مُمْطِــــــرَةْ

مِـــــــــنَ الْقُلُـــــــــوْبِ الْخَيِّـــــــــرَةْ

والشاعر محمد سالم أيضًا يصف مكان تلك الروضة المعطرة في المسجد النبوي، فهي بين قبره الشريف، ومنبره – صلى الله عليه وسلم – وهذه البقعة المطهرة هي أحب أرض إلى الله تعالى وفيها يسكن خير الأنبياء محمد – صلى الله عليه وسلم – وهي إذن أغلى الدرر، وأسمى بقاع الأرض، يقول(156):

يَـا رَوْضَـةً بَـيْنَ قَبْـرِ الْمُصْـطفَى ازْدَهَـرَتْ   وَبَــيْنَ مِنْبَــرِهِ فِــي جَوِّهَــا الْعَطِــرِ

أَحَــبُّ أَرْضٍ إِلَـــى الـــرَّحْمَن أَسْـــكَنُهَا   أَغْلَـى نَبِـيٍّ فَيَـا اَرْضَ الْهُـدَى افْتَخِـرِي

يَـــا بُقْعَـــةَ اللهِ أَسْـــمَى كَوْنِـــهِ شَـــرَفاً   وَدُرَّةَ اللهِ أَغْلَـــى الْكَنْـــزِ مِـــنْ دُرَرِ

وهكذا فقد ارتكز الشاعر السعودي في وصفه للمكان الديني في حياته التي يعيشها ضمن أمكنته الدينية المقدسة على جوانب مكونات ذلك المكان، وقيمته التاريخية، وربط هذا كله بمشاعر القداسة والإيمان والرحمة، كما ركّز الشاعر في حديثه عن وصف المكان على قضايا مبعث رسالة الإسلام السمحة، وانطلاق الدعوة الإسلامية من هذا المكان، وبيان أن هذه البقاع الطاهرة تمثل مهبط الوحي، ومرقد الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – علاوة على ذلك الوصف النابع من طبيعة قدوم المسلمين إلى هذا المكان المقدس من جميع الأقطار والأمصار.

الحب والهيام:

ظهر الشاعر السعودي بصورة العاشق المتيّم بالمدينة المنورة، فهذا الشاعر محمد جوهرجي يصف مشاعره حين وقف متيمًا هيمان بالمدينة المنورة، وقف منتشيًا بصوت الحق الذي سمعه من

(155) سالم: المجموعة الشعرية الكاملة، ص: 48.
(156) سالم: المجموعة الشعرية الكاملة، ص: 251.

هذا المكان المقدس، فهاجته الذكرى التي سكنت أعماق روحه وقلبه، فهذا المكان ليس كأي مكان، وإنما وصل من القداسة والمحبة ما جعل حجارته من نضار ومن ماس وياقوت ومرجان، يقول الشاعر[157]:

وقــــــفَ المحـــــــبُّ بنشـــــوةِ الجــــــذلانِ   يُصـــــغي لصـــوتِ الحـــقِّ فـــي إذعـــانِ

يســــــــترجعُ الــــــذكرى بقلـــــبٍ حـــــالمٍ   فــي الخفــق فــي الأعمــاق فــي الأحضــانِ

أحجـــــارُ طيبـــــة مـــــن نُضــــارٍ خـــالصٍ   والمـــــاسِ واليــــاقوتِ والمرجــــــانِ

أما الشاعر إبراهيم العواجي فقد مزج بين مكة المكرمة والمدينة المنورة في حديثه عن حبهما فلشدة حبه لهما يتحدث عن الإحرام بالغيمة كي يصل إلى تلك البقعة الطاهرة في أرض مكة ويقبل الحجارة، ثم يحتضن أرض طيبة التي لم يطأها ذات يوم كافر من الكفار، هنالك تزهر التقوى في الأرجاء، ويظهر العاشق بصورة المتيّم عند عتبات هذا المكان المقدس، يقول الشاعر[158]:

وَالْبَسِــــيْ الْغَيْمَـــــةَ إحْرَامًــــا إلَـــــى   سَــــاحَةِ الْبَيْــــتِ وَتَقْبِيْـــلِ الْحَجَــــرْ

وَاحْضُـــــنِيْ طَيْبَــــةَ فِـــــيْ خَلَوَاتِهَـــــا   وَاقرَئِـــــيْ التَّـــــارِيْخَ يَأْتِيْـــكِ الْخَبَـــرْ

تُزْهِــــرُ التَّقْـــوَى عَلَـــــى أرْجَائِهَـــــا   لَـــمْ يَطأهَـــا ذَاتَ يَـــوْمٍ مَـــنْ كَفَـــرْ

فالمدينة المنورة وإن بعُدت عن أنظار الشعراء السعوديين فإنهم يبقون على حنين دائم لبقاعها المقدسة، لا ينسون حبها، فهي، وكيف لا يحبونها ومرقد النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – فيها، يقول الشاعر[159]:

أَهْــوَى الْمَدِيْنَــةَ مِــنْ قَلْبِــيْ وَإنْ بَعُــدتْ   فَلَـــمْ تَـــزَلْ فِـــيْ فُـــؤَادِيْ أكْـــرَمَ الـــذِّكْرِ

وَكَيْــــــفَ لَـــــا وَنَبِــــيُّ اللهِ مَــــرْقَدُهُ   بَــيْنَ الْجَــوَانِحِ مِــنْ قَلْــبٍ وَمِــنْ بَصَــرِ

---

(157) جوهرجي: المجموعة الشعرية الكاملة لشعر الأصالة، ج: 1، ص: 289.

(158) العواجي: الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 329.

(159) سالم: المجموعة الشعرية الكاملة، ص: 251.

ومن هنا فإن الشاعر السعودي يرى أن عبق المدينة المنورة أفضل من ريح الخزامى والطيب كله، فرائحة المصطفى العطرة التي يجدها العاشق بالمدينة المنورة أشد لذّة في النفس من هذا الطيب كله، والمكوث في أرض طيبة يمنح المرء طهرًا وراحة وطيبًا في النفس، فلما رأى الشاعر كل هذا الحب لام من عشق ليلى وتعلق بها، فهذه المعشوقة أشد جمالاً وحسنًا وطيبًا من ليلى تلك، ولو أن العشاق كانوا يُلمحون بحبهم لمعشوقاتهم فإن الشاعر قد صرّح بهذا العشق تصريحاً، يقول الشاعر أحمد السالم(160):

دَع الْخُزَامَى وَزَهْر الرَّوْضِ وَالشِّيْحا — فقدْ شَمَمْتُ لِنَشْر الْمُصْطفَى ريْحا
وَدَعْ أحَادِيْثهُمْ يَا مَنْ تُجَالِسُهُمْ — إنِّيْ سَمِعْتُ مِنَ الصِّدِّيْق تَسْبيْحا
أتَيْتُ طيْبَةَ أسْتَجْلِيْ مَفَاتِنَهَا — فلُمْتُ مَنْ عَلِقُوا ليْلى مَجَاريْحا
لَقدْ وَجَدْنَا لِلَيْلَى ألْفُ مُشْبِهَةٍ — وَدَارُكُمْ وُشِّحَتْ بِالْحُسْنِ تَوْشِيْحا
تَفَرَّدَتْ بنَسِيْجٍ جَلَّ مُبْدِعُهُ — وَنُقِّحَتْ عَنْ سِمَاتِ الْغَيْر تَنْقِيْحا
إنْ ألْمَحَ الصَّبُّ عَنْ عِشْقٍ يُكَتِّمُهُ — فقدْ عَشِقْتُكِ يَا طيْبَاهُ تَصْريْحا

فالشاعر السعودي يسير إلى المدينة المنورة بفؤاده لا بقدميه، وإن حب هذه المدينة لا يعادله حب في الدنيا كلها، فقد غُسل الفؤاد عن حب سواها، فلهذه الدار مكان في القلب وقدسية في النفس والحنايا لا تعادلها مكانة، يقول الشاعر(161):

هَزَّنِيْ الشَّوْقُ نَحْوَ دَار الرَّسُوْلِ — لَمْ يَقُدْنِيْ إلَى حِمَاهَا فُضُوْلِي
جِئْتُ أسْعَى مِنَ الرِّيَاضِ إلَيْهَا — بفُؤَادٍ عَنْ غَيْرهَا مَغْسُوْلِ(162)
لَكِ يَا دَارُ فِيْ الْحَنَايَا مُقامٌ — عَبْرَ هَذَا التَّاريْخ قبْلَ وُصُوْلِي
لَكِ قُدْسٌ فِيْ مُهْجَتِيْ وَجَلَالٌ — لَا تُغَرِّيْ بِخِفَّتِيْ وَتَحَوُّلِي

وهذا الشاعر محمد الثبيتي يبين أن مكة المكرمة أصل الخير كله في هذا المكان، وهي منبع النور فنورها يصعد إلى السماء، وها هو يغمر نفسه في أقاصي ليلها، ويتبلل بفيض بهاء هذا المكان الديني المقدس، فالشاعر ظامئ إلى تلك المشاعر الإيمانية التي يعشقها ويهواها فاستقى السلسبيل العذب من منابع مائها، يقول(163):

---

(160) السالم: ديوان عندما كنت هناك، ص: 29.
(161) السالم: ديوان عندما كنت هناك، ص: 101.
(162) أجرى الشاعر الصفة هَهُنا على "فؤاد" المجرورة.
(163) الثبيتي: الأعمال الكاملة، ص: 303.

صَبَّحْتُهَا

وَالْخَيْرُ فِيْ أسْمَائِهَا

مَسَّيْتُهَا

وَالنُّوْرُ مِلْءَ سَمَائِهَا

حَيَّيْتُهَا

بِجَلَالِهَا

وَكَمَالِهَا

وَبِمِيْمِهَا وَبِكَافِهَا وَبِهَائِهَا

وَغَمَرْتُ نَفْسِيْ

فِيْ أقَاصِيْ لَيْلِهَا

فَخَرَجْتُ مُبْتَلّاً بِفَيْضِ بَهَائِهَا

وَطَرَقْتُ سَاحَاتِ النَّوَى

حَتَّى ظَمِئْتُ إلَى ثُمَالَاتِ الْهَوَى

فَسَقَيْتُ رُوْحِيْ سَلْسَبِيْلاً مِنْ مَنَابِعِ مَائِهَا

وهذا الشاعر محمد سالم يتحدث عن حبه العظيم للمدينة المنورة فينادي محبوبته – المدينة – بوصفها ذات حزام أخضر، ويطلب إليها أن تتدلل وتتبختر فوق فتيت العنبر، على هذه الروابي المزهرة، يقول(164):

ذَاتَ الْحِـــزَامِ الْأَخْضَـــرِ ... تَدَلَّلِـــيْ تَبَخْتَـــرِيْ

فَـــوْقَ فُتَيْـــتِ الْعَنْبَـــرِ ... وَتَحْـــتَ نَخْـــلٍ مُثْمِـــرِ

عَلَـــى الرَّوَابِـــيْ الْمُزْهِـــرَة

---

(164) سالم: المجموعة الشعرية الكاملة، ص: 48.

وها هو الشاعر يتلذذ بصوت هذه المحبوبة الجميل، فهو كصوت الطير الجميل المغرد فأولع الحب في قلب الشاعر، وفاضت عيونه دمعًا، يقول(165):

يَــــا صَــــوْتَهَا لَمَّـــا دَعَـــا مُغْـــــرِّدًا مُرَجِّعــــا

خَــــفَّ الْفُـــؤَادُ مُولَّعــا وَالْعَـــيْنُ فَاضَـــتْ أدْمُعــا

فِـــي الرَّوْضَـــةِ الْمُطَهَّـــرَة

وليس الشاعر وحده عاشق لها، بل هناك كثيرون آخرون يعشقونها، ويطلبون ودها، ولا يتجرؤون على فراقها، يقول(166):

الْعَاشِقُـــوْنَ ودَّهَـــا وَالنَّاشِـــقُوْنَ نَـــدَّهَا

لَـــا يَسْـــأَمُوْنَ وِرْدَهَـــا فَـــدَائِماً هُـــمْ عِنْـــدَهَا

يَلْتَمِسُـــوْنَ الْمَغْفِـــرَة

ويختتم الشاعر حديثه عن هذه المحبوبة بأن يسأل المتلقي عن معرفته لها، فليست هي كغيرها من المعشوقات، وليست هي كالمها، وإنما هي المدينة المنورة، يقول(167):

هَلَّـــا عَـــرَفْتُمْ اسْـــمَهَا مَحْبُـــوْبَتِيْ وَرَسْـــمَهَا

فَلَـــا تَقُـــلْ لِـــيْ إنَّهَـــا مِثْـــلَ الْمَهَـــا لَكِنَّهَـــا

مَـــدِيْنَتِيْ الْمُنَـــوَّرَة

إن الشاعر السعودي حين تحدث عن هذا المكان المقدس ارتكز في طبيعة حديثه على بعض جوانب الحب والهيام، وبيان أن العشق لا يكون للنساء حَسْبُ، بل إن المسلم يعشق أرضه المقدسة، ويهيم بها. كما ركّز الشاعر السعودي في حديثه عن جوانب الحب والهيام على بيان تلك

---

(165) سالم: المجموعة الشعرية الكاملة، ص: 48.
(166) سالم: المجموعة الشعرية الكاملة، ص: 48.
(167) سالم: المجموعة الشعرية الكاملة، ص: 48.

الخصوصية العشقية التي تمتاز بها تلك المحبوبة، فهي ليست كسائر المعشوقات، وإنما هي معشوقة من نوع آخر تتميز بقيمتها العظيمة، ومكانتها الكبيرة عند جميع الناس، وليس الأمر حكرًا على شخص واحد بعينه.

الفخر:

ونجد الشاعر السعودي يفتخر بهذه البقاع المقدسة، وأنه حاميها، فهذا المكان مصون عنده، ولن يستطيع أي من البغاة اقتحامه، ولو أن هؤلاء البغاة زعموا كاذبين مخطئين بأنهم سيمسون هذه الأمكنة، إلا أن زعمهم هذا سيبوء بالفشل، فما دام جند هذه الأمة يصونون هذه البقاع الطاهرة فلن يُهتضَم حقهم، يقول الشاعر(168):

أقدَاسُنَـــــــــا بأرْضِـــــــــــنَا مَصُـــــــــونَةٌ لَـــــــــنْ تُقْـــــــتَحَم

لَـــــــــنْ يَسْـــــــــتَطِيْعَ مَسَّـــــــــهَا بَـــــــاغ بِـــــــرُغْمِ مَـــــــا زَعَـــــم

فَــنَحْنُ جُنْـــدُ أمَّـــةٍ أبيَّـــةٍ لَـــنْ تُهْتَضَـم

إن أعظم شيء يفتخر به الشاعر السعودي بأن ضمت أرضه هاتين البقعتين الطاهرتين؛ فوجود المسجد الحرام، والمسجد النبوي في أرضه تمثل غاية الشرف، كما أن حصباء هذا الوطن صارت رجومًا للشيطان، في إشارة من الشاعر إلى بعض مناسك الحج – رمي الجمرات – كما زاد هذا المكان شرفًا أن احتوى قبر الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – وقبور صحابته الكرام، هذا كله كان قائماً في أرض السعودية، يقول الشاعر(169):

لَقَـــدْ شَرُفَـــتَ بِالْمَسْـــجِدَيْنِ وَقِبْلَـــةٍ وَحَصْـبَاؤُهَا صَـارَتْ رُجُوْمــاً لِلشَّـيْطَانِ

وَشَـــرَّفَهَا قَبْـــرُ الرَّسُـــوْلِ وَصَـــحْبِهِ عَوَالِـــمُ قَامَـــتْ فِـــيْ جِبَـــالٍ وَوِدْيَـــانِ

مَرَابِـــعُ كَانَـــتْ كَـــانَ طَـــهَ ضِـــيَاءَهَا يُـــدَاوِيْ مَرِيْضَـــاتِ الْقُلُـــوْبِ بِقُـــرْآنِ

---

(168) سالم: الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 191.
(169) السالم: ديوان بوح الخاطر، ص: 97.

ومن ملامح هذا الفخر بالأماكن المقدسة أن يذكر الشاعر بعضًا من الإرث التاريخي لهذا المكان فيبين مثلاً أن المدينة المنورة ضمّت أول مسجد في الإسلام، الذي تأسس على تقوى من الله سبحانه وتعالى، إذ قال الله جلّ وعزّ فيه: "لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ"[170]، يقول الشاعر[171]:

هَـــذِيْ الْمَدِيْنَـــةُ قَـــدْ بَـــدَتْ بِقِبَابِهَـــا مُخْتَالَـــةً بِفَخَـــارِهَا وَإِبَائِهَـــا

أرَأَيْـــتَ اَوَّلَ مَسْـــجِدٍ فِـــيْ سَـــاحِهَا وَعَلَـــى التُّقَـــى مُتَأَسِّسَـــاً بِفِنَائِهَـــا

ومن ملامح الفخر التي تطرق لها الشعراء السعوديون في حديثهم عن هذا المكان المقدس ما كان من ذكرياتهم لما جرى في المدينة المنورة من إخاء بين الصحابة الكرام، وتعاضد في مواجهة الكفار والمشركين، وكيف أنهم صمدوا ببدر حتى كتب الله لهم النصر، وكان حسان بن ثابت يدفع عزيمتهم بالتحريض على القتال والجهاد في سبيل الله بشعره الرائع، يقول الشاعر[172]:

وَذَكَـــرْتُ أَمْجَـــادَ الصَّـــحَابَةِ حِيْنَهَـــا وَكَـــذَا إِخَـــاءَهُمو وَهُـــمْ أَمْشَـــاجُ

وَذَكَـــرْتُ بَـــدْراً وَالْبَسَـــالَةَ حِيْنَمَـــا مُلِئَـــتْ بِجَـــيْشِ الْفَـــاتِحِيْنَ فِجَـــاجُ

وَذَكَـــرْتُ حَسَّـــانَ الْقَـــوَافِيْ قَـــدْ أَتَـــتْ مِنْـــهُ الْقَـــوَافِيْ بِالْجِهَـــادِ تُهَـــاجُ

ومن ملامح الفخر عند الشعراء السعوديين ما كان من عرض لبعض المواقف التاريخية التي تُبرز قيمة الحرم المكي، وتبيّن أنه محمي من الله سبحانه وتعالى، فهذه قصة الفيل من أبرز القصص التاريخية التي تُبيّن قدرة الله سبحانه وتعالى في حماية هذا الحرم المكي، فقد جاء أبرهة الأشرم، ينتعل نعلاً من جلد الفيل، وصب للريح شاي الهزيمة، فخذله الله بطير الأبابيل، يقول الشاعر[173]:

كَانَ عَوْدُ أَبِي حِيْنَمَا لَمْ يَكُنْ لِلْأَبَابِيْلِ مُتَّسَعًا

فِي الْفَضَاءِ وَأَبْرَهَةَ جَاءَ كَعْبَتَنَا

نَعْلُهُ جِلْدُ فِيْلٍ

صَبَّ لِلرِّيْحِ شَايَ الْهَزِيْمَةَ

---

(170) سورة التوبة، آية: 108.
(171) سالم: المجموعة الشعرية الكاملة، ص: 253.
(172) السالم: ديوان عندما كنت هناك، ص: 24.
(173) الوافي: وحيدًا من جهة خامسة، ص: 18.

وهذا الشاعر إبراهيم العواجي يربط بين قداسة مكة المكرمة والمدينة المنورة والرياض عاصمة السعودية، فكما أن مكة والمدينة في عالي الشرف، فإن الرياض أختهما، ومن هنا فإن افتخار أهل السعودية بمكة والمدينة يقترب من افتخارهم بالرياض، وهم على مقدرة عالية من الجرأة والشجاعة التي تجعلهم قادرين على حماية هذا الوطن الكبير بجهودهم، فهذه البيداء التي تحيط بهذه المدن المقدسة ما هي إلا مقابر لكل عادٍ يبغي على هذا الوطن الكبير، يقول الشاعر(174):

يَـــا أُخْـــتَ مَكَّـــةَ حَيْـــثُ الْهَـــدْيُ قَافِلَـــةٌ   سَـرَتْ إِلَـى الْقُـدْسِ نَـادَتْ وَاحِـدًا أَحَـدا
يَـــا أُخْـــتَ يَثْـــرِبَ لِلْإِيْمَـــانِ مَـــأْرَزُهُ   وَأَحْمَـدُ فِـيْ حِجَاهَـا يَنْشُـرُ الرَّشَـدا
قُـــوْلِيْ لَهُـــمْ ذِكِّـــرِيْ الْبَـــاغِيْنَ أَنَّ لَنَـــا   يَـداً وَذَاكِـرَةً لَـمْ تَعْرِفـا الْفَنَـدا
قُـــوْلِيْ لَهُـــمْ إِنَّ دُوْنَ الْبِيْـــدِ مَقْبَـــرَةً   لِكُـلِّ غَـازٍ عَلَـى هَـذِيْ الـدِّيَارِ عَـدا

ومن ملامح الفخر أيضًا ما كان من خلق النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – حين كان رحيماً في قومه، لا يدعو عليهم، وإنما يرجو لهم المغفرة من الله تعالى، ويطلب لهم الهداية، كما كان متحملاً لأذاهم، ولو نزلت أذيتهم بجبال مكة لما تحملتها، يقول الشاعر(175):

كُلَّمَـــا اسْـــتَمْرَأَتْ أَذَاكَ قُـــرَيْشٌ   جُـدْتَ بِـالْعَفْوِ وَالْفُـؤَادُ صَـفَاءُ
لَـــوْ تَلَقَّـــتْ جِبَـــالُ مَكَّـــةَ مِنْهَـــا   مَـا تَلَقَّيْـتَ هَـدَّهَا الْإِعْيَـاءُ
أَنْـــتَ لَـــمْ تَـــدْعُ بِالْعَـــذَابِ عَلَـــيْهِمْ   لَـا وَلَـا الْقَلْـبَ مَسَّـهُ بَغْضَـاءُ
قُلْـــتَ يَـــا رَبِّـــيْ هُـــمْ عَشِـــيْرَةُ قَـــوْمِيْ   فَـاعْفُ عَـنْهُمْ فَـإِنَّهُمْ جُهَلَـاءُ

لقد افتخر الشاعر السعودي بالقيمة العظيمة لهذه الأمكنة المقدسة في بلاده، وبيّن موقعها من نفوس الخلائق كلها، كما افتخر بافتداء هذه الأماكن الدينية المقدسة بالمهج والأرواح، ومقدار اهتمام الناس من حولها بهذه الأمكنة الدينية العظيمة، وبيّن الشاعر السعودي أن مناط الافتخار بهذه الأمكنة المقدسة اشتمالها على مواضع شريفة، كالكعبة الغراء، وقبر النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – والروضة الشريفة، وهكذا من الأمكنة المقدسة التي احتواها هذا المكان المقدس.

(174) العواجي: الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 366 – 367.
(175) سالم: المجموعة الشعرية الكاملة، ص: 119.

الدلالات السياسية للمكان:

يمنح التركيز على المكان في الشعر مزيدًا من الخصوبة الفنية والعمق الشعري، ومزيدًا من الانتمائية الوطنية، توسع من دائرة الانتماء من نفس الإنسان، وتقوي من أبنية الوعي الانتمائي لديه، وتشحذ في داخليه مشاعر الحس القومي[(176)].

ولا يقف الشاعر عند الحدود الجغرافية للمكان، فهو لا ينظر إليه على أساس أنه شكل هندسي حَسْبُ، بل يتعدى ذلك إلى تلك الارتباطات التي تتعلق بهذا المكان، فهو من خلال هذا المكان ـ الوطن يحس بالأمن، ويدافع عن هذا الوطن المكان الذي يعيش فيه، وما هذا إلا انجذاب لطبيعة المكان الداخلية التي يحس بها الشاعر، وانتماء عاطفي يتغلل في روحه[(177)].

ولمّا كان الشاعر منتميًا كل هذا الانتماء إلى وطنه، فمما لا شك فيه أنه سيتأثر بتلك الأحداث السياسية التي يعيشها ضمن إطار وطنه الكبير أولاً، والصغير ثانيًا، فلهذه الأحداث السياسية دورها المهم في تكوين شخصية الشاعر الشعرية، والتعبيرات الداخلية التي تصدر عنه والوصول إلى أحاسيسه الداخلية التي تصدر عنه تجاه ذلك النظام السياسي القائم في بقعة وطنه فالشاعر مثلاً يرفض الاستعمار، ويحس بالمسؤولية العميقة تجاه وطنه من ناحية، وأمته من ناحية أخرى[(178)].

وحين نتحدث عن الوطن المحدود فإنه يمثل الدولة والكيان السياسي الذي يعيش فيه الإنسان ويتمتع ذلك الإنسان بجنسية تلك الدولة، ومن ثم يُنسب إليها، فيقال مثلاً: أردني وسعودي ومصري، وهكذا، وبذا يتضح الوطن بمفهومه السياسي الحديث[(179)].

ومن هنا، فإن العلاقة بين المكان والإنسان علاقة تشاركية تمازجية تنبع من طبيعة الاكتساب بين هذين الطرفين، فالإنسان يكتسب قيمة كبيرة نابعة من المكان، ومن ناحية أخرى فإن المكان نفسه يكتسب هُويّة من شخصية الإنسان الذي يعيش فيه، تمامًا كما يكتسب ذلك الإنسان الهُويّة من ذلك المكان الذي يقطنه[(180)].

([176]) المغيض، تركي. جماليات المكان في شعر عرار، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، السنة الرابعة، العدد الثاني، 1989م، ص: 192.

([177]) المصلح، أحمد. الهم الإنساني في الشعر العربي في الأردن، مصطفى وهبي التل "عرار" نموذجاً، الشعر في الأردن وموقعه من حركة الشعر العربي، أوراق ملتقى عمان الثقافي الخامس، عمان ـ الأردن 1996م، ص: 94.

([178]) الواعظ، رؤوف. الاتجاهات الوطنية في الشعر العربي الحديث، دار الحرية للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1974م، ص: 6.

([179]) التتنجي، محمد. المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1993م ص: 72.

([180]) الشوابكة، محمد. دلالة المكان في مدن الملح لعبدالرحمن منيف، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، الأردن، العدد التاسع، 1991م، ص: 29.

والشاعر السعودي يواكب الأحداث السياسية وينظر إليها وفق منظوره الفني الشعري ويتأثر بقضاياه القومية. وفيما يأتي سيوضح الباحث هذه المواقف الخاصة بالشاعر السعودي تجاه القضايا السياسية المرتبطة بالمكان.

الفخر والتغني بأمجاد الوطن:

يتفق حب الوطن مع مقاصد الإسلام السمحة؛ إذ لا يعارض الإسلام محبة الأوطان، بل إننا نجد النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – تحدث عن حب الوطن والتعلق به، وذلك حين عزم على الخروج مهاجرًا إلى المدينة المنورة فقال متأسيًا على فراق مكة وطنه ومسقط رأسه: "إني لأعلم أنك أحب البلاد إلى الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت"[(181)].

ومن أبرز الأغراض الشعرية التي ظهرت في الجانب السياسي عند الشاعر السعودي ما كان من غرض الفخر والتغني بأمجاد الوطن، فيذكر الشاعر عاصمة السعودية – الرياض – ويتغنى بها على أنها دوحة للمجد، وفيها وُلدت الجيوش التي تحمي الأرض والشعب، فالجميع في السعودية روح واحدة، شعارهم الشجاعة والإصرار والجلد، هذا هو شعارهم على مدى التاريخ فالرياض أغنية للأطفال يغنونها، وهي طاقة متقدة في دم الشباب، يقول الشاعر[(182)]:

رِيَاضُ يَا دَوْحَةً فِيْ ظِلِّهَا وُلِدَتْ ... فَيَالِقُ الْعِزِّ تَحْمِيْ الْأَرْضَ وَالْوَلَدا

قُوْلِيْ لَهُمْ إِنَّنَا رُوْحٌ مُجَنَّحَةٌ ... شِعَارُهَا يَسْكُنُ الْإِحْسَاسَ وَالْكَبِدا

قُوْلِيْ لَهُمْ يَا ابْنَةَ التَّارِيْخِ مَلْحَمَةً ... تَحْكِيْ الشَّجَاعَةَ وَالْإِصْرَارَ وَالْجَلَدا

حُرُوْفُهَا فِيْ دَمِ الْأَطْفَالِ أُغْنِيَةٌ ... وَهَزْجُهَا فِيْ دَمِ الشُّبَانِ مُتَّقِدا

وبذا، فالمكان السعودي يحمل دلالته السياسية عند الشاعر السعودي، فما الرياض إلا عاصمة للمجد كما مضى، ونجد الشاعر السعودي يفتخر ببطولاته وفدائه لوطنه العزيز عليه فحتى لو كان وحده في ساحة الفداء فإنه مستعد لإشعال الأرض من دمه المنسفك، وهذا كله لما لهذا الوطن من حب في قلب الشاعر، ويجعل من المكان سبيلاً لإظهار هذا الحب الشديد لهذا الوطن، وسبيلاً للشهادة عليه بأنه بطل مغوار في سبيل فداء الوطن، يقول الوشمي[(183)]:

---

(181) ينظر مثلاً: الخركوشي، أبو سعد عبدالملك بن محمد بن إبراهيم: شرف المصطفى، دار البشائر، مكة المكرمة – السعودية، الطبعة الأولى، 1424هـ، ج: 2، ص: 203.

(182) العواجي: الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 366.

(183) الوشمي: البحر والمرأة العاصفة، ص: 10.

وَوَحْدِي أنَا الْعَازِفُ الْمُنْهَمِك

وَوَحْدِي الذي أشْعَلَ الأرْضَ مِنْ دَمِهِ الْمُنْسَفِك

أيَا وَطَنِي

أأنا شَاعِرٌ

أمْ مَلِك

وهذه الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية تشعل في قلب الشاعر السعودي مشاعر الفخر بالنواحي الدينية التي يهتم بها سياسيو هذا الوطن العربي، فالرياض كأنثى سعودية ترتدي نقابها الشرعي، ثم أخذت تصلي، وتعلم طفلها سورة الفتح، في إشارة من الشاعر إلى الرغبة الوطنية لدى السعوديين في البطولة والمجد، ثم إنها تمد يديها كي تعسس جوع النجوم، فلما بلغت من المجد ما بلغت نامت على تلة من السماء، وما هذا كله إلا دلالات يُحمِّلها الشاعر للمكان في سبيل إظهار دلالته السياسية ضمن الأطر الوطنية، يقول الشاعر(184):

الرِّيَاضُ بِلَا أصْدِقاء!

إنَّهَا نِصْفُ سَيِّدَةٍ كَحَّلَتْ عَيْنَيْهَا بِالنِّقَاب

وَرَاحَتْ تُؤَدِّي صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ فِي بَيْتِهَا

أقْرَأتْ طِفْلَهَا سُوْرَةَ الْفَتْح

مَدَّتْ يَدَاهَا تُعَسِّسُ جُوْعَ النُّجُوْم

وَنَامَتْ عَلَى تَلَّةٍ مِنْ سَمَاء

هذه الصورة التي ظهرت لنا في المقطوعة السابقة تتناول المكان السعودي – الرياض – بوصفه أنثى، وهي ككل الإناث السعوديات التي تعلم ابنها المجد، وترتدي النقاب الشرعي، فهي صورة منعكسة تمثل معادلة موضوعية للمرأة السعودية.

وهذا الشاعر سعد الثقفي يخاطب الريح ليبين لها أمجاد أمته، فيبين أنه ملتزم بدينه، لم تكن أفعاله من أفعال قوم عاد، فهذا بيته مزخرف بألوان الملاحم التي يعرفها المكان حوله وأشكال

---

(184) الوافي: وحيدًا من جهة خامسة، ص: 7.

النشيد التي تتغنى بالبطولة والشجاعة، هو سيد في حقله، وليس لديه من العبيد سوى دوابه التي يستعملها في أرضه تلك، ويجعل من المكان سبيلاً لإظهار هذه المعاني والدلالات، يقول[185]:

يَا رِيْحُ إِنِّي طَيِّبٌ

لَمْ أَنْتَسِبْ فِي قَوْمِ عَاد

بَيْتِي مِنَ الْحَجَرِ الْمُزَخْرَفِ بِالْمَلَاحِمِ وَالنَّشِيْد

حَقْلِي بِلَادٌ عِشْتُ سَيِّدَهَا وَثِيْرَانِي الْعَبِيْد

وليس أمر الفخر عند الشاعر السعودي مقتصرًا على جوانب الشجاعة والبطولة والحرب بل هي روضة في زمان السلم، تحب السلام، وتبسط رداءها لكل محتاج وكل قاصد لها، لكنها إن دعا داعي الحرب حربة نافذة في قلب كل طاغية خالف الطريق القويم السليم، فمناط الفخر بالرياض أنها في الحرب حربة، وفي السلم روضة، وهذه الدلالات السياسية ينسجها الشاعر ويربطها بالمكان السعودي الذي يتمثل في العاصمة الرياض، يقول الشاعر[186]:

رِيَاضُ يَا نَبْضَ أَحْلَامِيْ وَأَوْرِدَتِيْ ... وَجَذْوَةً أَشْعَلَتْ فِيْ قَلْبِيَ الْوَقَدا

يَا رَوْضَةً فِيْ زَمَانِ السِّلْمِ كَمْ بَسَطَتْ ... رِدَاءَهَا فَوْقَ مُحْتَاجٍ وَمَنْ قَصَدا

وَحَرْبَةً فِيْ زَمَانِ الْحَرْبِ نَافِذَةً ... فِيْ قَلْبِ طَاغِيَةٍ قَدْ خَالَفَ السَّدَدا

ومن ملامح الفخر التي يركز عليها الشاعر السعودي تلك المكارم التي اتصفت بها السعودية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، فقد أفاض هذا الوطن من مكارمه على من حوله وجعل كل من فيه يعيشون سعادة كبيرة، وهناء غامر، فأوجد له مكانًا في الخلود، يعطي وأعطى من قبل، لا يهمه الفقر أو الغنى، فيجعل الشاعر من المكان – الوطن – إنسانًا يُعطي ويستمر في عطائه، لا يمنعه عن هذا الفعل مانع، فهذا المكان المشبه بالإنسان يحمل تلك الدلالات السياسية وفق هذه المنظومة الدلالية، يقول الشاعر الغامدي[187]:

وَطَنٌ

أَفَاضَ مِنَ الْمَكَارِمِ وَالسَّنَا

---

(185) الثقفي: بعيدًا، ص: 23.
(186) العواجي: الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 368.
(187) الغامدي، سعد بن عطية: إلى العرين شامخاً، مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة الثانية، 1423هـ، 2003م، ص: 133.

وَأَنَالَ أسْبَابَ السَّعَادَةِ وَالْهَنَا

وَبَنَى مَقاماً فِي الْخُلُوْدِ

وَمَسْكَناً

أعْطى

وَيُعْطِي

تَحْتَ فقْرٍ اَوْ غِنَى

ومن أبرز الأحداث السياسية التي يتغنى بها الشعراء السعوديون اليوم الوطني، فهو عيد الوطن؛ إذ يطيب له هذا العيد، فهو وطن الرسالة الإسلامية، ووطن البطولة، والضياء الذي أشعت به الدنيا، وهو وطن سامٍ بفخره، ومهد للفخار يحتضنه، فالمكان السعودي ذاته يفتخر بهذا اليوم الوطني، ويتغنى به، فاستطاع الشاعر أن يكثف تلك الدلالات السياسية ضمن إطار هذا المعنى يقول الشاعر(188):

طَابَتْ لَكَ الأعْيَادُ

يَا وَطَنَ الرِّسَالَةِ

وَالْبُطُوْلَةِ

وَالسَّنَا

وَسَمَوْتَ مَهْدًا

لِلْفخَار وَمَحْضَناً

فهذا اليوم الوطني سبيل للافتخار والشموخ؛ إذ به تزهو الأيام، وتشتاق الأحلام إلى غدها وتزداد الدنيا جمالاً بأن تزهر الأشجار، وتخرج الثمار من أشجارها، وتفتر الأكمام عن أزهارها ويزداد المجد مجدًا؛ إذ تعلو الراية فوق الرايات، ويمزج الشاعر خلال هذا الحديث عن دلالة المكان السياسية بالزمان أيضًا، فلا شك في أن هذين العنصرين مهمان في تكوين الحياة من حولنا، يقول الشاعر(189):

وَطَنِيْ

فِي يَوْمِكَ تَزْهُوْ الْأَيَّامُ

---

(188) الغامدي: إلى العرين شامخًا، ص: 134 – 135.

(189) الغامدي: إلى العرين شامخًا، ص: 185.

تَشْتَاقُ إلَى غَدِهَا الْأَحْلَامُ

يُثْمِرُ شَجَرٌ

يُزْهِرُ ثَمَرٌ

تَفْتَرٌّ عَنِ الْأَزْهَارِ الْأَكْمَام

تَعْلُو الرَّايَةُ فَوْقَ الرَّايَاتِ

ولا شيء يعدل الفخر بأن صحراء السعودية احتضنت الجيل الأول من الصحابة الطاهرين، والنبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – إذ لا يعدل بهذا المجد مجدًا، فالمكان السعودي بصحرائه وحصبائه احتضن تلك الرسالة السماوية، فكان ذلك سبيلاً للافتخار والمجد، يقول الشاعر(190):

فَوْقَ هَذِي الْأَرْضِ مِنْ صَحْرَائِهَا أُمَّةٌ ثَارَتْ وَمَجْدٌ وَثَبَا

وَالْعُلا قامَتْ عَلَى كُثْبَانِهَا وَالنَّدَى حَلَّ عَلَيْهَا وَأَبَا

يَا الْأَرْضُ حَمَلَتْ رُوْحَ النَّبِيِّ هَلْ كَهَذا الْمَجْدِ مَجْدٌ وُهِبَا

افتداء الوطن:

ومن بين الدلالات السياسية التي حملها المكان السعودي في شعر شعرائه ما اختص بجانب فداء الوطن، وبذل المهج والأرواح في سبيل ذلك؛ إذ نجد الشاعر عبدالرحمن العشماوي يخاطب أهل الغدر والخيانات ويحذرهم من الوقوف في وجه الوطن، فأهل هذا الوطن أهل حراب، يقابلون الخير بالخير، أما إذا قُوبلوا بالشر فإنهم يُذيقون عدوهم العذاب، فإن كان الفارس قويًا، واعتدى على الأرض صار صاحب غاب، فليست الفروسية سطوة على آمن، أو امرأة في حجابها، ما هذا إلا الغدر بعينه، يقول الشاعر(191):

أيُّهَا الْوَالِغُ فِيْ أعْرَاضِنَا كُفَّ عَنَّا إنَّنَا أهْلُ حِرَابْ

نَحْفَظُ الْعَهْدَ لِمَنْ يَحْفَظُهُ فَإذَا خَانَ أذَقْنَاهُ الْعَذَابْ

أيُّهَا الْفَارِسُ فِيْ مَنْطِقِهِ أنْتَ فِيْ مَنْطِقِنَا صَاحِبُ غَابْ

(190) دغريدي: بين الزحام، ص: 19.
(191) العشماوي: يا أمة الإسلام، ص: 45 – 46.

قَـــدْ عَرَفْنَـــا مَنْطِـــقَ الثَّعْلَـــبِ مَـــا   عَـــادَ يَسْـــتَهْوِيْ الْجَمَـــاهِيْرَ الكِـــذَابْ

لَـــيْسَ بِالْفَـــارِسِ مَـــنْ يَسْـــطُوْ عَلَـــى   آمِـــنٍ فِـــيْ الـــدَّارِ أَوْ ذَاتِ حِجَـــابْ

هَكَـــذَا يَـــا فَـــارِسَ الْغَـــدْرِ الَّـــذِيْ   مَلَـــأَ الـــدُّنْيَا نَحِيْبَـــاً وَنَعَـــابْ

ويؤكد الشاعر إبراهيم العواجي هذا المعنى نفسه فيبين أن الدفاع عن الأوطان معتقد في معتقدات أهل الوطن، ومن هنا فلا يمكن لأحد أن يعتدي على هذا الوطن الكبير بجنوده وشعبه وليس من شجاعة العدو أن يقصف النساء والشيوخ والأطفال، بل الشجاعة والبطولة ملاقاة الجيوش بعضها لبعض، يقول الشاعر(192):

عَهْـــداً بِـــأَنْ تَفْتَـــدِيْ أَوْطَانَنَـــا مُهَـــجٌ   تَـــرَى الـــدَّفَاعَ عَـــنِ الْأَوْطَـــانِ مُعْتَقَـــدَا

تَـــأْبَى السَّـــرَاةُ بِـــأَنْ تَـــدْنُوْ لِهَامَتِهَـــا   زَوَاحِـــفٌ تَجْمَـــعُ الْأَوْغَـــادَ وَالْبُلَـــدَا

تَـــأْبَى الْقَطِيْـــفُ بِـــأَنْ تُصْـــغِيْ لِغَيْرِصَـــدَىً   لِصَـــوْتِهَا الْحُـــرِّ يُعْلِـــيْ فِـــي الْعِـــرَاكِ يَـــدَا

قُـــوْلِيْ لَهُـــمْ يَـــا رِيَـــاضَ الْمَجْـــدِ فِـــي شَـــمَمٍ   أَمِـــنْ شَـــجَاعَتِكُمْ قَصْـــفُ النِّسَـــاءِ عِـــدَا

جعل الشاعر من المكان السعودي في المقطوعة السابقة سبيلاً للحديث عن فداء هذا الوطن، وبذل الأرواح لأجل حمايته، ومن ناحية ثانية فإن الشاعر السعودي لا يغفل الحديث عن جنود هذا الوطن – المكان – الذين يبذلون المهج والأرواح في سبيل فدائه وحمايته، فالمكان زاخر بهذه البطولات، مفتخر بتلك الشجاعة والحماية التي يقدمها جنود هذا الوطن، يقول الشاعر مخاطبًا أمير الجيش(193):

يَـــا أَمِيْـــرَ الْقِطَـــاعِ أَنْـــتُمْ لِهَـــذَا   وَلِأَضْـــعَافِهِ بِبَـــذْلِ الْجُهُـــوْدِ

قَـــدْ سَـــمِعْنَا مِنْـــكَ الصَّـــبَاحَ حَـــدِيْثَاً   هُـــوَ لِلْمُخْلِصِـــيْنَ خَيْـــرُ وَقُـــوْدِ

إِنَّ دَاراً أَنْـــتُمْ حُمَـــاةُ حِمَاهَـــا   فِـــيْ أَمَـــانٍ عَـــنْ حَاقِـــدٍ وَحَسُـــوْدِ

فكان هذا الفداء، وذلك البذل العظيم للمهج والأرواح سبيلاً للافتخار بهذا الجيش السعودي وهؤلاء الجنود البواسل، فإن المكان السعودي يحتضن هؤلاء الأبطال، ويتأثر بما يفعلونه فيه يقول الشاعر(194):

أَنَا فِي إِثْرِ جُنُوْدِكَ أَنْعَمُ بِالذِّكْرَى

أَقْرَأُ أَسْفَارَ الْفَتْحِ وَأَحْفَظُهَا سَطْرَاً سَطْرًا

(192) العواجي: الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 367.
(193) السالم: ديوان عندما كنت هناك، ص: 49.
(194) الغامدي: إلى العرين شامخاً، ص: 187.

بَسَطُوا فِي النَّاسِ الْعَدْلَ

وَأَحْيَوا فِي الْأَرْضِ الشُّوْرَى

قَبْلَ الشَّمْسِ أَتَوا

خَلْفَ الشَّمْسِ بَقوا

وَبَنَوا بِالنَّصْرِ عَلَى الدُّنْيَا النَّصْرا

وَطَوَوا بِالْحَقِّ جُيُوْشَ الْبَاطِلِ وَأَذَلُّوا الْكُفْرا

الدلالات الاجتماعية للمكان:

يأخذ المكان في المنظور النقدي الحديث دلالات عدة تمثل عناصر استكناه العمل الأدبي فلا شك في أن المكان يشير إشارة واضحة إلى طبيعة الحياة التي يعيشها صاحبه، ويكشف لنا عن مجموعة الأبعاد الشخصية التي تتسم بها الجماعة، خاصة إذا أخذنا بالحسبان أن هذا المكان يشكل جزءًا مهمًا من البيئة التي يعيش ضمنها الفنان، ويتأثر بمكوناتها المادية والمعنوية، والمكان واحد من هذه المكونات التي تخضع لمجموعة الرؤى الشخصية التي تدفع بالإنسان إلى استظهار هذه القيم الجمالية والفنية ضمن عمله الأدبي، وهذا كله نابع من الطبيعة التأثيرية التي يظهر بها المكان خلال العمل الفني[195].

ومن هنا، فإن الإحساس الفعلي بالمكان إحساس أصيل وعميق في الوجدان البشري خاصة إذا كان هذا المكان يمثل بعضًا من جوانب الألفة والارتياح ضمن عناصر الحياة التي يعيشها الإنسان؛ لأن المكان يمثل حالة الارتباط المشيمي برحم الأرض الأم، فهو الموضع الذي يمثل هناءات الطفولة وذكرياتها، وصبابات الصبا ونزواتها[196].

يعني ذلك أن الارتباط بالمكان حاجة فطرية حميمية لدى الإنسان، فكيف إذا كان هذا الإنسان شاعرًا يعيش حالات الارتباط العاطفي بهذا المكان، ويقدر القيمة المكانية له، وطبيعة تأثيره في نفسه خاصة إذا كان هذا الشاعر قد عاش فيه طفولته، فإن المكان يصبح غنيًا بالعواطف والمشاعر

([195]) إبراهيم، زكريا. دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، الطبعة الأولى، 1968م، ص: 155، والمغربي، حافظ. شعرية المكان المقدس، دراسات في الشعر السعودي، النادي الأدبي، الرياض ـ السعودية، 1427هـ، ص: 91.

([196]) عثمان، اعتدال. إضاءة النص قراءات في الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثانية، 1998م، ص: 8.

الجياشة، غنيًا بالحس والأحلام والخيالات وذكريات الطفولة، والأحلام بالأسرة والبيت والحي والمدينة التي يعيش فيها؛ إذ تصبح الأرض بمثابة رحم الأم، فتتوالد التجربة صورًا بكرًا أبدية بالنسبة لهذا الشاعر أو ذاك(197).

فالإنسان اجتماعي بطبعه، ويعيش ضمن بيئة عامة تسهم إسهامًا مباشرًا وفعالاً في تكوين عناصر شخصيته الاجتماعية، ويكون لهذه البيئة المكانية أثر كبير في حياة الإنسان الاجتماعية والنفسية والجسدية، ولا بد من ظهور هذا الأثر في مجالات حياة الإنسان الأخرى، انطلاقًا من هذا الأثر المكاني الكامن ضمن عناصر البيئة العامة التي يعيشها الإنسان(198).

ولا يختلف الشاعر السعودي عن سواه من شعراء العربية، فهو يتأثر بالمكان الذي يعيش فيه ويُبرز تلك التأثيرات من خلال الدلالات المختلفة ضمن أعماله الشعرية. وفيما يأتي من صفحات سيبين الباحث تلك الدلالات الاجتماعية التي تظهر عند الشعراء السعوديين في العصر الحديث.

الأهل والإخوان:

إن من أبرز المظاهر الاجتماعية التي نراها عند الشعراء قديمًا وحديثًا حديثهم عن الأهل والإخوان وطبيعة تلك العلاقة الحميمة التي تربط هؤلاء الناس اجتماعيًا ببعضهم بعضًا.

ويُحمِّل الشاعر السعودي المكان بعضًا من مشاعره الجياشة جراء تبدل أحوال الناس الاجتماعية فبعد أن كان الجميع يذهب إلى السوق، فقد صار السوق موضعًا للنساء حَسْبُ؛ إذ لم يعد فيه أحد من الأصدقاء، فقد سئم الشاعر من هذا السوق الذي لم يعد قادرًا على إتمام المسيرة الاجتماعية التي كانت منوطة به من قبل، بل إن النساء أنفسهن سئمن هذا السوق الذي صرْن بالنسبة له زينة يتزين بها، يقول الشاعر(199):

سَألَتْنِي الْمَدِيْنَةُ ذكَّرَتْنِي أشْيَاءَ كُنْتُ تَنَاسِيْتُهَا

سَألَتْنِي عَنِ الْحَالِ وَالنَّاسِ وَالْأَصْدِقاءِ

سَألَتْنِي حَوَانِيْتُهَا عَنْ نِسَاءٍ يَرِدْنَ خِفَافاً بِأَشْيَائِهِنَّ

وَيَعُدْنَ إلَى الرِّيْفِ عِنْدَ الْمَسَاءِ

سَئِمْنَ رَدَاءَةَ سُوْقٍ يَظَلُّ الْحَرِيْمُ لَهُ زِيْنَةً

---

(197) العضايلة. المكان الأردني، ص: 121.
(198) ينظر: حور. الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، ص: 18.
(199) الثقفي: بعيداً، ص: 61.

وقد يخصص الشاعر السعودي جزءًا مكانيًا من وطنه فيصف أهله وسكانه على حدة ويبين مقدار اتفاقهم وائتلافهم مع بعضهم بعضًا، حتى يصيرون مضربًا للمثل في الألفة والاتفاق هكذا بيّن الشاعر أحمد السالم حين تحدث عن حي الفلاح في الرياض، فإن أهل هذا الحي مثقفون ولديهم مقاصد نبيلة، مما جعل قلوبهم تتآلف فيما بينها، وهذا سر نجاحهم في حياتهم، فأنار هذا المكان بطلعتهم البهية المفلحة، وكل من سكن هذا الحي يشتاق إليه لما فيه من راحة في العيش يقول الشاعر(200):

حُلْـــوَةٌ كُلُّهَـــا الرِّيَـــاضُ وَلَكِـــنْ   مَـا بَـدَا لَـيْ حَـيٌّ كَحَـيِّ الْفَلَـاح
لِذَوِيْـــهِ تَبْـــدُوْ الثَّقَافَـــةُ هَمّـــاً   فِـــيْ مَسَـــاءٍ وَغُـــدْوَةٍ وَصَـــبَاح
أَلَّـــفَ الْمَقْصَـــدُ النَّبِيْـــلُ رُؤَاهُـــمْ   وَائْتِلَـــافُ الْقُلُـــوْبِ سِـــرُّ النَّجَـــاح
شَـــعَّ نُـــوْرُ الْفَلَـــاحِ حِـــيْنَ سَـــكَنْتُمْ   وَمَـــعَ الْوَقْـــتِ نُـــوْرُهُ فِـــيْ انْـــدِيَاح
وَكَـــأَنِّيْ بِكُـــلِّ مَـــنْ سَـــكَنُوْهُ   فِـــيْ اشْـــتِيَاقٍ لِـــوَرْدِهِ الْفَـــوَّاح

ومن المظاهر الإخوانية في المكان الذي يعيش فيه الشاعر السعودي تلك المساواة بين جميع أفراد المجتمع من حوله، فقد تساوى الغني بالفقير، فليس لأحدهما منزلة على الآخر، كما تساوى الجميع فيه سيدًا وراعيًا، فالجميع أمام مجتمعه سواء، وما هذا إلا بحكمة القيادة السعودية التي سطع من خلالها نور الحق، فصارت الحياة أكثر سعادة، وانتشرت البهجة في أرجاء الكون فإذا شاعت العدالة والإخاء بين الناس فإن المجتمع يحيا حياة كريمة سعيدة، يقول الشاعر(201):

سَـــطَعَ الْحَـــقُّ فِـــيْ سَـــمَاهُ قَوِيًّـــا   يَغْـــرِسُ الْحُـــبَّ فِـــيْ نُيُـــوْبِ الْأَفَـــاعِي
يَتَسَـــاوَى عَلَـــى ثَـــرَاهُ غَنِـــيٌّ   وَفَقِيْـــرٌ وَسَـــيِّدٌ بِالرَّعَـــاع
فَغَـــدا الْكَـــوْنُ فِـــيْ حِمَـــاهُ بَهِيْجـــاً   وَحْـــدَةَ الْعَـــدْلِ وَالْإِخَـــاءِ الْمُشَـــاع

ونجد الشاعر يتفاخر بأهل نجران واصفًا إياهم بكل صفات الكرامة والشموخ، فهم أصحاب رؤوس عالية، كرامٌ في طباعهم وأخلاقهم، وهم للناس إخوة، يبذلون كل ما لديهم في سبيل الجود والكرم، وعلاوة على ذلك فهم أهل شجاعة وإقدام، لا يخشون الموت والمنايا، فإذا حلّ بالبلاد بلاء ما، فإنهم يردون الموت ولا يبالون بالحياة، وهم أهل ثقافة وحوار وعلم، لذا فرضت هذه الثقافة على الشاعر أن يزورهم في مكانهم ذاك، وما هذا كله إلا دلالات اجتماعية ربطها الشاعر بمكان –

(200) السالم: عندما كنت هناك، ص: 27.
(201) العواجي: الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 310 - 311.

نجران – وبيّن أن هذه الدلالات الاجتماعية مرتبطة بأهل هذا المكان من السعودية، يقول[202]:

فلِأهْلِهَــــا الشَّــــمِّ الْكِــــرَامِ تَجِلَّــــةً وَلَهُــمْ مِـــنَ الْقِـــيَمِ الْعُلَـــا مَحْمُوْدُهَـــا

أنَـــا لَـــمْ أجِـــدْ فِـــيْ الـــدَّارِ إلَّـــا إخْـــوَةً غَمَـــرَ الْبَـــوَاكِرَ وَالطَّـــوَارقَ جُوْدُهَـــا

فَـــإذَا أحَاطَـــتْ بِالْبِلَـــادِ بَلِيَّـــةٌ وَرَدُوْا الْمَنُـــوْنَ إذَا اسْـــتَحَالَ وُرُوْدُهَـــا

فَـــرَضَ الْجِـــوَارُ زِيَـــارَةً قَـــدْ جَـــدَّدَتْ أشْـــوَاقَ مَـــنْ تَهْـــوَاهُ وَهْـــوَ يُرِيْـــدُهَا

وهذه الحياة الاجتماعية الإخوانية في المكان السعودي تفرض عليهم الترابط والتآزر فيما بينهم وهم رجال، إذا دعا داعي الضرورة اجتمعوا وتآزروا واستعدوا للنزال فداء لوطنهم الغالي فهم مع بعضهم بعضًا فرسان متراصون، تصحبهم العزيمة التي تذيب كل صعب، وتوقد في نفوسهم حب وطنهم، وإيمانهم بالله سبحانه وتعالى يحفزهم للترابط والتآزر، يقول الشاعر[203]:

جَبِيْنُـــــــكِ الْهِلَـــــــال وَأهْلُـــــــكِ الرِّجَـــــــال

وَإنْ دَعَـــــــا الْقِتَـــــــال لَبُّـــــــوْا لِلنِّـــــــزَال

وَوَثْبَـــــــةَ الْفُرْسَـــــــان

يَـــــــا مَوْقِـــــــداً بِقَلْبِـــــــيْ يُـــــــذِيْبُ كُـــــــلَّ صَـــــــعْبِ

وَمَوْكِبِـــــــاً بِـــــــدَرْبِي وَاَصْـــــــلُ كُـــــــلِّ حُـــــــبِّ

وَمَنْبَـــــــعَ الْإيْمَـــــــان

ومن هنا فقد كان الشاعر السعودي يعتمد في حديثه عن الجوانب الاجتماعية ضمن البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها على طبيعة تلك العلاقة القائمة بين الأهل والإخوان، ويُظهر تلك العلاقات القائمة بين هؤلاء الجماعات الاجتماعية على أنها نسيج اجتماعي متكامل، ويبين تلك العلاقات القائمة بين الأهل والإخوان ضمن إطار فني شعري قائم على أساس من التأثر الاجتماعي الكامن في نفس الشاعر.

وصف الحياة الاجتماعية:

يصف الشاعر السعودي حياته الاجتماعية التي يعيشها ضمن بيئته المكانية، ويصف مع تلك الحياة الاجتماعية بعضاً من ملامح المكان الدال على هذه الحياة الاجتماعية، فالقهوة والضيوف

([202]) السالم: عندما كنت هناك، ص: 40.

([203]) سالم: المجموعة الشعرية الكاملة، ص: 360.

ومشاعر الارتحال كلها لا تغادر فكر الشاعر ولا خياله؛ إذ هي من الملامح الاجتماعية البارزة في حياتهم، تنبع من عادات العرب و تقاليدهم، كما يصف الشاعر ما يجري من أحوال اجتماعية تقع في المكان السعودي، وذلك ما هو ماثل في الحديث عن النار التي تُشعل في الخيمة ويجتمع الناس حولها، وينطلق الشعر معبرًا عما في خواطرهم، كل هذا أقوى من ذاكرة الحروف وهذه الأحوال الاجتماعية تحصل في الخيمة التي يعيش فيها البدوي، لا في القصور والبيوت فهي ميزة اجتماعية خاصة بالخيمة دون سواها من عناصر الحياة المكانية الأخرى، يقول الشاعر(204):

رَائِحَةُ الرَّحِيْلِ وَالْقَهْوَةِ وَالضُّيُوْف

فِي خَاطِرِي تَطُوْف

وَشُعْلَةُ الْحُرُوْف

تَنْثُرُ فِي دِمَائِي النَّارَ وَفِي عُيُوْنِي الْقُطُوْف

وَالليْلُ وَالشِّعْرُ عَلَى بِسَاطِيَ الْمَلْفُوْف

تَكَادُ أَنْ تَبُوْحَ بِالْأَلُوْف

ذَاكِرَتِي أَكْبَرُ مِنْ ذَاكِرَةِ الْحُرُوْف

أَخُطُّ فِي الرَّمْلِ أَنَا رِسَالَتِي

وَخَلْفِيَ الْجُمُوْعُ وَالْحُتُوْف

هذِهِ أَنَا الْخَيْمَةُ ـ يَا سَائِلَتِي ـ

خَارِجَةٌ مِنْ فَشَلِ الْقُصُوْرِ وَالْكُهُوْف

أَحْمِلُ أَلْفَ لَيْلَةٍ

الشِّعْرَ وَالْأَشْوَاقَ وَالدُّفُوْف

وينتقل الشاعر في لوحته الجمالية ذاتها للحديث عن العناصر الجديدة التي أثرت في طبيعة الحياة الاجتماعية لدى الإنسان السعودي، فأخذت منه كل مأخذ، وقضت على كثير من ملامح الحياة الاجتماعية التي كان يستمتع بها، حتى كأن الإنسان قد احترق بهذه الثورة النفطية التي جاءت لتدمر كثير من ملامح الحياة الاجتماعية التي كان البدوي يعيشها، فالخيمة كانت رمزاً للعروبة والبداوة، في حين إنها الآن لا تحمل القيمة الاجتماعية التي كانت تحملها سابقاً،

([204]) الوشمي: البحر والمرأة العاصفة، ص: 43.

يقول الشاعر[205]:

أنَا هُنَا قَبْلَ مَجِيْءِ النِّفْطِ فِي بِلَادِنَا

وَقَبْلَ أنْ يَحْتَرِقَ الإنْسَانُ

أنَا الَّتِي أحْمِلُ فِي ذَاكِرَتِي

عُرُوبَةَ الْبِيْدِ إذا آلَمَهَا الزَّمَانُ

ونجد الشاعر إبراهيم الوافي يصف الحياة الاجتماعية التي تجري في مدينة الرياض وصفًا سريعًا يتمثل في أن الناس الذين يعيشون في تلك المدينة ينتعلون الدجى، ويمرون بين البنايات العالية حلوا شمسهم، يقول[206]:

وَرُقْيَاَ الرِّيَاضِ

أنَاسٌ يَمُرُّوْنَ بَيْنَ الْبِنَايَاتِ يَنْتَعِلُوْنَ الدُّجَى

حَلُّوا شَمْسَهُمْ وَاسْتَبَاحُوا الْغُيُوْمَ وَعَادُوا إلَى وَحْشَةِ الْأَرْصِفَة

أما الشاعر أحمد كتوعه[207] فإنه لا يصف المظاهر الاجتماعية وصفًا مباشرًا، بل يجعل هذا الوصف آتيًا من خلال حديثه عن الأرض نفسها، فالأرض – المكان _ ما تزال واقفة منذ زمن طويل لم تتحرك، وهذه الأرض الواقفة قادرة على أن تعرف الكثير عن حياة الإنسان فيها فهي تعرف الطيور والريح، والناس الذين يعبرونها ويمضون، فحياتهم ليست بمنأى عن هذه الأرض الواقفة منذ زمن بعيد، يقول[208]:

هِيَ الْوَاقِفَةُ بِانْتِبَاهٍ كُلَّ هذا الْوَقت

تَعْرِفُ الْكَثِيْرَ

الطُّيُوْرَ

الرِّيْحَ

الْعَابِرِيْنَ تِبَاعًا

([205]) الوشمي: البحر والمرأة العاصفة، ص: 44.

([206]) الوافي: الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 17.

([207]) هو الشاعر السعودي: أحمد كتوعه، شاعر له عدد من المؤلفات الشعرية من بينها: كرة صوف لفت على عجل، وديوان كما أشاء.

([208]) كتوعه، أحمد: كما أشاء، النادي الأدبي بالرياض، والمركز الثقافي العربي، الرياض ـ السعودية، الطبعة الأولى، 2008م، ص: 19.

ونجد الشاعر يصف لنا الحياة الاجتماعية في بعض الأحوال فيظهرها على أنها ممزقة، فيتوق إلى الحياة الاجتماعية الرتيبة التي كان يعيشها قبل أن تظهر هذه المدن العظيمة، فتسائلا عمن يقدر على أن يهب المدينة لون النخيل، أو هسهسات الرمال، وذلك نظرة اجتماعية منه لما هو كائن في الوقت الحالي من تبدل الحياة الاجتماعية عمّا كانت عليه سابقًا، يقول الشاعر إبراهيم وافي في وصف ذلك(209):

مَضَى... مُوْجَعاً كَالليَالِي السَّعِيْدَة

بَيْنَمَا كُنْتُ أَسْمَعُ

عَنْ "مُدُنٍ مَزَّقَ الطَّلْقُ أَحْشَاءَهَا"

قُلْتُ: مَنْ يَهَبُ النَّخْلَ

لَوْنَ الْمَدِيْنَةِ... أَوْ هَسْهَسَاتِ الرِّمَالْ

ولمّا كان الشاعر عمومًا يعيش في بيئة صحراوية فقد هذه البيئة في نتاجه الشعري فيما يخص الحياة الاجتماعية ووصفها، فنجده يصف الصحراء المحيطة به؛ إذ هي مخيفة، وهي أزلية تزدرد الليالي، ومن يعيش فيها لا يختفي عن مسامعه صوت الرياح التي عهدها منذ جدوده، فهي تصدر صوتها في تلك الرمال والفيافي المقفرة، فيظن السامع أنها معازف الجن، يقول الشاعر(210):

أَنَا فِيْ جِوَارِكْ

أَيُّهَا الْأَزَلُ الْمُخِيْفُ مِنَ الرِّمَالِ

أَنَا عِنْدَ شَاطِئِكَ الَّذِيْ

يُغْفِيْ. ... وَيَزْدَرِدُ اللَيَالِيْ

أُصْغِيْ إِلَى الْأَصْدَاءِ

يَعْرِفُ مِنْ مَلَامِحِهَا جُدُوْدِيْ

أَلِفُوا الرِّيَاحَ مَعَازِفاً لِلْجِنِّ

---

(209) وافي: وحيدًا من جهة خامسة، ص: 33.
(210) العيسى: أنا وجزيرتنا العربية، ص: 78.

ومن ملامح الحياة الاجتماعية التي يصفها الشعراء السعوديون ضمن مكانهم الذي يعيشون فيه ما كان من تحرّك النساء من غير خوف أو وجل، فهن قادرات على أن يخرجن من بيوتهن بكل طمأنينة ووقار، يذهبن إلى الأسواق في ملمح اجتماعي معتاد عند سائر الأمم، فالنساء يتعلقن بالأسواق عمومًا، يقول الشاعر(211):

مَشَتْ امْرَأَةٌ خَارِجَ البَاب

مَشَتِ امْرَأَةٌ فِي الطَّرِيْق إلَى بَيْتِهَا

مَشَتِ امْرَأَةٌ فِي الطَّرِيْق لِبَقَّالَةِ الْحَيِّ

مَشَتِ امْرَأَةٌ

وهذا الشاعر محمد الثبيتي يصف لنا الحياة اليومية التي يعيشها الإنسان السعودي في وطنه فالصبح يدير مقلته بين الأنام، فتأتي القهوة العربية اللذيذة المرة، ثم إن الجالسين يقلبون مواجعهم ثم تأتي الربابة في حالة من الطرب العربي الأصيل، ليعزف عليها الشاعر أجمل المقطوعات يقول الشاعر(212):

أدِرْ مُهْجَةَ الصُّبْح
صُبَّ لَنَا وَطناً فِي الْكُؤُوْس
يُدِيْرُ الرُّؤُوْس
وَزِدْنَا مِنَ الشَّاذِلِيَّةِ حَتَّى تَفِيْءُ السَّحَابَة
أدِرْ مُهْجَةَ الصُّبْح
وَاسْفَحْ عَلَى قُلَلِ الْقَوْمِ قَهْوَتَكَ الْمُرَّة
الْمُسْتَطَابَة
أدِرْ مُهْجَةَ الصُّبْح مَمْزُوْجَةً بِاللَّظَى
وَقَلِّبْ مَوَاجِعَنَا فَوْقَ جَمْرِ الْغَضَا
ثُمَّ هَاتِ الرَّبَابَة
هَاتِ الرَّبَابَة

وهكذا، فقد اهتمّ الشاعر السعودي بوصف تلك الحياة الاجتماعية التي يعيشها ضمن بيئته الصحراوية أو الريفية أو حتى المدنية، فيصف حالات التعالق الاجتماعي واندغام المجتمع مع

---

(211) با فقيه: رقيات، ص: 51.
(212) الثبيتي، محمد: الأعمال الكاملة، دار الانتشار العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 2009م، ص: 97.

بعضه بعضًا، كما يصف طبيعة تلك الحياة الاجتماعية التي يعيشها، وكيفية سير الحياة اليومية في ظل وجود بعض المعتقدات الاجتماعية الكثيرة، كالقهوة العربية، والنار والربابة، والخيمة ومعاني البطولة والافتخار بحياة العروبة.

الدلالات النفسية للمكان:

أصبح المكان عنصرًا فاعلاً من عناصر استكناه العمل الفني واستنباطه، كشفًا لجمالياته ليس على مستوى الرؤية حَسْبُ، بل أصبح على مستوى الأداة شكلاً يتخذ عدة مستويات يمكن من خلالها النظر إليه بوصفه بنية تقوم عليها ـ إلى جوار بنيات أخر ـ هُوِيّة النصوص وكيانها، هذا بالإضافة إلى أن المكان كان وما زال يؤدي دورًا مهامًّا في تكوين هُوِيّة الكيان الجمالي، وفي التعبير عن المقومات الثقافية، وقد أثرت العوامل البيئية في المفاهيم الأخلاقية والجمالية التي تحرّك الشعوب في جميع أرجاء العالم، ويصبح المكان إشكالية إنسانية إذا ما سُلِب، أو إذا حُرمت منه الجماعة، ولذا فإنه يكتسب قيمة خاصة ودلالة مأساوية بالنسبة إلى من سُلب منهم هذا المكان(213).

فكما أن للمكان تأثيرًا كبيرًا في حياة الإنسان الاجتماعية والدينية فإن له تأثيرًا كبيرًا أيضًا ضمن الجوانب النفسية للإنسان، إذ كثيرًا ما تعلق النواحي النفسية المتعلقة بذكريات الطفولة والحنين إلى الأوطان ضمن ذاكرة الشاعر، فيُظهرها عملاً فنيًا من خلال قصائده الشعرية(214). ولمّا كان الإنسان يعيش ضمن بيئة معينة تسهم إسهامًا مباشرًا في تكوين شخصيته، وتؤثر تأثيرًا واضحًا في حياته النفسية والجسدية، فإنه لا شك أن لهذه البيئة التي يعيش فيها الإنسان أثرها الكبير في تكوين نفسيته، وإبراز هذه المجالات النفسية ضمن عناصر حياته الأخرى، تأثرًا بالبيئة المكانية التي عاش فيها(215).

يتميز المكان عمومًا بدرجة من الثبات النسبي، مما يُساعد الأنا على تعرُّف ذاتها من خلال هذا المكان الثابت، كما يُساهم هذا المكان المتميز بالثبات النسبي في مساعدة الأنا على الوقوف في وجه عواصف التغيير والتشتت والضياع، وهذه قد تؤدي إلى الإطاحة بهذه الأنا ضمن عواصف التغيير(216).

ولا شك في أن للمكان أثرًا كبيرًا في نفسية الإنسان، فالوطن مثلاً عامل مهم من عوامل

---

(213) إبراهيم. دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص: 155.
(214) ينظر: المغربي. شعرية المكان المقدس، دراسات في الشعر السعودي، ص: 91.
(215) حور. الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، ص: 18.
(216) حافظ، صبري. الحساسية الجديدة واستخدامات المكان الأدبية، مجلة أقلام، العدد: الحادي عشر والثاني عشر، 1986م، ص: 71.

نشوء العلاقات النفسية بين الإنسان – الشاعر – والمكان، فالإنسان يحب وطنه، ويتمسك به وهذه العلاقة الحميمية بين الإنسان والوطن تتجسد عبر التاريخ منذ بدايته، وحتى يومنا هذا، وليس من السهولة بمكان أن تتحور هذه العلاقة التاريخية عن أساسها الذي وُضعت لأجله[217]،ويزداد الإنسان إحساساً بالمكان إذا حُرم منه، فحين ينقطع الإنسان عن وطنه ويُحرم منه سواء اختياريًا كان أم إجباريًا فإن الوطن يتمدد في داخل الإنسان ويصبح مصدرًا للحلم والإبداع وتنشيط المخيلة الخارقة، لتبدأ بتشكيل صورة خاصة لهذا المكان[218].

إن الإنسان حين ينتقل من مكان إلى آخر، خاصة إذا كان هذا الانتقال انطلاقًا من الوطن نفسه، فإن هذا الوطن – المكان _ يبقى محايثًا للإنسان ضمن علاقاته النفسية، كما يبقى على ارتباط عميق بهذا المكان الأصلي في نفسه، ثم تنعكس هذه الضدية الواقعية والمحايثة النفسية على أعمال هذا الإنسان ونفسيته، وفقًا لما يتولد عن هذا المكان في نفس ذلك الإنسان[219].

ويزداد هذا الارتباط النفسي بالمكان عند الشاعر إذا كان راحلاً عنه، ومبتعدًا عن النظر إليه، فإنه في بادئ الأمر يحس بالحنين تجاه هذا المكان، وصب جام غضبه وسخطه على تلك الظروف التي دفعت هذا الإنسان إلى الابتعاد عن مكانه الأصلي، ثم نجد هذا الشاعر يعزي نفسه بشيء من الجلد والحنين إلى ذلك المكان الأم الذي انطلقت منه حياته، وقد تزداد حدة هذا الارتباط النفسي بذلك المكان إذا كان للشاعر محبوبة أو ذكريات عاطفية ضمن هذا المكان الأصيل في نفسه، فإنه لا يفتأ يتذكر ذلك المكان، ويتوق إلى تلك اللحظات العاطفية الجميلة التي ذهبت عنه[220].

كثف الشعراء المعاصرون في الشعر العربي الحديث لغتهم، وصوروا اندلاع حالاتهم الانفعالية والنفسية الداخلية، وبلّغوا رسائلهم لمتلقيهم، وكشف النقاد الشعور بالرعشة الموسيقية التي أظهرت ترف الروح والجسد. إن بناء المكان بمعطياته الإيجابية يحتاج إلى شاعر متمرس وفذ، وحصيف، والأديب "يحرص على أن يكون إبداعه نتيجة وعي أصيل وثيق الارتباط بالزمان والمكان، ويسعى بدأب إلى إيجاد الأشكال الفنية القادرة على التعبير عن هذا الوعي، وعن هذه الرواية التي يريد أن ينقلها للمتلقين كي يصيبهم بعدوى تأثيرها"[221].

---

(217) حور. الحنين إلى الوطن في الأدب العربي، ص: 24.
(218) عثمان. إضاءة النص، ص: 8.
(219) أبو غالي. المدينة في الشعر العربي المعاصر، ص: 75.
(220) بدوي. الغربة المكانية في الشعر العربي، ص: 15.
(221) حبيبي، إيميل: بناء المكان في سداسية الأيام الستة، مجلة علامات في النقد، دار الفلاح للنشر والتوزيع بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1999م، ص: 190.

والشاعر السعودي لا يختلف عن سواه من شعراء العربية في علاقاته النفسية مع المكان فلقد حنّ الشاعر السعودي إلى مكانه الأصلي، وحن إلى ذكريات الطفولة، وأحس بالغربة المكانية حين تنقل من وطنه إلى بلاد أخرى. وفيما يأتي من صفحات سيركز الباحث الحديث عن هذه القضايا النفسية التي ظهرت في شعر الشاعر السعودي.

الغربة المكانية:

إن ظاهرة الغربة المكانية تمثل أبرز ظاهرة نفسية ماثلة في شعرنا العربي منذ القدم وحتى عصرنا الحاضر، فالشاعر العربي قد عانى من هذه الغربة المكانية منذ أن وقف على الأطلال ليخاطبها من جهة، وليحن إلى العودة للعيش في هذا المكان من جهة أخرى، فبادل هذه الأطلال أحاسيسه وعواطفه، وخاطبها، وحنّ إلى الماضي وذكريات الطفولة، فأحس بالاغتراب المكاني عن هذه الحياة التي عاشها من قبل، فلم يجد الشاعر أمامه بدًا من استظهار هذه العواطف والمشاعر النفسية ضمن قصائده الشعرية، فخرجت محملة بالصور العاطفية الملهمة من مشاعر ذلك الشاعر النفسية، وهذه الصور التي خرجت على لسان هذا الشاعر إنما خرجت نتيجة لمعاناة نفسية عميقة أحس بها الشاعر فكتب هذه الأشعار، وخرج بتلك الصور[222].

فهذا الشاعر أحمد "بهكلي" يحس بالغربة المكانية حين كان في نيويورك واشتاق إلى وطنه السعودية، أخذت خواطر الغربة والحنين إلى ذلك الوطن تجيش في فؤاده، فأطلق العنان لفكره متأملاً في شوقه العظيم لوطنه، فتناسى بقية الركب، ثم وصف حاله في بلاد الغربة تلك بأنه في سراب الوهم، يقتات احتراقًا، وكاهله مفصود، يتذكر الأمجاد العظيمة، والذكريات الكريمة غير أن يد المجد ملأتها القيود، ويحس الشاعر بنداء داخلي في نفسه ينادي الصحب كي يعودوا من غربتهم، فيقول[223]:

خَاطِرٌ دَاهَمَ الفُؤَادَ فَأَرْسَلْـتُ لِفِكْرِي الْعَنَانَ وَهْوَ يَرُوْدُ
وَتَنَاسَيْتُ بَاقِيَ الرَّكْبِ وَالْمَرْكَبُ يَخْتَالُ وَالدَّلِيْلُ سَعِيْدُ
وَأَنَا فِي سَرَابِ الْوَهْمِ أَقْتَاتُ احْتِرَاقِي وَكَاهِلِي مَفْصُوْدُ
أَنْعِشُ الْمَجْدَ مِنْ رُكَامِ انْهِزَامِي وَيَدُ الْمَجْدِ أَثْقَلَتْهَا الْقُيُوْدُ
لَحْظَةٌ... لَحْظَتَيْنِ يَخْطِفُنِي صَوْتُ الدَّلِيْلِ الْمُدِلِّ: يَا صَحْبُ عُوْدُوا

([222]) بدوي، عبده. الغربة المكانية في الشعر العربي، مجلة عالم الفكر، العدد العاشر، 1984م، ص: 14، 18.
([223]) بهكلي، أحمد يحيى: أول الغيث، النادي الأدبي بالرياض، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، 1412هـ، 1992م، ص: 26.

ويحاول الشاعر السعودي استحضار الماضي التراثي للوقوف على الأطلال ومخاطبة الصحب حين يشعر بالغربة المكانية، محاولاً العودة بالذاكرة الأدبية إلى عالم الشعر الجاهلي فيخاطب صحبًا له كي يودع نجدًا، غير أن نجدًا فيها ما فيها مما يُحبه الشاعر، ولمّا تركها فإنّ شيئاً ما أجبره على ذلك، ثم يصف هذا الشاعر ذلك الموجود في نجد، ويبين أنه عظيم الأثر في نفسه فالأسباب التي دفعت بهذا الشاعر إلى ترك نجد ما هي إلا أسباب هلامية، لا تعرف التفسير، ولا يعرف المنطق لها سبيلاً، يقول(224):

قِفَـا وَدِّعَـا نَجْـداً فَبِـي مِثْـلَ مَـا بِـهِ — وَفِيْـهِ الَّـذي يُشْقِـي وَفِيْـهِ الَّـذي اَهْـوَى

وَفِيْـهِ الـذي إنْ ذَاقـتِ الـذَّاتُ عَـنْ دَمِـي — تَـذَلَّلَ حَتَّـى صَـارَ أنْـدَى مِـنَ النَّجْـوَى

وَفِيْـهِ الَّـذِي إنْ ضَـجَّتِ النَّـارُ فِـي فَمِـي — تَجَبَّـرَ حَتَّـى صَـارَ أقسَـى مِـنَ الشَّـكْوَى

هُلَامِيَّـةُ الأسْـبَابِ لَـا تَعْـرِفُ الْهُـدَى — وَلَـا مَنْطِـقُ التَّفْسِـيْرِ يُفْضِـي إلَـى فَحْـوَى

أنَـا مَـنْ أنَـا؟ وَجْـدٌ يَـزُوْرُ انْفِعَالُـهُ — وَيَرْجِـعُ مِـنْ بَعْـدِ التَّجَلِّـي إلَـى الْمَـأوَى

وتزداد سطوة هذه الغربة المكانية على الشاعر السعودي حين يكون بعيدًا جدًا عن وطنه فهذا الشاعر خوجه يتوق إلى وطنه وهو في موسكو، فيصف أشواقه العظيمة التي يعيشها في بلاد الغربة، ويجعل من هذا الشوق سبيلاً للمقارنة بين موسكو والسعودية في الطبيعة العامة للحياة هناك، ففي موسكو الثلج يغمر الشاعر؛ لذا فإن روحه تتوق إلى اللهب المحرق في أجواء وطنه المشمسة، والنفس الحبيسة تاقت إلى رؤية السماء وهي مزينة بالسحب، فكل هذه الظروف التي يعيشها الآن تدعوه للقلق والتوتر والاضطراب، ويدخل الشاعر بشيء من الوصف للطبيعة العامة المكونة لليل موسكو، فالسماء ليس فيها قمر كما اعتاد عليه الشاعر في وطنه، بل إن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد حَسْبُ، وإنما ليس في السماء نجوم، ولا شهب، هذه الملامح الوطنية لا يراها الشاعر في سماء موسكو، مما دفعه إلى الشعور بالغربة المكانية، يقول الشاعر(225):

الثلجُ يَغمرُني ليلايَ فاقتربي
روحي الفراشةَ قد تاقتْ إلى اللهبِ

(224) الزيد: آه من سطوة الفقدان آه من موت العبارة، ص: 113 - 114.
(225) خوجه: الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 222.

في البعدِ في القيدِ في الأشواق في قلقي
نفسي الحبيسةُ قد حنَّتْ إلى السحبِ
ليلايَ والليلُ في موسكو بلا قمَرٍ
والليلُ فيها بلا نجمٍ ولا شُهُبِ

والشاعر يصف ما يتعلق به قلبه، فقد يتعلق قلبه بقبرة، وقد يذوب هذا القلب وينفرط مثل صغار الشياه، فيزداد حنين الشاعر وشوقه وإحساسه بالغربة المكانية، فيحاول البحث عن مكان يأوي إليه يزيل عنه ما فيه من فرط الشعور بالغربة المكانية، فربما استعاد شيئاً مما فقده، هذا على الرغم من إحساسه العظيم بالألم، ثم يندفع الشاعر شيئًا فشيئًا إلى أصله الذي خرج منه، إلى تلك البقاع التي ما زالت تتخامر فيه، يقول الشاعر(226):

رُبَّمَا عَلِقَ الْقَلْبُ قُبَّرَةً
قَبْلَ أَنْ يَغْرَقَ الْقَلْبُ
أَوْرُبَّمَا كَادَ يَطْفُوْ
وَيَغْرَقُ فِيْ غَيْهَبِ الْغَيْمِ
أَوْ رَبَّمَا انْفَرَطَ الْقَلْبُ
مِثْلَ صِغَارِ الشِّيَاهِ
سَوْفَ آوِيْ إِلَى جَبَلٍ
رُبَّمَا أَسْتَعِيْدُ الْحَصَاةَ
سَأَتَأَلَّمُ مِثْلَ حَصَاةٍ
وَ أَدْحُوْ دِمَايَ إِلَى مَنْبَتِ الْمَاءِ
شَيْئاً
فَشَيْئاً
إِلَى الْقَاعِ
حَيْثُ الْبِقَاعِ الَّتِيْ لَمْ تَزَلْ
تَتَخَامَرُ فِيَّ

(226) با فقيه: رقيات، ص: 73 – 75.

ويزداد شعور الشاعر محمد سالم بالغربة المكانية للمدينة المنورة، فيُحمّل نسمة السحر الأخبار منها وإليها، ويطلب من العصافير التي تشدو فوق شرفته أن تحيي أهله في تلك البقعة الطاهرة من الأرض، ويسأل النجوم التي تطّلع على ما لا يطّلع عليه عن حال أهله الذين غدوا في منأى عن البصر، فالمدينة المنورة وإن بعدت عنه فإنه يهواها من كل قلبه، وكيف لا يحس الشاعر بكل هذا الحب ونبي الله – صلى الله عليه وسلم – راقد في تلك البقعة الطاهرة، يقول الشاعر[227]:

بِاللهِ يَا نَسْمَةً هَبَّتْ مَعَ السَّحَرِ مِنَ الْمَدِيْنَةِ بُثِّي اَجْمَلَ الْخَبَرِ
وَيَا عَصَافِيْرُ تَشْدُوْ فَوْقَ شُرْفَتِنَا حَيُّوا الْأَحِبَّةَ فِي الآصَالِ وَالْبُكَرِ
وَيَا نُجُوْماً اَطَلَّتْ فَوْقَ مَنْزِلِنَا كَيْفَ الْأَحِبَّةُ فِيْ مَنْأَى عَنِ الْبَصَرِ
أَهْوَى الْمَدِيْنَةَ مِنْ قَلْبِيْ وَإِنْ بَعُدَتْ فَلَمْ تَزَلْ فِيْ فُؤَادِيْ أَكْرَمَ الذِّكْرِ
وَكَيْفَ لَا وَنَبِيُّ اللهِ مَرْقِدُهُ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنْ قَلْبٍ وَمِنْ بَصَرِ

وهكذا، يظهر مما سبق أن الشاعر السعودي قد كان يعيش غربة مكانية في بعض الأحيان التي كان فيها بعيداً عن وطنه، وتمثل تلك الغربة المكانية سبيلاً لاستخراج مكنونات الشاعر النفسية التي يحس بها عندما يتذكر وطنه، وأماكن حياته التي عاشها، فيحس بتلك الغربة التي لا صلة لها إلا بقلب هذا الشاعر ونفسه.

الحنين إلى المكان الماضي:

يمثل الحنين غرضًا نفسيًا عميقًا يتجذر في نفس الإنسان، فيغدو مشتاقًا إلى ما كان من أيامه الماضية، كما تلوعه الذكريات السابقة، وهذا أمر طبيعي أن يحصل مع أي شخص سواء أشاعرًا كان أم لا، بل إن الشعراء يعانون قدرًا أكبر من هذا الحنين جراء ما يشعرون به من علاقات حميمية بينهم وبين تلك الذكريات، وجراء ما لديهم من مقدرة فنية على استخراج جميع تلك المشاعر النفسية من أعماقهم في سبيل الوصول إلى صورة فنية معبرة عما يجيش في داخل هذا الشاعر، لذا نجد بعضهم قد باح بهذا الحنين العظيم والشوق الجسيم، فهذا أبو هلال العسكري يبين أنه يشتاق إلى أرض عشيرته، ولا بد له من هذا الاشتياق، فإذا لم يشتق إلى هذا المكان فكيف إذن سيعيش؟ يقول[228]:

إِذَا أَنَا لَا أَشْتَاقُ أَرْضَ عَشِيْرَتِيْ فَلَيْسَ مَكَانٌ فِي النُّهَى بِمَكِيْنِ

([227]) سالم: الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 251.
([228]) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل: ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، د.ت، ج: 1، ص: 192.

مَـــــنَ الْعَقْــــلِ أَنْ أَشْــــتَاقَ أَوَّلَ مَنْــــزِلٍ   نَمَيْــــتُ بِخَفْــــضٍ فِــــيْ ذَارِهِ وَلِــــيْنِ

وهذا الحنين إلى الوطن أمر لا يُستغرب من الإنسان؛ إذ ورد عن النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يحن إلى موطنه الأصلي – مكة المكرمة – حين كان في المدينة المنورة فكان يسأل المارين بها عن حالها، وحال أهلها، في مزيج من الشوق والحنين إليها، فقد رُوي أنه قد مر به أحد الصحابة الآتين من مكة المكرمة فسأله النبي الكريم عن حال أهلها، فقال الصحابي الجليل: تركتهم وقد حيدوا، وتركت الأذخر وقد أغدق، وتركت الثمام وقد خاض، فانهمرت الدموع من عيني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حنينًا إلى مسقط رأسه، وموضع طفولته، ومكان أهله كل هذا يدلنا على قيمة هذا الحنين عند الإنسان(229).

ومن أبرز الأمور النفسية التي تعلق في ذهن الإنسان ما كان من ماضيه وأيام صباه، وذكريات الطفولة، فإن أيام الطفولة عند الشاعر تمثل جانبًا رائعًا في نفسه، ويبقى على تعلّق بهذه الذكريات القديمة التي ذهبت أدراج الرياح، فبيت الطفولة مثلاً يبقى مترسّخًا في ذهن الإنسان ونفسه، ويبقى هذا الإنسان مستشعرًا القيمة النفسية الكبيرة لهذا المكان الحالم، فيُظهر بعضًا من حنينه لهذا البيت، ولا يمكن للمتلقي أن يلحظ هذه التعالقية النفسية بين الشاعر والمكان إلا من خلال الصور الشعرية التي يرسمها الشاعر ضمن عمله الفني، فيتمكن من خلالها في إيجاد مجموعة العلاقات النفسية التي تربطه بالمكان الأمين عنده(230).

فهذا الشاعر سعد الحامد الثقفي يشكو الحنين المتوقد في نفسه جراء ما وقع من هجر للقرية التي عاش فيها طفولته، فتبدلت الطيور الجميلة بالغراب الذي ينعق على تلك القرى حين تركها أهلها وأخذ يعبث بأركانها، فصارت تلك البيوت الجميلة خرائب، وأخذت دموع الشاعر بالانسكاب من عينيه حين مر بها، ورأى دمنها، فتدفعه تلك الدمن إلى تذكر أحبائه الراحلين عنها الأمر الذي يدفع الشاعر إلى الشعور بالتيه والضياع، وكأنه سائر بلا بوصلة، يقول(231):

وَطُيُوْرُ الْقُرَى لَمْ تَعُدْ حِيْنَ لَمْ يَبْقَ غَيْرُ الْغُرَابِ

(229) ينظر: محجوب، سعادة سيد: وصف بيت الله الحرام في الأدب العربي، مركز جمعة للتراث والثقافة، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة، 1420هـ، 2000م، ص: 242 – 243.

(230) ينظر مثلاً: محمود. الزمان والمكان في روايات نجيب الكيلاني، ص: 146.

(231) الثقفي: بعيداً، ص: 17.

يَعْبَثُ بأَرْكَانِهَا

وَاسْتَحَالَتْ خَرَائِبَ هذِي الْبُيُوْتِ الَّتِي

تَدْمَعُ الْعَيْنُ حِيْنَ أَمُرُّ عَلَى دِمَنِهَا

ثُمَّ أَذْكُرُ أَحِبَّائِي الرَّاحِلِيْنَ

تَائِهٌ يَا أَبِي لَيْسَ لِيْ بُوْصَلَة

ويخاطب الشاعر السعودي وطنه مبرزًا جوانب الخوف عليه، والحنين إلى ماضيه، ويبين له أن ليس كل من يدعي الحب للوطن محبًا، فقد يكون ذلك محض ادعاء، ويختفي كل العاشقين للوطن أو يتناساهم من حوله، فهؤلاء الشرفاء هم الذين يدافعون عن هذا الوطن، وهؤلاء هم الذين يقضون على كل مؤامرة تُحاك ضد هذا الوطن، وهذه المشاعر الجياشة من الشاعر تجاه الوطن تدفعه إلى الخوف عليه من هؤلاء المدعين للحب، الذين لا يقدرون على الدفاع عن هذا الوطن العزيز، وإن كل ذلك يدفع الشاعر إلى الحنين والشوق إلى من يقف إلى جانب وطنه الغالي يقول[232]:

وَطَنِيْ

عَنْدَمَا بَدَؤُوا يَعْزِفُوْنَ عَلَى الْحُبِّ أَوْتَارَهُمْ

كُنْتُ وَحْدِي أُغَنِّي عَلَى مِعْزَفِك

وَوَحْدِي أَنَا كُنْتُ مَنْ ذَبَحَ الْغُولَ حِيْنَ بَدَا رَابِضًا

فَوْقَ سُوْرِ الْمَدِيْنَة

خَائِفاً كُنْتُ يَا وَطَنِي

أَتَرَقَّبُ أَنْ تَكْتُبَ الْأَرْضُ دِيْوَانَهَا فِي عُرُوْقِي

وإن من أكثر الأمور التي تدفع الشاعر إلى الحنين إلى الماضي ما كان من أيام طفولته فهو يحنّ دائمًا إلى مرابع الطفولة، خاصة إذا مر بالمنازل التي عاش فيها، وكانت طفولته ضمنها فهذا الشاعر سليمان العيسى يفشي عن حبه العظيم للمنازل التي يمر بها وهي تذكره بطفولته؛ إذ تغذّي هذه المنازل شعريته بغذاء ليس له نضوب، فتحاصره الذكريات، ويملأ قلبه الحنين، فقد عاشت تلك

([232]) الوشمي: البحر والمرأة العاصفة، ص: 7.

المنازل في دمه، ويدعوها هذا الدم فتجيبه، يقول(233):

أفـــتِّشُ عَنْهَـــا فِـــيْ رُكَـــامِ طُفُـــوْلَتِيْ جَـــدَاولَ شِـــعْرٍ مَـــا لَهُـــنَّ نُضُـــوْبُ

تُحَاصِـــرُنِيْ حِيْنـــاً طُيُوْفـــاً مُلِحَّـــةً فَتَطْفُـــوْ عَلَـــى الْأَهْـــدَابِ ثُـــمَّ تَغِيْـــبُ

مَنَـــازِلُ عَاشَـــتْ فِـــيْ دَمِـــيْ وَسَـــقَيْتُهَا نَشِـــيْدِيْ وَيَـــدْعُوْهَا دَمِـــيْ فَتُجِيْـــبُ

وهذا الشاعر سعد الثقفي مرة أخرى يبث حنينه للماضي وذكريات الوطن الطفولية من خلال خلق صورة حسية لتلك البيوت التي يهجرها أهلها، ويتركونها من غير عودة، فتلك البيوت لم تزل تنتظر رجوع أهلها إليها، وتسأل القادمين إلى سفحها عن أصحابها وأهلها أين صاروا في هذه الحياة؟ وتستغرب منهم أن الذكريات الجميلة قد هانت عليهم، هذه الذكريات الجميلة التي نُسِجت على حيطانها، وتشتاق تلك البيوت إلى كل شيء مضى مع أهلها، فهذه المعاني التشوقية والحنين إلى الماضي وذكرياته المرتبطة بالمكان كلها خارجة من عاطفة نفسية قوية حمّلها الشاعر صورة البيوت المشتاقة، يقول(234):

الْبُيُوْتُ التي هَجَرَتْهَا الْحَيَاة

لَمْ تَزَلْ تَنْتَظِرْ

لَمْ تَزَلْ تَسْأَلِ الْقَادِمَيْنَ إِلَى سَفْحِهَا

عَنْ أَحِبَّائِهَا أَيْنَ صَارُوا؟

وَهَلْ هَانَتِ الذِّكْرَيَاتُ عَلَى أَهْلِهَا؟

لَمْ تَزَلْ تَسْأَلِ الْقَادِمِيْنَ إِلَيْهَا

بِمَ نَسَجَتْهُ بِحِيْطَانِهَا الذِّكْرَيَاتُ

وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ مَضَى

ومما يزيد في حنين الشاعر إلى المكان ارتباطه بشخص عزيز عليه كالشاعر عبدالعزيز العواجي حين ربط المنزل بوالده الذي توفاه الله منذ عام، فلما تذكّر والده أحس بالحنين إلى ذلك

(233) العيسى: أنا وجزيرتنا العربية، ص: 101.
(234) الثقفي: بعيدًا، ص: 74 – 75.

المكان الذي كان يملؤه والده بالحب والحنان، فقد كان سيد الدار، ولا تزال تلك المجالس تشكو الفراغ بعد رحيله، وهي مشرعة الباب في وجه من يقصدها، فرغم من فيها من الناس والزوار إلا أنها تئن، فهي خالية ضمنيًا ما دام والد الشاعر غائبًا عنها، فكل شيء في المكان يذكر الشاعر بوالده العزيز عليه، ويُشعره بالحنين إليه، يقول(235):

يَـــا سَـــيِّدَ الـــدَّارِ مَـــا زَالَـــتْ مَجَالِسُـــهَا تَشْـــكُوْ الْفَـــرَاغَ وَأَشْـــجَاناً تُؤَرِّقُهَـــا

تَعُـــــجُّ بِالنَّـــــاسِ أَعْرَابــــاً وَذَا رَحِـــــمٍ وَبَابُهَـــا مُشْـــرَعٌ فِـــيْ وَجْـــهِ قاصِـــدِهَا

لَكِنَّهَـــا لَـــمْ تَـــزَلْ مُـــذْ غِبْـــتَ خَالِيَـــةً تَـــئِنُّ يَـــا أَبَتِـــي حُزْنـــاً مَرَابِعُهَـــا

إِذَا اخْتَفَـــتْ مِـــنْ سَـــمَاءِ الْحَـــيِّ شَمْسُـــهُمُ فَـــأَيُّ نَقْـــعِ شُـــمُوْعُ الْحَـــيِّ تَمْنَحُهَـــا

حَتَّـــى الْمَـــآذِنُ تُحْيِـــيْ الْجَـــرْحَ تَنْبُشُـــهُ اللهُ أَكْبَـــــرُ كَـــــمْ يَوْمـــــاً تُرَدِّدُهَـــــا

وبذا، فقد كان الشاعر السعودي كثير الحنين إلى مواطن الصبا، وأماكن الطفولة التي عاش فيها حياته الأولى، سواء أيضًا كان ذلك المكان أم قرية، أم مدينة أم صحراء، فإن مرابع الطفولة هي التي تبقى ماثلة في نفس الشاعر حتى بعد أن يكبر ويترعرع، كما أن الشاعر كان يحن إلى ذلك المكان الذي يرتبط بشخص ما كالمحبوب مثلاً، أو الأب والأم، فهو حين يرى ذلك المكان يتذكر ذلك الإنسان فيحس بالحنين الشديد إليه.

---

(235) العواجي: الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 402.

الفصل الرابع

قصيدة المكان

يعمد هذا الفصل إلى مجموعة من النماذج الشعرية التي أُخذت من القصائد التي تناولت المكان في الشعر السعودي الحديث، فيحللها تحليلاً فنيًا يتناسب مع تلك المعاني والدلالات التي قصدها الشعراء في حديثهم عن المكان. وفيما يأتي تحليل هذه النماذج.

النموذج الأول - من شعر محمد إسماعيل جوهرجي:

يتناول هذا النموذج مقطوعات شعرية من قصائد الشاعر محمد إسماعيل جوهرجي؛ إذ يقول[236]:

أَرْضُ الْجَزِيْـــرَةِ أَهْلِـــيْ فِـــيْ مَرَابعِهَـــا   نَبْـــتٌ مَـــنَ الْحُـــبِّ وَالْإِخْلَـــاصِ وَالْـــأَدَبِ

إِلَـــى (عَسِـــيْرٍ) بَـــدَا شَـــوْقِيْ يُغَـــالِبُنِيْ   نَحْـــوَ (السَّـــرَاةِ) إِذَا مَـــا اللَيْـــلُ أَدْلَـــجَ بِـــي

(وَحَائِـــلُ) الْعِـــزِّ اَحْلَـــامِيْ بِهَـــا ارْتَسَـــمَتْ   تُشْجِـــــيْ الْفُـــؤَادَ بِـــنَفْحٍ عَـــاطِرٍ رَطِـــبِ

أَرْضُ الْجَزِيْـــرَةِ أَرْضِـــيْ وَهْـــيَ أُغْنِيَتِـــيْ   يَزْهُـــوْ بِهَـــا الْمَجْـــدُ مُخْتَـــالاً عَلَـــى الشُّـــهُبِ

ومن خلال النظرة الأولى في هذه المقطوعة الشعرية فإنه يتبدّى لنا الانزياح التصويري واضحًا؛ إذ يؤدي الانزياح دورًا مهمًا في تكوين الصورة الشعرية، فهو قادر على أن يتمرّد على اللغة المألوفة التي اعتادها الناس في حياتهم التواصلية، وخروجًا على النظام العام التركيبي والإسنادي ضمن علاقات اللغة المختلفة، مما يخلق مجموعة من العلاقات اللا مألوفة بين عناصر الكلام ويسهم في زيادة مستوى الشعرية ضمن القصيدة، مما يزيد في انجذاب المتلقي إلى ذلك النص الشعري، ولقد بيّن جان كوهن أن هذه الانزياحات تسهم على نحوٍ كبير في إيجاد العلاقات اللا مألوفة في الشعر، مما يمنح الشعر مزيدًا من الشعرية[237].

ونلحظ هذه العلاقات اللا مألوفة التي اعتمد عليها الشاعر في بناء صورته الشعرية؛ إذ تبدو لنا في بيته الأول من خلال إيجاد تلك العلاقة الانزياحية الإسنادية التي تبدّت في قوله: أهلي في مرابعها نبتٌ، فهل الأهل في واقع الأمر نبت؟

إن واقع اللغة لا يشي بأن يكون الأهل نبت، وإنما هم بشر، غير أن الشاعر انزاح ضمن هذا

---

(236) جوهرجي: المجموعة الشعرية الكاملة لشعر الأصالة، ج: 1، ص: 233 – 234.

(237) انظر: كوهن، جان: بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي، ومحمد العمري، دار توبقال، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى، 1986م، ص: 15.

التركيب الإسنادي ليجعل الأهل نبت، مما يدل على تمسكهم بأرضهم كما تتمسك النبتة بالأرض التي زُرِعت فيها.

ومن ناحية أخرى فإن الشوق عنصر معنوي لا يمكن رؤيته أو التعامل معه، غير أن الشاعر أضفى على هذا العنصر المعنوي صفة آدمية محسوسة ألا وهي الغلبة، وذلك من حيث إضفاء صفة لا مألوفة على هذا التركيب اللغوي المألوف، فأراد أن يبين أن شوقه إلى عسير كأنه قد صار رجلاً لا يستطيع الوقوف أمام غلبته في سبيل الذهاب إلى عسير.

وهل الأرض أغنية؟

في الواقع اللغوي التواصلي لا يمكن أن تكون الأرض أغنية، وإنما يظهر ذلك من خلال العلاقات الانزياحية ضمن الشعر، فقد جعل الشاعر من الأرض أغنية، ضمن علاقة إسنادية خبرية، مما يدل على تكرار ذكر هذه الأرض ومحبتها على اللسان كما تتكرر تلك الأغنية الجميلة على اللسان.

وهل يختال المجد؟

لا يوصف المجد بالاختيال إلا ضمن علاقة الانزياح المألوفة التي يُظهرها الشاعر من خلال أشعاره، فإن المجد يختال على السحب في إشارة من الشاعر إلى ذلك الفخر العظيم بأمجاد أرضه ولو كان المجد رجلاً لاختال وافتخر بهذه الأرض، حتى إنه يصعد إلى فوق السحاب بذلك الاختيال.

ويمكن للباحث أن يجمع هذه المقطوعة الشعرية ضمن حقل دلالي واحد، ألا وهو حقل الأرض فثمة عناصر كثيرة من مكونات هذه المقطوعة تدخل ضمن هذا الحقل الدلالي؛ إذ تتشوف نظرية الحقول الدلالية إلى اعتبار أن الكلمات المتناثرة تتجمع في حقل دلالي واحد، يمثل إطارًا عامًا يجمع تحته جميع أشكال تلك المادة اللغوية؛ فالحقل الدلالي قطاع كامل من المادة يعبر عن مجال الخبرة اللغوية، إذ هو يتكون من قطاع لغوي متكامل مترابط، وهذا المجال الحقلي يعبر عن تصور لغوي ما، أو فكرة، أو خبرة معينة، ولا بد من ارتباط هذا الحقل الدلالي بمجموعة من العلاقات الناظمة له، كعلاقة الجزء بالكل، والسبب بالمسبب، والضد بالضد، وغير ذلك من العلاقات التي تنظم عملية الحقل الدلالي وارتباط عناصره مع بعضها بعضًا[(238)].

([238]) عمر، أحمد مختار: علم الدلالة، دار عالم الكتب، القاهرة ـ مصر، الطبعة الخامسة، 1998م، ص: 79.

وحين ننظر في هذه المقطوعة الشعرية فإننا نجدها تتكون من مجموعة من الوحدات الكلامية يجمع كثير منها علاقة بالأرض، وهذه الكلمات هي: الجزيرة، نبت، مرابعها، عسير – اسم منطقة وهي أرض – السراة، حائل، نفح، الشهب، فجميع هذه الوحدات الكلامية ترتبط بالحقل الدلالي "الأرض" من خلال علاقات مختلفة: فالنبات مثلاً يمثل جزءًا من الأرض، والمرابع كذلك، فهذه العلاقة تمثل علاقة الجزء بالكل، أما الشهب فهي في السماء، والسماء ضد الأرض فمن هنا تظهر علاقة الضدية بين هذا الحقل والوحدة الكلامية الداخلة ضمنه.

ومن خلال ما سلف يمكننا القول إن الشاعر ضمن مقطوعته الشعرية السابقة قد اعتمد على الانزياح في تكوين صورته الشعرية، واعتمد على الحقل الدلالي في الإيحاءات الدلالية التي أراد أن يوصلها للمتلقي؛ لأجل الوصول إلى تلك الأفكار التي تتخالج في فؤاده تجاه أرضه ووطنه.

وفي موضع آخر يقول الشاعر نفسه(239):

نُـــوْرُ الْهِدَايَـــةِ نِعْـــمَ نُـــوْرٌ يَجْتَلِـــيْ   مِـــنْ (طَيْبَـــةٍ) فِـــي السِّـــرِّ وَالْإِعْلَـــانِ

هَـــلَّ النَّبِـــيُّ كَبَـــدْرِ لَيْـــلٍ سَـــاطِعٍ   يَفْـــرِيْ دَيَـــاجِي الشِّـــرْكَ وَالْكُفْـــرَانِ

سَـــكَنَ الْمَدِيْنَـــةَ خَيْـــرَ هَـــادٍ لِلْـــوَرَى   عَـــفُّ الطَّوِيَّـــةِ طَـــاهِرُ الْأَبْـــدَانِ

اللهُ قَـــدْ بَعَـــثَ النَّبِـــيَّ مُحَمَّـــداً   يَدْعُـــوْ إِلَـــى التَّوْحِيْـــدِ لِلـــرَّحْمَنِ

إِنَّ السَّـــمَا وَالْـــأَرْضَ كُـــلٌّ آيَـــةٌ   تَحْكِـــيْ صَـــنِيْعَ اللهِ فِـــي إِتْقَـــانِ

سَـــبْعٌ رُفِعْـــنَ شَـــوَامِخاً فِـــي عِـــزَّةٍ   مِـــنْ غَيْـــرِ تَأْسِـــيْسٍ وَلَـــا بُنْيَـــانِ

أول ما يطالعنا في هذه القصيدة من ملامح فنية مكونة للصورة الشعرية ما يتعلق بالتناص، ويشير مصطلح التناص في معناه المباشر إلى تلك الاقتباسات والتضمينات المباشرة وغير المباشرة التي يوظفها الشاعر أو الأديب في عمله الفني من نصوص أدبية سابقة عليه سواء أقرآنًا كانت تلك النصوص، أم أشعارًا، أم أمثالاً، أم غير ذلك من الموروثات الأدبية الفنية السابقة عليه(240).

---

(239) جوهرجي: المجموعة الشعرية الكاملة لشعر الأصالة، ج: 1، ص: 291 – 292.

(240) هيكل، أحمد عبد المقصود: تطور الأدب الحديث في مصر، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، الطبعة السادسة، 1994م، ص: 404.

ولقد ظهر اعتماد الشاعر على هذا التناص من خلال مقطوعته الشعرية السابقة؛ إذ يلتقي قوله:

هَـــلَّ النَّبِـــيُّ كَبَـــدْرِ لَيْـــلٍ سَـــاطِعٍ   يَقْـــرِيْ دَيَـــاجِي الشِّـــرْكَ وَالْكُفْـــرَانِ

بذلك النشيد الذي أنشده الصحابة الكرام حين أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة فقالوا[241]:

طَلَـــعَ الْبَـــدْرُ عَلَيْنَـــا   مِـــنْ ثَنِيَّـــاتِ الْـــوَدَاعْ

فإن قوله: هلّ النبي، يوازي قوله: طلع البدر، فالبدر المقصود بهذه العبارة النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – وهذا تناص غير مباشر، يقوم على أساس مجيء عبارة الشاعر اللاحق مختلفة عن العبارة السابقة عليه شيئًا ما[242]، فكانت هذه العبارة "هلّ النبي" مختلفة عن عبارة: "طلع البدر"، غير أنها توازيها في المعنى مما يشير إلى تأثر هذا الشاعر بالنص السابق عليه.

ويظهر في القصيدة تناص ثانٍ في قول الشاعر:

إنَّ السَّمَـــا وَالْـــأَرْضَ كُـــلٌّ آيَـــةٌ   تَحْكِـــيْ صَـــنِيْعَ اللهِ فِـــي إتْقَـــانِ

سَـــبْعٌ رُفِعْـــنَ شَـــوَامِخاً فِـــي عِـــزَّةٍ   مِـــنْ غَيْـــرِ تَأسِـــيْسٍ وَلَـــا بُنْيَـــانِ

فهذان البيتان الشعريان يلتقيان مع آيات قرآنية كثيرة بيّن فيها سبحانه وتعالى أنه رفع السماء بغير بنيان ولا عمد، ومن بينها قوله سبحانه: "اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ"[243].

غير أن عبارة الشاعر لم تأتِ مساوية تمامًا للعبارة القرآنية، وذلك في إشارة من هذا الشاعر إلى تلك القيمة الجمالية التي يتغنى بها في السماء والأرض، فإن خلقهن لا يوازيه خلق واستطاع الشاعر أن يوظف هذا التناص غير المباشر في توصيل الفكرة إلى المتلقي من خلال عبارة فنية تناصية يمكن من خلالها استحضار ذاكرة المتلقي كي يربط بين هذا النص الشعري وبين والآية الكريمة.

([241]) انظر هذا البيت في: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب: البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1423هـ، ج: 3، ص: 282.

([242]) ينظر: هيكل: تطور الأدب الحديث، ص: 404.

([243]) سورة الرعد، آية: 2.

ومما يظهر لنا أيضًا في المقطوعة الشعرية السابقة أن الشاعر قد أفاد من آلية المفارقة الشعرية أو ما كان يطلق عليه القدماء الطباق، الذي يشير إلى وجود الكلمة وضدها ضمن النص الأدبي الواحد[244]، في حين أن المحدثين يشيرون إلى أن هذه الفكرة القديمة يمكن أن تنضوي تحت فكرة المفارقة التي تقوم على أساس من الضدية المباشرة، أو اتخاذ موقف لغوي غير متناسق في ظاهره، غير أنه في عمقه موقف متناسق، ومن بين أنواع هذه المفارقة نوع يقوم على التضاد اللغوي المباشر[245].

ولقد ظهرت هذه المفارقة المباشرة في المقطوعة الشعرية السابقة، وذلك من خلال مجموعة ليست قليلة من الكلمات، وهي: النور، ويقابلها الليل، والسر، ويقابله الإعلان، والهداية ويقابلها الشرك والكفران، والسماء، ويقابلها الأرض.

فهذه الضدية الظاهرة في المقطوعة الشعرية السابقة منحت الأبيات الشعرية مزيداً من الجمال والفنية؛ إذ يستطيع المتلقي أن يربط ما بين الضد وضديه، فجمال الشيء يظهر إذا اقترن بضده، وهذا ما أراده الشاعر بالفعل.

عمومًا فإن الشاعر يلجأ إلى المفارقة للتخلّص من الطبيعة التركيبية للغة، ولكي يصل إلى مستوى من التحليل الذي يفي برغبته في إبداعه الشعريّ؛ وذلك من أجل إنتاج تركيب لغوي خاصّ من خلال تلك الطبيعة التحليلية، وهذا كلّه يمثل نجاحًا للشاعر، علاوة على أنّ اللغة الشعرية تمنحه القدرة على ذلك، في حين أن النثر لا يصل به إلى هذا الحد من استعمال اللغة التحليلية[246].

وعليه، فإن الشاعر السعودي محمد إسماعيل جوهرجي يعتمد اعتمادًا كبيرًا على الصورة الفنية البيانية التي تجعل من التشبيهات والاستعارات سبيلاً ناجحاً لها؛ إذ يقول في موضع آخر من ديوانه[247]:

وَطَنِـــيْ الْحِجَـــازُ وَنَجْـــدُ هَامَـــةُ عِـــزِّهِ   وَعَسِـــيْرُ وَالـــدَّمَّامُ فِـــي الْحُسْـــبَانِ

كُـــلٌّ يَنَـــالُ الْحُـــبَّ قِسْـــطاً وَافِـــراً   حَاشَـــاهُ مِـــنْ نَقْـــصٍ وَمِـــنْ نِسْـــيَانِ

([244]) القزويني، أبو المعالي محمد بن عبدالرحمن بن عمر: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ج: 2، ص: 198.

([245]) ري، وليام: المعنى الأدبي من الظاهرتية إلى التفكيكية، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد - العراق، الطبعة الأولى، 1987م، ص: 210.

([246]) إسماعيل، عزالدين: الأدب وفنونه - دراسة ونقد، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ص: 77.

([247]) جوهرجي: المجموعة الشعرية الكاملة لشعر الأصالة، ج: 1، ص: 315 – 316.

إحْسَـــاؤُنَا جِسْـــرُ الْمَحَبَّـــةِ يُجْتَلَـــى وَرَبَابَـــةٌ حَنَّـــتْ عَلَـــى الرُّكْبَـــانِ

جَـــازَانُ فَـــيْضُ الْخِصْـــبِ نِعْـــمَ الْمُجْتَنَـــى خَضْـــرَاءُ تُشْبِـــهُ لَوْحَـــةَ الْفَنَّـــانِ

بَيْـــتُ الْحَضَـــارَةِ وَالْكَرَامَـــةِ وَالنُّهَـــى مِـــنْ غَـــابِرِ التَّارِيْـــخِ وَالْأَزْمَـــانِ

فإن اعتماد الشاعر على هذه الاستعارات والانزياحات ظاهر في المقطوعة السابقة؛ وذلك كي يصل إلى نتاج تصويري لا مألوف، يتلقاه المتلقي وفق خصوصية مكانية، ونموذجية تصويرية تجعل من هذا المكان موئلاً لتلك الصورة؛ إذ لا يكون الانزياح بين عنصرين لا مألوفين في اللغة والدلالة، بل لا بد أن يكون العنصر الأول عنصرًا معياريًا، والعنصر الثاني المكون لثنائية الانزياح لا مألوفًا، فمن هنا يظهر جمال هذا الانزياح، وهناك مجموعة من العلاقات التي تربط بين ثنائية هذا الانزياح من بينها: الشمولية، والجزئية، والمجال والوظيفة، والتجرد والتأثير والاطراد والانحراف، والتحليل والتفسير، واللغة والكلام[248].

وهذه الصور الانزياحية تمثلت عند الشاعر في مجموعة من العلاقات الإسنادية والتركيبية التي أخضعت المألوف من اللغة، إلى اللا مألوف من الانزياح، وتمثل ذلك في قوله: كل ينال الحب وهو يتحدث في ذلك عن المدن والمناطق السعودية والمكان السعودي ذاته، فكيف يمكن للمكان أن ينال الحب، والفعل "ينال" فعل خاص بالبشر، فليس في المكان روح يمكن من خلالها أن تدب فيه الحياة، فينال الحب، غير أن الشاعر أضفى هذه الصفة اللا مألوفة على المكان المألوف، وجعله قادرًا على أن ينال الحب منه، وهو انزياح قصد منه الشاعر إيجاد علاقة وثيقة حميمية بينه وبين المكان، فكما أنه يحب هذا المكان، فإن المكان نفسه يحس بحبه له، ويبادله مشاعره.

أما الصورة الانزياحية الثانية، فهي قوله:

إَحْسَـــاؤُنَا جِسْـــرُ الْمَحَبَّـــةِ يُجْتَلَـــى وَرَبَابَـــةٌ حَنَّـــتْ عَلَـــى الرُّكْبَـــانِ

"فالإحساء" وهو مكان ليس جسرًا، بل هو مكان مأهول بالسكان، غير أن الشاعر جعل من هذا المكان المألوف صورة لا مألوفة تمثلت في وصفه أنه جسر للمحبة، ووصفه أيضًا بأنه ربابة حنت على الركبان، وما هذا الانزياح إلا لإيجاد علاقة وثيقة بين الشاعر والمكان من جهة وإظهار من الشاعر لذلك الطرب الروحي الذي يتأتى في نفسه حين تغمره عواطف المكان الذي يعيش فيه.

(248) بحيري، سعيد حسن: من أوجه التوافق والتخالف بين البحث اللغوي والبحث الأسلوبي، مجلة الدراسات الشرقية، العدد الخامس عشر، جامعة القاهرة، مصر، 1995م، ص: 25.

وأراد الشاعر أن يربط المتلقي بالتراث التشبيهي القديم النابع من البلاغة القديمة، فأوجد صورة تشبيهية واضحة المعالم حين تحدث عن جازان، فوصفها بأنها تشبه لوحة الفنان في خضرتها فكانت أركان التشبيه ظاهرة لديه، فالمشبه جازان، والمشبه به لوحة الفنان، ووجه الشبه الخضرة وأداة التشبيه الفعل "تشبه"، والقصد من هذا التشبيه توضيح تلك الصورة التفاؤلية التي تولد في صدر الشاعر أو الناظر إلى جازان حين يراها بجمالها لوحة فنان رائعة الجمال.

أما الانزياح الأخير الذي انتهت به المقطوعة الشعرية، فهو قول الشاعر:

بَيْـــتُ الْحَضَـــارَةِ وَالْكَرَامَـــةِ وَالنُّهَـــى   مِـــــنْ غَـــابِرِ التَّـــــارِيْخِ وَالْأَزْمَـــــانِ

فقد أوجد الشاعر هذا الانزياح وفقًا لعلاقة تركيبية تمثلت في علاقة الإضافة المكونة من المضاف والمضاف إليه، وهي علاقة تركيبية لغوية نحوية، غير أن العبارة اللغوية النحوية لا يُطلب منها ما يُطلب من العبارة الأدبية، فالعبارة الأدبية تشتمل على قدر كبير من الفنية والجمال في حين أن العبارة اللغوية لا تشتمل على هذا القدر، بل حتى لا يُطلب منها أن تتسم بسمات جمالية، إنما جُلّ ما يُطلب من العبارة اللغوية النحوية التواصل بين أبناء المنظومة اللغوية الواحدة، في حين أن العبارة الأدبية يُطلب منها هذا القدر من الجمال والفنية والذوقية[249].

فهل للكرامة بيت؟ وهل للحضارة بيت؟ وهل للنهى بيت؟

في الواقع المألوف ليس للكرامة ولا للحضارة ولا للنهى بيت، وإنما يكون البيت للآدمي أو للحيوان، غير أن الشاعر أضفى صفة الإنسانية على الكرامة والحضارة والنهى، وجعل من هذه العناصر المعنوية ذات روح وحياة، بل لها بيت تعيش فيه، وتأوي إليه كلما أحست بشيء من الخوف أو البرد أو ما شاكل ذلك، فكما كان البيت رمز للراحة والطمأنينة، والدفء، والأمان والاستقرار، فإن المكان الذي يعيش فيه الشاعر تستقر فيه الكرامة والحضارة والنهى كما لو أن هذا المكان بيت لها، وقد رسم الشاعر هذه الصورة وفقًا لعناصر الانزياح التركيبي، كما هو واضح في البيت السابق.

---

(249) ويس، أحمد محمد: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2005م، ص: 120.

وفي موضع آخر يقول الشاعر[250]:

يَـــا بِلَـــادِيْ وَفِتْنَتِـــيْ وَاجْتِلَـــائِيْ	**فِيْـــكَ أهْنَـــا بِكُـــلِّ حُـــبٍّ مُطَـــالِ**
أرْسُـــمَ الشِّـــعْرَ فِـــيْ شِـــغَافِيْ غِنَـــاءً	**مُسْتَجِيْشَـــاً بِحِسِّـــهِ فِـــي اخْتِيَـــالِ**
مِـــنْ حِـــرَاءَ فَـــا صَـــوْتُ الْمُنَـــادِيْ	**يَسْـــكُبُ النُّـــوْرَ فِـــيْ غَبَـــاشِ الليَـــالِي**
جَـــاءَ نُـــوْرُ الْهُـــدَى وَالْحَـــقِّ يَـــدْعُوْ	**لِإلَـــــهٍ مُنَـــــزَّهٍ عَـــــنْ مِثَـــــالِ**
كَـــمْ أرَى النُّـــوْرَ فِـــي الْفُـــؤَادِ مُشِـــعّاً	**سَلْسَـــــلِيّاً بِوَمْضِـــــهِ كَالْهِلَـــــالِ**

بنى الشاعر مقطوعته الشعرية هذه على نظام من الانزياحات التركيبية والإسنادية شأنه في ذلك شأن سائر المقطوعات السابقة، وهذه الانزياحات نشأت عن ذلك الحب العظيم الذي يكنه الشاعر لبلاده، فتمثلت الصورة الانزياحية الأولى في حديثه عن رسمه للشعر، والشعر لا يُرسم كما أنه بيّن أن رسم الشعر ذاك واقع في فؤاده، والشعر يُكتب على الورق ولا يُرسم.

غير أن الشاعر حين أوجد هذه العلاقة اللا مألوفة بين العناصر المألوفة إنما أراد أن يبين أن شعره المكتوب في حب بلاده خارج من أعماق قلبه، فكأنه قد رُسِم في قلبه رسماً، وتغنى به شغاف قلبه تغنيًا، وليس الأمر مجرد كتابة شعرية على الورق، وهي صورة قصد منها الشاعر إظهار حبه العظيم لبلاده.

أما الصورة الانزياحية الثانية فتمثلت في قول الشاعر: يَسْكُبُ النُّوْرَ فِيْ غَبَاشِ الليَالِي فهل يُسكب النور؟ وهل غباش الليالي موضع لانسكاب شيء ما فيه؟

نظر الشاعر في هذه الصورة إلى النور وكأنه مادة محسوسة سائلة يمكن أن تُسكب والليالي ما هي إلا كأس ينسكب هذا النور فيه، فأوجد هذه العلاقة اللا مألوفة بين النور وغباش الليالي التي هي عناصر مألوفة ليبين كيف كان ماضي هذا المكان مملوءًا بالفتن والعتمة والضلال، فلما جاء الإسلام صار هذا المكان مملوءًا بالنور والهداية، فعبّر الشاعر عن هذه المعاني وفق الصورة الانزياحية السابقة.

أما الصورة التالية فتتمثل بقول الشاعر:

كَـــمْ أرَى النُّـــوْرَ فِـــي الْفُـــؤَادِ مُشِـــعّاً	**سَلْسَـــــلِيّاً بِوَمْضِـــــهِ كَالْهِلَـــــالِ**

[250] جوهرجي: المجموعة الشعرية الكاملة لشعر الأصالة، ج: 2، ص: 1255.

فقد جعل الشاعر من النور مشبهًا، والهلال مشبهًا به، ووجه الشبه الإنارة والضياء، وأداة التشبيه حرف الكاف، والغاية من هذا التشبيه بيان ضوء الهلال خافتًا في عتمة الليل مقارنة بشعاع الإيمان الخافت في ظلمة الجهل والجاهلية، وهي صورة انزياحية استطاع الشاعر من خلالها أن يبيّن فكرة ظهور الإسلام في مبدئه وسط هذه الظلامية والضبابية، من خلال صورة لا مألوفة بين الهلال وظلام الليل.

ويمكن جعل هذه المقطوعة الشعرية ضمن حقل دلالي متمثل في حقل النور أو الضياء فهناك مجموعة من الوحدات الكلامية الظاهرة في سياق الأبيات الشعرية ترتبط بهذا الحقل الدلالي ارتباطًا وثيقًا، فعناصر الكلام السابقة ما هي إلا:

- **الشعر:** وهو نور من نور العلم، لأن الشعر فن وعلم، ومن ثمّ فهو نور.
- **غباش الليالي:** وهي العتمة، والظلمة، وما هي إلا غياب للضوء أو النور، فالعلاقة الرابطة بينهما علاقة الضدية.
- **الهدى:** وما هو إلا وصول إلى طريق الصواب، والهداية نور.
- **الحق:** وهو نور أيضًا لارتباطه بالهداية.
- **مشعًا:** وهي صفة تطلق على النور أو الضوء.
- **الهلال:** وهو القمر في إحدى مراحله، يمثل ضوءًا في السماء.

يظهر من ذلك كله أن هذه العناصر التي كونت الحقل الدلالي تشير إلى أن الشاعر أراد أن ينقل للمتلقي فكرة الهداية والنور التي انبثقت من المكان الذي يعيش فيه، وهو المكان السعودي فهذا المكان رمز للنور والهداية في العالم أجمع، وما هذه الفكرة إلا وفقًا لمكونات الحقل الدلالي الذي ارتكز عليه الشاعر في نصه السابق، فإن الحقل الدلالي يعتمد على أساس ذهني بحت وارتكاز عقلي رئيس، يتمثل في بقاء الذهن مرتبطًا بفكرة دلالية واحدة، هي في ذاتها أساس الفكرة الشعرية التي يريد الشاعر توضيحها(251).

---

(251) فندريس، جوزيف: اللغة، ترجمة عبدالحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1950م، ص: 333.

وفي موضع آخر يقول الشاعر[252]:

يَــا صَــاحِبِيْ تُحِبُّهَــا حُبِّــيْ لَهَــا	مِــنْ غَــابِرِ الْأَزْمَــانِ وَالْعُهُــوْدِ
هَــلْ يَــا تُــرَى شَــمَمْتَ يَوْمــاً عِطْرَهَــا	مُضَــمَّخاً كَنَفْحَــةِ الْــوُرُوْدِ
وَهَــلْ سَــمِعْتَ طَيْرَهَــا مُغَــرِّداً	يُــذَوِّبُ الْأَلْحَــانَ فِــي النَّشِــيْدِ
وَهَــلْ عَشِــقْتَ بَحْرَهَــا وَشَــطَّهَا	وَقُلْــتَ شِــعْراً حَــالِمَ التَّغْرِيْــدِ
تِلْكُــمْ لَعَمْــرِيْ قِصَّــتِيْ فِــيْ حُبِّهَــا	مِــنْ غَيْــرِ مَــا مَــنٍّ بِلَــا حُــدُوْدِ
أَذْكَيْتُهَــا شِــعْراً بِحِــسٍّ رَاهِــفٍ	يُــوْحِيْ بِحُــبٍّ خَــالِصٍ مَنْشُــوْدِ

إن ما يلفت الانتباه في هذه المقطوعة الشعرية وجود عنصر تحليلي مهم في الشعر الحديث خاصة، والشعر عامة، ألا وهو التكرار، فهو آلية من آليات التحليل الشعري الحديث التي تكشف عن براعة الشاعر، والتكرار يختص بترديد بعض العبارات، أو الكلمات، أو الأصوات وفق نظام لغوي يظهر كما لو أنه إلحاح من قبل الشاعر على فكرة معينة، أو كلمة محددة، مما قد يمنح إمكانية الغوص في أعماق النص الشعري للوصول إلى المرتكزات الأساسية التي بنى عليها الشاعر قصيدته، كما يمكّن التكرار من التنبؤ ببعض الحالات النفسية، والأنظمة الانفعالية التي تتحكم في نفسية الشاعر وطبيعته الانفعالية، مما يقود في نهاية المطاف إلى استكناه جوهر النص الشعري، ومن ناحية أخرى فليس التكرار شرطاً في تنظيم القصيدة الشعرية، بل هو مكون اختياري من مكونات الجمال التي يعمد إليها الشاعر من أجل تحقيق درجة متفوقة من درجات الفن ضمن ذلك النص الشعري، فالتكرار مكون جمالي تحسيني ضمن القصيدة الشعرية، وليس عنصرًا قسريًا عليها[253].

وما كرره الشاعر في مقطوعته السابقة ما هي إلا عبارات أراد أن يرتكز عليها في فكرته العامة فقد كرر في طيب سؤاله عن شم عطرها، وعن طيرها المنشد، وعن عشق بحرها وشطها، فهذا التكرار الاستفساري من الشاعر ما هو إلا تقرير لحقيقة عشقية يراها في بلاده – المكان – وهذه الحقيقة تتمثل في طيب رائحتها، التي تعبق من سالف الأزمان، وحسن تغريد طيرها ونشيده البارع، وعظم عشقه لها، فكل هذه الأشياء التي استفسر عنها الشاعر ما هي إلا حقائق نفسية في

(252) جوهرجي: المجموعة الكاملة لشعر الأصالة، ج: 2، ص: 1374، 1377.
(253) مفتاح، محمد: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، دار التنوير، بيروت - لبنان، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى، 1985م، ص: 39.

روحه أراد أن يمنحها مزيدًا من المصداقية من خلال عرضها بطريقة فنية تكرارية، ألحّ فيها على الاستفهام في محاولة لاستجلاء الإجابة من فم المتلقي ذاته، فهو لا يريد أن يقدم للمتلقي المعلومة على طبق من ذهب، بل يريد منه أن يصل إليها من خلال إجابته عن هذه الأسئلة التي طرحها.

وتظهر صورة المكان عند الشاعر على أنه محبوبة تتمتع بعطرها اللذيذ، هذا العطر المضمخ كأنه عطر الأزهار والورود والرياحين، فهو في غاية المحبة في النفس، ومن ناحية أخرى فقد أورد الشاعر صورة فنية أخرى متمثلة بتذويب الطير ألحانها كأنها مادة قابلة للذوبان في النشيد، وهذا النشيد يمثل سائلاً تذوب فيه الألحان.

إن هذه الصور الشعرية التي أتى بها الشاعر ما هي إلا عناصر انزياحية بنى عليها الشاعر فكرته التي أراد توصيلها للمتلقي، فأتى بعناصر مألوفة لدى المتلقي، وأسبغ عليها بعضاً من العناصر اللا مألوفة، مما خلق نوعًا من التناقض الظاهري الذي يقود إلى تعميق الصورة ومن ثم تحسينها.

تضمنت الصفحات السابقة نموذجًا شعريًا من أشعار الشاعر محمد إسماعيل جوهرجي الذي رأينا فيه اهتمامه بالصورة الشعرية ومكونات العمل الفنية عند حديثه عن المكان، وغالبًا ما كان يعتمد على الانزياح كحالة لا مألوفة من التراكيب والعلاقات بين المفردات المختلفة، ليصل في نهاية الأمر إلى الهدف الدلالي المنشود، في حين أنه لم يُغفل أبدًا الجوانب الفنية الأخرى المتعلقة بالتناص والمفارقة والتكرار.

النموذج الثاني- من أشعار عبدالعزيز محيي الدين خوجه:

ويتناول هذا النموذج مقطوعات شعرية من ديوان الأعمال الكاملة للشاعر عبد العزيز محيي الدين خوجه؛ إذ يقول في إحداها[254]:

مَنْ قالَ عَالَمُكَ الرَّدَى

بَلْ عَالَمِيْ

وَهَرَبْتُ أحْمِلُ لَوْعَتِيْ

وَبِدَاخِلِيْ هَرَمُ النَّدَى

وَضَمَمْتُ كَالْمَجْنُوْنِ أطْيَافَ الرُّؤَى عَبْرَ الزَّمَان

([254]) خوجه: الأعمال الشعرية، ص: 412.

فَيَدٌ تُعَانِقُ أَوْبِئَتِيْ

وَيَدٌ تُرَبِّتُ فِيْ حَنَان

وَأَنَا أُقَبِّلُ ذَا الْمَكَانَ

وَذَا الْمَكَانَ وَذَا الْمَكَانَ

وَشَمِيْمُ رُوْحِكَ يَا أَخِيْ (عَدْنَانُ) يَطْفَحُ كُلَّ آن

لقد قال الشاعر عبدالعزيز هذه القصيدة يرثي بها أخاه "عدنان" كما ظهر لنا من خلال النص السابق، فأبدع الصورة الفنية بتقنياتها المختلفة ليوصل إلى القارئ تلك الأحاسيس الجياشة التي تتفجر في نفسه، وتمثلت تلك الحالة النفسية المريرة التي يعانيها الشاعر من خلال تلك الانزياحات اللامألوفة التي بنى عليها مقطوعته الشعرية، فقد هرب الشاعر من عالمه، يحمل لوعته، فكأن هذه اللوعة أمر مادي محسوس، يستطيع الإنسان أن يحمله، والحقيقة أن اللوعة لا تُحمَل، وإنما تكمن في النفس الإنسانية، وما هذا إلا إشارة من الشاعر إلى عِظَم تلك اللوعة التي تجيش في نفسه، فهي لشدتها وعظمها صارت كأنها شيء مادي محسوس يمكن للشاعر أن يحمله بيديه.

ومن ناحية ثانية فإن أطياف الرؤى لا يمكن رؤيتها أو ضمها، غير أن الشاعر من خلال الانزياح التركيبي عبّر عن لوعته تلك بأن ضمّ أطياف تلك الرؤى، فأوجد هذه العلاقة اللا مألوفة من خلال تلك العناصر المألوفة، وهدف الشاعر من هذا الانزياح توضيح شدة الحالة النفسية التي يعانيها؛ إذ صارت الرؤى التي تجول في خاطره كأنها أشياء حقيقية، وأجسام محسوسة، يضمها إلى صدره في إظهار لقيمتها الكبيرة عنده.

أما الصورة التالية فهي صورة اليد التي تُعانق الأوبئة، فليست الأوبئة شيئًا ماديًا يمكن معانقته، ولا اليد بدورها تستطيع العناق، غير أن الشاعر صرّح بهذه العلاقة بين اليد والأوبئة وهي إشارة منه إلى أن هناك ممن حوله من يقف إلى جانبه، ويحاول أن يخفف عنه مصابه الجلل ومما يؤكد ذلك أنه قال بعدها: ويد تربت في حنان.

كما اعتمد الشاعر في مقطوعته السابقة على التكرار اعتمادًا واضحًا، ويظهر تكراره في الكلمات الآتية:

عالم: كررها مرتين، وفي المرتين ارتبطت بالموت والردى، وهذا تأكيد من الشاعر لهذه الفكرة التي تقلقه ألا وهي فكرة الموت.

يد: وتكررت مرتين، وارتبطت في كلتا المرتين بالحديث عمّن يقفون إلى جانبه في محنته تلك، وهذا إلحاح من الشاعر على فكرة المواساة التي يجب أن تُقدم لكل مُصاب، فإن لها دورها في التخفيف عنه.

ذا المكان: وتكررت ثلاث مرات، وسُبقت في المرة الأولى بالفعل "أقبل"، وهذا الفعل تماشى مع المرتين التاليتين بأداة العطف، وهي إشارة عميقة من الشاعر أن للمكان أثره البالغ في تعميق حزنه وأساه على فقدان أخيه، فكلما نظر في تلك الأمكنة تذكر ما كان قد حصل فيها من أحوال ومواقف، فزاد ذلك في لوعته، فمن هنا كرر هذه الوحدة الكلامية، وألحّ على هذه الفكرة العميقة.

ومن ناحية ثانية فثمة عنصر موسيقي يدلنا على تلك الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر ألا وهو تلك التوازنية التي ظهرت في مجموعة من الكلمات المشتملة على صوت "ـان"، وهو ما سماه البلاغيون القدماء بالجناس، وهو ما يتعلق بتشابه لفظين في أصواتهما، فإذا كان التشابه تامًا مع اختلاف في المعنى كان الجناس تامًا، أما إذا كان اللفظان فيهما اختلاف في شكل الحروف، أو عددها، أو حركاتها، أو ترتيبها، فالجناس ناقص، ويسهم الجناس في إيجاد الموسيقى الداخلية في الكلام(255).

وهذه الكلمات التي تحمل جرسًا موسيقيًا واحدًا، هي: الزمان، المكان، حنان، آن، عدنان فكلها كما نرى تنتهي بالألف والنون، وهذا العنصر الموسيقي أسهم إسهامًا مباشرًا في تعميق إحساس الشاعر بالحزن على فقد أخيه، مما جعله في حالة لا إرادية يورد الكلمات التي تنتهي باللاحقة الصوتية التي ينتهي بها اسم أخيه، وهي الألف والنون، فالكلمات: الزمان، المكان، حنان آن، كلها تنتهي باللاحقة الصوتية الموسيقية نفسها التي ينتهي بها الاسم "عدنان".

وفي موضع آخر يقول الشاعر(256):

يَـــــا بِلَـــــادِيْ تَلَقَّـــــــتَ الثَّقَلَـــــانِ   كَبُـــــرَ الْمَجْـــدُ فَـــوْقَ هَـــامِ الزَّمَـــانِ

وَارْتَـــدَى الْـــأُفْقُ هَيْبَـــةَ مَـــنْ يُنَـــادِ   نِـــيْ، هَلُمُّـــوا هَـــذَا السَّـــنَا عُنْـــوَانِي

فَأَنَـــا فِــــيْ ذُرَى الْمَجَـــرَّاتِ نُـــوْرٌ   وَسِــــــــرَاجٌ لِمُجْمَـــــــلِ الأَكْـــــــوَانِ

أَيُّ يَـــوْمٍ يَـــا مَكَّتِـــيْ هَـــلَّ بِشْـــراً   وَتَبَاهَــــــتْ سَــــــاعَاتُهُ وَالثَّــــوَانِي

---

(255) الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتحقيق: مصطفى الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ص: 325.

(256) خوجه: الأعمال الشعرية، ص: 443 – 444.

إن أول ما يطالعنا في هذه المقطوعة الشعرية ما اعتمد عليه الشاعر من الانزياح فلم يكن بعيدًا عن هذه المقطوعة، فإن الأفق لا يرتدي شيئًا، غير أن الشاعر أوضح لنا في مقطوعته السابقة أن الأفق قد ارتدى الهيبة، فليس الأفق مرتديًا، وليست الهيبة مرتداة، غير أن الشاعر أوجد هذه العلاقة اللا مألوفة بين الأفق والهيبة كي يبين أن جميع أرجاء الكون قد تباهت بوطنه وبلاده، خاصة إشارته إلى مكة المكرمة في البيت التالي، فهيبة الأفق نابعة من هيبة هذا الدين؛ لذا وصف الشاعر الأفق بأن السنا عنوانه.

واستطاع الشاعر بهذا الانزياح التصويري أن ينقل إلى المتلقي شعوره العميق بالهيبة والثقة في بلده، والدليل على عظم هذه الهيبة استشعار الأفق بها، وإحساسه بأنها رداء له.

ويُلحظ أيضًا وجود حقل دلالي مهم في صياغة المعنى العام لهذه المقطوعة، ألا وهو حقل النور كما أُشير إليه سابقًا، فالكلمات: السنا: وهو نفسه النور، والنور، والسراج: وهو موضع يخرج منه النور، هل: وهو فعل يدل على ظهور الهلال، والهلال موضع نور في هذا الكون.

ويقول الشاعر في موضع آخر[257]:

قسَمًا برَبِّ الْبَيْتِ فِيْ هَذَا الْبَلَدْ

قسَمًا وَمَا أدْرَاكَ مَا هَذَا الْبَلَدْ

قسَمًا بخَالِقِ مَجْدِهِ

فِيْ قُرْبِهِ أحْيَا الْمُنَى

فِيْ بُعْدِهِ ألْقى الْكَمَدْ

أهْلِيْ بِمَسْجِدِهِ وَكُلُّ الطَّائِفِيْنَ

الْخَاشِعِيْنَ الرَّاكِعِيْنَ وَمَنْ سَجَدْ

وَهُنَا الْمَآثِرُ كُلُّهَا تَتْلُوْ عَلَى الـ

ـأكْوَانِ مَجْدًا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحَدْ

([257]) خوجه: الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 481.

وظاهر من خلال الأسطر الشعرية السابقة اعتماد الشاعر على التناص اعتمادًا كبيرًا في بناء صورته الشعرية، فقد تأثر في مطلع هذه المقطوعة بقوله سبحانه وتعالى: "لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ"[258].

وهو تأثر واضح من الشاعر بالآية القرآنية الكريمة، وهذا التأثر ماثل في النواحي اللفظية والنواحي المعنوية، فقد بنى الشاعر عبارته الشعرية على أساس من الآية الكريمة، وهذا التأثر بالقرآن الكريم محمود للشاعر؛ إذ من واجب الأديب أو الناقد المحافظة على تلك الموروثات الأدبية المتميزة التي وصلت إليه، خاصة إذا كانت هذه الموروثات تتمتع بفنية عالية، وتقنية متميزة، علاوة على قيمتها التداولية بين الناس، فالقرآن الكريم مثلاً من أكثر النصوص تداولاً بين الناس، لذا فمن السهولة بمكان أن يجذب الشاعر إليه الأسماع حين يُضمِّن قصيدته تناصًا قرآنيًا[259].

والشاعر من خلال هذا التناص استطاع أن يمنح المقطوعة الشعرية مزيدًا من الجمال ومزيدًا من الفنية والترابطية مع نص أدبي سابق عليه يمتاز بالجودة والفنية العالية، كما لم يكتفِ الشاعر بهذا التناص، وإنما مزجه بتناص ثانٍ تمثل في قوله: وما أدراك ما هذا البلد، فكثيرًا ما يرد هذا التركيب اللغوي في كتاب الله تعالى، كقوله مثلاً: "وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ"[260]، وقوله كذلك: " وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ"[261]، وقوله كذلك: " وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ"[262].

إذ يأتي هذا التركيب في كتاب الله تعالى ليبين هول المُتكلم عنه، فأمر الحاقة أمر عظيم، وأمر يوم الدين كذلك، وأمر صقر – جهنم – كذلك الحال؛ لذا جاء هذا التركيب القائم على بنية استفهامية ليمنح المتلقي مزيدًا من الشعور بقيمة هذا الشيء الذي يتكلم عنه -سبحانه وتعالى- ضمن آياته الكريمة، وكذلك الحال عند الشاعر؛ إذ أراد أن يوضح للمتلقي تلك القيمة الكبيرة والأهمية العظيمة التي يختص بها هذا البلد دون سائر البلدان، فما كان منه إلا أن جاء بهذا التركيب القرآني كي يتحدث عن بلده ذاك، ويستفيد من الدلالات التناصية التي يمنحها إياها النص القرآني ذاته.

ولمّا كان بناء النص مبتدئًا من آلية التناص، فإن الشاعر استطاع أن يوظف تلك الآلية مرة أخرى في مقطوعته تلك، وهي حالة من الربط الفني بين عناصر النصوص المتأثّر بها؛ إذ يقول:

أَهْلِيْ بِمَسْجِدِهِ وَكُلُّ الطَّائِفِيْنَ

الْخَاشِعِيْنَ الرَّاكِعِيْنَ وَمَنْ سَجَدْ

---

(258) سورة البلد، آية: 1.
(259) انظر: هايمن: النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ج: 1، ص: 151.
(260) سورة الحاقة، آية: 3.
(261) سورة المدثر، آية: 27.
(262) سورة المرسلات، آية: 14.

ويلتقي هذا النص مع قوله سبحانه وتعالى: "الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ"(263).

وهو تأثر قرآني واضح من الشاعر، أراد أن يربط به تلك السمات الدينية التي يتسم بها المكان السعودي من خلال ربطه أساسًا بالنص القرآني ذاته، وسمات المؤمنين؛ إذ تمكن من هذا الربط والتأثر من إيجاد تلك العلاقة الفنية المتميزة التي منحت النص مزيدًا من الجودة والفنية.

والشاعر أيضًا لم يُغفل بعض الجوانب الفنية التي تختص بالتضاد بين الألفاظ والمعاني؛ إذ من خلال هذا التضاد يصنع مفارقة بسيطة ظاهرية، تمكّنه من تعميق العلاقات الفنية بين التراكيب والجمل، ومنح العبارة الشعرية مزيدًا من الجودة في سبيل لفت انتباه المتلقي إلى بعض العناصر الكلامية التي يريد الشاعر إيصالها إليه(264).

وتظهر تلك المتضادات اللفظية والمعنوية في مقطوعة الشاعر بقوله: قربه: وضدها: بعده، أحيا: وضدها: ألقى، فهذا التضاد يمنح النص شيئًا من العمق، فحين يتلقى المتلقي فكرة مرتبطة بالقرب ثم يتلقى فكرة أخرى متعلقة بالبعد فإنها تجعله متأملاً بتلك المتضادات التي تظهر ضمن عمله الأدبي، وتمنحه مزيدًا من الجودة والتحسين.

وأخيرًا، فإن الشاعر لم يبتعد عن الصورة الفنية المهمّة في هذه المقطوعة الشعرية، ألا وهي الصورة الانزياحية، فقد جعل من المآثر كلها تتلوا المجد، والواقع أن المآثر لا تتلوا شيئاً ولا يمكنها أن تتكلم أصلاً، غير أن الشاعر انزاح بهذه الدلالة إلى معنى يختص بالبشر، ألا وهو معنى التلاوة، في إشارة منه إلى أن هذا المكان ومن يسكنه مليء بجميع أشكال المآثر الحميدة التي تنبئ عن المجد التليد لهذا المكان.

ومن ناحية أخرى فقد اهتم الشاعر بإيجاد الموسيقى اللفظية التي تمنح النص مزيدًا من الجمال وذلك بإدخاله عددًا من الألفاظ الجناسية التي منحت النص موسيقى رائعة، مثل الكلمات: البلد سجد، يُعد، يُحد، والكلمات: مجده، ومسجده، والكلمات: الطائفين، الراكعين، الخاشعين، فهذا التوازن الموسيقي الظاهر في هذه المقطوعة الشعرية استطاع أن يمنحها شيئًا من الجمال والفنية بما يخدم المعنى الذي يريد الشاعر إيضاحه للمتلقي.

---

(263) سورة آل عمران، آية: 17.
(264) إسماعيل: الأدب وفنونه ـ دراسة ونقد، ص: 77.

ومن خلال ما سبق يتضح أن هذا النموذج من الشعراء السعوديين لم يختلف عن النموذج السابق من استعماله لجميع الآليات الفنية ضمن عباراتهم الشعرية، والإفادة من تلك الآليات للوصول بالمعنى إلى القدر المطلوب.

النموذج الثالث- من شعر عبدالله بن صالح الوشمي:

وفيما يأتي سيورد الباحث نموذجًا شعريًا من شعر عبدالله بن صالح الوشمي، يقول فيه[265]:

يَا سَيِّدِيْ الرَّمْلُ فِيْ كَفِّيْ وَفِيْ كَبِدِيْ — حَدِّقْ سَتُبْصِرُ فِيْ عَيْنِيْ حَبِيْبَاتِيْ

فِي الرَّمْلِ سِرِّيْ وَأَشْوَاقِيْ وَأَشْرِعَتِيْ — وَفِيْكَ يَا مَوْجِيَ الرَّمْلِيِّ ثَارَاتِي

تَقُوْلُ شَيْئاً لَقَدْ قُلْتُ الَّذِيْ عَجِزَتْ — عَنْهُ الْحَضَارَاتُ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ آتِ

اقْرَأْ – لَكَ الْمَجْدُ – سَطْراً مِنْ حَضَارَتِنَا — وَقُمْ فَإِنِّيْ غَرِيْقٌ فِيْ مَدَارَاتِي

أَخُطُّ فِي الرَّمْلِ شِعْرِيْ ثُمَّ أَسْكُبُ فِيْ — حُرُوْفِهِ مَا وَعَاهُ الرَّمْلُ مِنْ ذَاتِي

هَذَا التُّرَابُ رَحِيْقُ الْأَرْضِ مَا أَحَدٌ — يَمَسُّهُ دُوْنَ أَنْ يَرْوِيْ رِسَالَاتِي

وظاهر لنا منذ البداية الأولى للمقطوعة الشعرية اعتماد الشاعر على آلية الانزياح في رسم صورته الشعرية، فالرمل ليس سيداً، ولا يمكنه التحديق، ولا الإبصار أصلاً، ولكن هذه الصفات الإنسانية أراد الشاعر أن يخلعها على الرمل في صورة انزياحية كي يبين للمتلقي أن علاقته بهذا الرمل تجاوزت حدها، حتى إنها صارت كعلاقة الإنسان بالإنسان؛ إذ يستطيع الشاعر مخاطبة هذا الرمل، والطلب منه أن ينظر إليه، ويفهم ما يريده، وهو ما أكده في بيته الثاني حين بيّن أن في الرمل سره وأشرعته، وثاراته.

إن العلاقة التي تجمع الشاعر بالرمل علاقة وثيقة وطيدة، فهو قد جعله صفحة من صفحات المجد التي يخط عليها قصائده وشعره، حتى يصير الشعر سائلاً على صفحة هذا الرمل فيسكبه ما وعاه الرمل من ذاته، فهذا الشعر السائل صار الرمل له وعاء، وما هذا الانزياح إلا تعبير عميق عن تلك العلاقة الوطيدة بين الشاعر والمكان الذي يعيش فيه، فالرمال التي تغطي مكانه ذاك ما هي إلا وعاء يسكب فيه شعره، والرمل هو الملهم لديه، كما أنه الصديق الذي يخاطبه ويتحدث إليه ويطلب منه أن يحدق فيه، ويفهم كل ما لديه.

---

(265) الوشمي: البحر والمرأة العاصفة، ص: 15 – 16.

ثم إن الشاعر شبّه التراب بالرحيق، وشبه الأرض بالزهور؛ إذ ليس هناك رحيق إلا في الزهور وهذا التشبيه نابع من طبيعة المحبة العظيمة التي يكنها الشاعر لهذا التراب، وتلك الأرض، حتى صار ينظر إليها على أنها رحيق لتلك الزهور، وهذا التشبيه التصويري أراد منه الشاعر أن يصور التراب في صفحة الأرض، بالرحيق في جوف الزهرة، فكما أن الزهرة جميلة ورحيقها لذيذ، فالأرض – المكان – جميلة، وترابها لذيذ كأنه الرحيق.

ومن ناحية أخرى فإن الحضارة لا توصف بالعجز، هذا في إطار الكلام اللغوي الحقيقي، أما حين تدخل هذه العبارة ضمن إطار الانزياح، فإن جماليتها تظهر؛ فالحضارة التي عجزت عن الإتيان بمثل حضارة الشاعر، تمثل عجز الإنسان الذي يحاول أن يُضارع حضارة الشاعر، فهذا الانزياح منح المعنى مزيدًا من العمق؛ إذ به استطاع الشاعر أن يبين تميّز حضارته على سائر الحضارات، وعدم مقارنتها بأي منها.

كما يظهر في المقطوعة السابقة "الأنا" عند الشاعر؛ إذ لا يكاد تخلو هذه المقطوعة من الإشارة إلى الأنا، ومن تلك الوحدات الكلامية التي ارتبطت بالأنا عنده: كفي، كبدي، عيني سيدي، حبيباتي، سري، أشواقي، أشرعتي، موجي، ثاراتي، إني غريق، مداراتي، شعري، ذاتي رسالاتي.

إن هذا التركيز على "الأنا" ضمن المقطوعة الشعرية السابقة ما هو إلا إشارة من الشاعر إلى أن هذه الأرض، وهذا المكان يمثل شخصيته هو، كما يمثل شخصية كل إنسان يعيش عليه فكما أن هذا الرمل موضع لحياته، فإنه يمتلك كل شيء فيه، ومتصرف بكل شيء في هذا المكان وهي إشارة من الشاعر إلى تلك العلاقة الوثيقة الوطيدة التي امتازت بها حياته ضمن هذا المكان الرملي، وشعور بالتملك لذلك المكان؛ إذ كما رأينا فإن ياء المتكلم كانت ماثلة في أكثر أبيات هذه المقطوعة، وهي مضافة في أكثرها إلى الأسماء، مما يدل على معنى التملك والحيازة، وهو المعنى الذي أراد الشاعر أن ينقله إلى المتلقي.

النموذج الرابع- من شعر سعد الحامد الثقفي:

يتناول هذا النموذج مقطوعة شعرية للشاعر سعد الحامد الثقفي، يقول فيها[266]:

كُنْتُ أَسْأَلُهَا عَنْ عَذَارَى غَدِيْرِ الْبَنَات

وَعَنْ سَاحَةٍ كُنْتُ أَقْنُصُ فِيْهَا طُيُوْرَ الْحَمَام

(266) الثقفي: بعيدًا، ص: 61 – 62.

جَاوَبَتْنِي الْمَدِيْنَةُ والرِّيْحُ تَعْصِفُ وَالْبُيُوْتُ تَسَامَقَ بُنْيَانُهَا

حِيْنَمَا ظَلَّلَتْنِيْ بَأَسْوَارِهَا

سَأَلْقَاكَ يَا وَلَدِيْ حِيْنَ يَؤُوْبُ الْمَسَاءُ

وَيَلْسَعُكَ الْبَرْدُ

سَتَأْتِيْ إلَيَّ مُنْكَفِئاً

سَتَنَامُ عَلَى سَاعِدِيْ فَرِحًا

كَيْفَ أصْبَحْتَ طِفْلاً

آهٍ يَا وَلَدِيء كَمْ غُلَاماً ثَكَلْتُ

وَطِفْلاً وَلَدْتُ

فَرَّقَتْنَا السُّنُوْنُ وَهَا أَنْتَ

تَأْتِيْ إلَيَّ مُعْتَذِرًا

ادْنُ مِنِّيْ

سَأُخْرِجُ مِنْكَ الْوَجَعَ

سَأُخْرِجُ مِنْكَ الْوَجَع

يبدأ الشاعر قصيدته هذه بصورة فنية معتمدة على عناصر الانزياح التركيبي، فها هو يخاطب المدينة ويسألها كما لو أنها امرأة تسمع سؤاله، وتفهم معنى هذا السؤال، ويطلب منها الإجابة، يسألها عن الفتيات اللواتي كن على غدير المياه، وعن تلك الساحة التي كان يقنص فيها الحمام، ثم كلمته المدينة نفسها، فليست المدينة تتكلم، غير أن الشاعر استخدم آلية الانزياح كي يصل إلى هذه الصورة التي تظهر فيها المدينة كأنها امرأة، تخاطبه عما كان منه، وكيف ازداد في صدره الحنين.

ويظهر الانزياح مرة أخرى في قول الشاعر: حين يؤوب المساء، فكأن المساء رجل مسافر، وسيعود في لحظة ما، هذه الأوبة التي يعودها المساء كعودة المسافر عن أهله، فالمساء لا يعود؛ إذ هو لا يحمل صفات البشرية التي يمكن من خلالها القول بأنه يؤوب، غير أن الشاعر خلع على هذا

المساء بعض صفات الآدميين في محاولة منه لإيجاد صورة انزياحية تقوم على أساس من التركيب، ينقل من خلالها بعضًا من أفكاره العميقة التي يسعى إلى إيصالها إلى المتلقي.

كما ظهرت الصورة الأخرى التي يظهر فيها البرد لاسعاً، فهل يلسع البرد؟

في واقع الحال إن الشاعر قد انزاح بفكرة لسع البرد إلى كائن حي يستطيع أن يلسع الإنسان، وهذا الانزياح قد منح العبارة الشعرية مزيداً من الجمال، فقد استطاع أن يوظف ما هو مألوف للوصول إلى ما هو غير مألوف، فالبرد مألوف في واقعه، في حين أن لسعه ليس مألوفًا فاستطاع بذلك أن يستفيد من هذه الفكرة اللامألوفة للوصول إلى صورة فنية شعرية متميزة.

وظّف الشاعر هذه الصور الانزياحية للوصول إلى معانٍ أكثر عمقًا من تلك التي يمكن أن يسردها سردًا مباشرًا على أسماع المتلقي؛ إذ إن الانزياح قادر على منح العبارة عمقًا وفنية أكثر من تلك العبارة اللغوية المباشرة.

ونجد الشاعر قد كرر بعض الألفاظ في سبيل الإلحاح على فكرتها، مثل جملته: سأخرج منك الوجع، فقد كررها مرتين، في إشارة منه إلى ما وقع في نفسه من وجع لما جرى لهذه المدينة التي يعيش فيها؛ إذ تغيرت أحوالها، وتبدلت أمورها، فصارت إلى أسوأ مما كانت عليه في السابق، فعاد الشاعر إلى طفولته الحالمة في تلك المدينة، وتذكر ماضيه، مما ولّد في نفسه الوجع وليس أحد يقدر على استخراج هذا الوجع منه سوى تلك المدينة التي عاش فيها من قبل.

ومما سبق يتضح أن الشاعر السعودي قد تفنن في صياغة الصورة الشعرية التي ارتبطت بالمكان فاستخدم كثيرًا من الآليات الفنية التي منحت نصه الشعري مزيدًا من الجمال والإتقان الفني كالانزياح، والمفارقة، والتشبيهات، والتكرار، والتناص، فهذه كلها مكّنته من إيجاد قصيدة مكانية متميزة بفنها الرفيع، وحسها الإبداعي البديع.

الخاتمة

ولما كانت نتائج البحث العلمي موازية للجهد المبذول فيه، فقد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

ولمّا كان المكان محملاً بالأبعاد الاجتماعية فقد ظهرت تلك الأبعاد في أشعار الشعراء وبدا أثر المكان واضحًا في كثير من الأحيان، فكثير من الشعراء رقت أشعارهم لمّا انتقلوا من البادية موضع الخشونة والصلابة، إلى المدينة موضع الرقة واللطف واللين، فأدى ذلك بهم إلى رقة في الشعر، ولطف في المعاني، ولين في الألفاظ.

وكما يحمل المكان مجموعة من الأبعاد الاجتماعية فإنه يحمل أيضًا مجموعة من الأبعاد النفسية، ويرى الباحث أن تلك الأبعاد النفسية أكثر ظهورًا في شعر الشعراء؛ وذلك نتيجة لارتباط الجوانب النفسية بأشكال العاطفة المختلفة، ومن هنا فإن أكثر الملامح الشعرية ناشئة من هذه الجوانب النفسية العاطفية، إن أكثر الأبعاد النفسية التي تظهر في شعر الشعراء حين يتحدثون عن المكان تتمثل في الشوق والحنين والود، خاصة إذا كان الحديث عن المحبوب أو الوطن، فإن المكان يحمل أثرًا عظيمًا في نفس الشاعر إذا ارتبط بهذه الأبعاد.

ولقد كانت نظرة الشاعر السعودي متفقة مع نظرة أغلب شعراء العربية تجاه المدينة في مقابل الريف والقرية، فالشاعر السعودي يفضل القرية والريف بما فيهما من راحة وطمأنينة وسكون وهدوء على حياة المدينة المزدحمة بالصخب والضجيج، غير أن هذا الموقف من المدينة عند الشاعر السعودي لم يكن دائم الحضور، فقد نجد بعض الشعراء ينظرون إلى المدينة السعودية وحتى غير السعودية نظرة متفائلة، طموحة، مملوءة بالحب والمودة، ويربطونها ببعض ملامح الحب والوئام بينهم وبين عناصر ذلك المكان، ويكثر في شعر شعراء السعودية التصريح بأسماء المدن التي يتحدّثون عنها، وخاصة عندما يتحدثون عن المدينة من ناحية إيجابية وبمنظور متفائل.

وقد ظهر الشاعر السعودي عاشقًا للمدينة في بعض الأحوال، ومفتخرًا بها في أحوال أخرى، كما ظهرت المدينة امتدادًا دينيًّا لمكة المكرمة والمدينة المنورة؛ولم يصرّح الشاعر السعودي بالمقارنة الواضحة بين المدينة والقرية، ولكن الأوصاف التي أثبتها للقرية دلّت على موقفه المضادّ من المدينة، فإنه حين ينظر إلى القرية على أنها جنة الأحلام، وأنها سبيل الراحة، فهذا ضمنيًا يعني أنه ينظر إلى المدينة على أنها موضع الصخب والاغتراب، وحياة التمزّق والضياع، كل هذا وإن لم يصرّح به الشاعر فإنه كان واضحاً من طبيعة نظرته إلى القرية، وطبيعة حديثه عنها.

وقد تحدّث الشاعر السعودي عن الصحراء بوصفها بيئته، وبوصفها أصله، وبوصفها تراثه، فمن حيث هي بيئته عاش فيها، ومن حيث هي أصله كان آباؤه وأجداده يحيون فيها، ومن حيث هي تراثه عاش فيها العرب الأوائل، وتغنوا بجمالها ورونقها، وكانت فيها محبوباتهم.

إن الشاعر دائم التذكّر لتلك الصحراء حتى وهو بعيد عنها، يعيش في بعض الدول الأوروبية كما ظهر عند الشاعر الذي حنّ إلى الصحراء حين كان في موسكو وأثقلته الثلوج وغاب عنه القمر والنجوم، فاشتاق إلى تلك الليالي المقمرة في بيئته الصحراوية في الجزيرة العربية.

ولم يكن وصف الصحراء عند الشاعر السعودي مقتصرًا على الجوانب المادية الحسية حَسْبُ، بل تعدّى ذلك إلى بعض النواحي المعنوية النفسية، فقد وصفها حسيًا وماديًا بالحديث عن رمالها وجوها، ونباتها، وخيمتها، وإنسانها، ومطرها، ووصفها من الناحية المعنوية من فتحدّث عن عاداتها وتقاليدها، وقيمها، وشدتها، وقساوتها، فقد كان وصف الشاعر للصحراء شاملاً لأكثر نواحيها مثولاً عند أهلها ومن يعرفها.

إن حديث الشاعر السعودي عن الصحراء حديث افتخار وتمجيد وعشق لا حديث تثاقل وتقليل من شأنها ومكانتها، فرغم كل هذه الحداثة والتطور العلمي الحديث تبقى مكانة الصحراء محفوظة لدى الشعراء، ويبقى تعلّقهم بها كبيراً لا تغيّره الأوقات والأزمان.

وقد كان الشاعر السعودي يعتمد في حديثه عن الجوانب الاجتماعية ضمن البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها على طبيعة تلك العلاقة القائمة بين الأهل والإخوان، وقد اهتم بوصف تلك الحياة الاجتماعية التي يعيشها ضمن بيئته الصحراوية أو الريفية أو حتى المدنية، فيصف حالات الانسجام الاجتماعي وتناغم المجتمع مع بعضه بعضًا، كما يصف طبيعة تلك الحياة الاجتماعية التي يعيشها، وكيفية سير الحياة اليومية في ظل وجود بعض المعتقدات الاجتماعية الكثيرة كالقهوة العربية، والنار والربابة، والخيمة ومعاني البطولة والافتخار بحياة العروبة.

وقد ارتكز الشاعر السعودي في وصفه للمكان الديني في حياته التي يعيشها ضمن أمكنته الدينية المقدسة على جوانب مكونات ذلك المكان، وقيمته التاريخية، وربط هذا كله بمشاعر القداسة والإيمان والرحمة، كما ركّز الشاعر في حديثه عن وصف المكان على قضايا مبعث رسالة الإسلام السمحة، وانطلاق الدعوة الإسلامية من هذا المكان، وبيان أن هذه البقاع الطاهرة تمثل مهبط الوحي، ومرقد الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – علاوة على ذلك الوصف النابع من طبيعة قدوم المسلمين إلى هذا المكان المقدس من كافة الأقطار والأمصار.

إن الشاعر السعودي حين تحدث عن هذا المكان المقدس ارتكز في طبيعة حديثه على بعض جوانب الحب والهيام، وبيان أن العشق لا يكون للنساء حَسْبُ، بل إن المسلم يعشق أرضه المقدسة، ويهيم بها، كما ركّز الشاعر السعودي في حديثه عن جوانب الحب والهيام على بيان تلك الخصوصية التي تمتاز بها تلك المحبوبة، فهي ليست كسائر المعشوقات، وإنما هي معشوقة من نوع آخر تتميز بقيمتها العظيمة، ومكانتها الكبيرة عند جميع الناس، وليس الأمر حكرًا على شخص واحد بعينه.

وافتخر الشاعر السعودي بالقيمة العظيمة لهذه الأمكنة المقدسة في بلاده، وبيّن موقعها من نفوس الخلائق كلها، كما افتخر هذا الشاعر بافتداء هذه الأماكن الدينية المقدسة بالمهج والأرواح ومقدار اهتمام الناس من حولها بهذه الأمكنة الدينية العظيمة، وبيّن الشاعر السعودي أن مناط الافتخار بهذه الأمكنة المقدسة اشتمالها على مواضع شريفة، كالكعبة الغراء، وقبر النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – والروضة الشريفة، وهكذا من الأمكنة المقدسة التي احتواها هذا المكان المقدس.

كما ارتبط المكان السعودي عند الشعراء بالنواحي السياسية المتعلقة بجوانب الفخر والتغني بأمجاد الوطن، ومن أبرز جوانب الحديث عن القضايا السياسية ما يتمثل في الحديث عن أمجاد الوطن وبطولاته، وشجاعة أبنائه، واقتدار جيشه، وبيان تلك الأعياد الوطنية التي من شأنها أن تكون سبيلاً للفخر والابتهاج لدى أهالي هذا الوطن، لما لهذه الأعياد والمناسبات الوطنية من أثر في إذكاء ذكريات البطولة التي تعبق في نفوس أهل هذا الوطن الكبير.

وكان الشاعر السعودي يعيش غربة مكانية في بعض الأحيان التي كان فيها بعيدًا عن وطنه وتمثل تلك الغربة المكانية سبيلاً لاستخراج مكنونات الشاعر النفسية التي يحس بها عندما يتذكر وطنه وأماكن حياته التي عاشها، فيحس بتلك الغربة التي لا صلة لها إلا بقلب هذا الشاعر ونفسه.

كما تفنن الشاعر السعودي في صياغة الصورة الشعرية التي ارتبطت بالمكان، فاستخدم كثيرًا من الآليات الفنية التي منحت نصه الشعري مزيدًا من الجمال والإتقان الفني، كالانزياح والمفارقة والتشبيهات، والتكرار، والتناص، فهذه كلها مكّنت هذا الشاعر من إيجاد قصيدة مكانية متميزة بفنها الرفيع، وحسها الإبداعي البديع.

المراجع

أولاً: الدواوين الشعرية:

با فقيه، علي (2007)، **رقيات**، ط (1)، الرياض: النادي الأدبي بالرياض.

بهكلي، أحمد يحيى (1412، 1992)، **أول الغيث**، الطبعة الأولى، الرياض: النادي الأدبي بالرياض.

الثبيتي، محمد (2009)، **الأعمال الكاملة**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الانتشار العربي.

الثقفي، سعد الحامد (2013)، **بعيدًا**، الطبعة الأولى، الرياض: النادي الأدبي بالرياض.

جوهرجي، محمد إسماعيل (2011، 2012)، **المجموعة الشعرية الكاملة لشعر الأصالة** الطبعة الأولى، جدة: فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية.

خوجه، عبدالعزيز محيي الدين (2014)، **المجموعة الشعرية الكاملة**، الطبعة الأولى، الرياض و بيروت: منشورات ضفاف.

دغريري، علي رديش (1430، 2009)، **بين الزحام**، الطبعة الأولى، السعودية: نادي جازان الأدبي.

الزيد، عبدالله (2009): **آهٍ من سطوة الحرمان آهٍ من موت العبارة**، الطبعة الأولى، النادي الأدبي بالرياض، الرياض.

ابن زيدون: **ديوانه**، تحقيق: علي عبد العظيم، الطبعة الأولى، القاهرة، 1957.

السالم، أحمد بن عبدالله (1418، 1997) **ديوان بوح الخاطر**، الطبعة الأولى، السعودية.

السالم، أحمد بن عبدالله (1433، 2012) **ديوان عندما كنت هناك**، الطبعة الأولى، الرياض: دار المفردات للنشر والتوزيع.

سالم، خالد محمد أحمد (2013) **المجموعة الشعرية الكاملة**، الطبعة الثانية، الرياض: مطابع الحميضي.

السيد، أحمد: زجاج (1435، 2014) **ديوان شعري**، الطبعة الثانية، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل: **ديوان المعاني**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الجيل، د.ت.

العشماوي، عبدالرحمن صالح (1433، 2012)، **على قمم النصر**، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع.

العشماوي، عبدالرحمن صالح (1427هـ، 2006م)، **يا أمة الإسلام**، الطبعة الثالثة، الرياض: مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع.

العواجي، إبراهيم بن محمد (1420، 1999)، **الأعمال الشعرية الكاملة**، الطبعة الأولى الرياض: دار المداد للنشر والتوزيع.

العيسى، سليمان (2008)، **أنا وجزيرتنا العربية**، الطبعة الأولى، الرياض: النادي الأدبي بالرياض.

الغامدي، سعد بن عطية (1423، 2003)، **إلى العرين شامخاً**، الطبعة الثانية، الرياض: مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع.

كتوعه، أحمد (2008)، **كما أشاء**، الطبعة الأولى، الرياض: النادي الأدبي بالرياض.

الكندي، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث: **ديوان امرئ القيس**، اعتنى به وحققه: عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1425هـ، 2004م.

الوافي، إبراهيم (2008)، **وحيدًا من جهة خامسة**، الطبعة الأولى، الرياض: النادي الأدبي بالرياض.

الوشمي، عبدالله بن صالح (2002)، **البحر والمرأة العاصفة**، الطبعة الأولى، بريده: نادي القصيم الأدبي.

ثانياً: المصادر والمراجع:

إبراهيم، زكريا (1968) ، **دراسات في الفلسفة المعاصرة**، الطبعة الأولى، مصر: مكتبة مصر.

إبراهيم، نبيلة (1990)، خصوصيّة التشكيل الجمالي للمكان في أدب طه حسين، **مجلة فصول** المجلد التاسع، (العددان: الأول والثاني).

الأزرق، أبو الوليد محمد بن عبدالله، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، الطبعة الأولى، تحقيق (رشدي الصالح ملحس)، دار الأندلس للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.

إسماعيل، عزالدين. **الأدب وفنونه - دراسة ونقد**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر العربي.

اعلاوي، نزيه محمد، والسواعير، علي عودة (2013)، صورة المكان في مقامات بديع الزمان الهمذاني، **المجلة الأردنية في اللغة العربيّة وآدابها**، (العدد الثاني، والعدد التاسع).

باختين، ميخائيل (1990)، **أشكال الزمان والمكان في الرواية**، ترجمة: يوسف حلاق، دمشق: منشورات وزارة الثقافة.

باشلار، جاستون (1980)، **جماليات المكان**، ط (1)، ترجمة: غالب هلسا،، بغداد: دار الحرية للطباعة.

بحراوي، حسن (1990)، **بنية الشكل الروائي**، الطبعة الأولى، بيروت: المركز الثقافي العربي.

بحيري، سعيد حسن (1995)، من أوجه التوافق والتخالف بين البحث اللغوي والبحث الأسلوبي **مجلة الدراسات الشرقية**، (العدد الخامس عشر)، جامعة القاهرة، القاهرة.

البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل: **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية، بالإضافة إلى ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى 1422هـ.

بدوي، عبده (1984)، الغربة المكانية في الشعر العربي، **مجلة عالم الفكر**، (العدد العاشر).

البليهشي، محمد صالح (1402)، **المدينة اليوم المدينة المنوّرة في القرن الخامس عشر** الطبعة الأولى، المدينة المنورة: نادي المدينة الأدبي.

البليهشي، محمد صالح، **هذه بلادنا المدينة المنوّرة**، الطبعة الأولى، المدينة المنورة: نادي المدينة الأدبي، د.ت.

التتنجي، محمد (1993)، **المعجم المفصّل في الأدب**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.

الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل (1417، 1997)، **لباب الآداب**، الطبعة الأولى، تحقيق: (أحمد حسن لبج)، بيروت: دار الكتب العلمية.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (1423)، **البيان والتبيين**، الطبعة الأولى بيروت: دار ومكتبة الهلال.

الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبدالعزيز: **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، الطبعة الأولى تحقيق (محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي)، مصر- القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، د.ت.

الجندي، علي (1412، 1991)، **في تاريخ الأدب الجاهلي**، الطبعة الأولى، بيروت: مكتبة دار التراث.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت 393) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، الطبعة الرابعة، تحقيق (أحمد عبد الغفور عطار)، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، 1407هـ 1987م.

حافظ، صبري (1986)، الحساسية الجديدة واستخدامات المكان الأدبية، **مجلة أقلام**، العددان: (الحادي عشر، والثاني عشر).

حبيبي، إيميل (1999)، بناء المكان في سداسية الأيام الستة، الطبعة الأولى، **مجلة علامات في النقد**، بيروت: دار الفلاح للنشر والتوزيع.

حسين، خالد حسين (1421، 2000)، **شعرية المكان في الرواية الجديدة**، الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية.

حسين، عبدالرزاق (1434، 2013)، **مكة المكرمة في عيون الشعراء العرب**، الطبعة الثانية بيروت: مؤسسة الانتشار العربي.

حور، محمد (1989)، **الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي**، الطبعة الثانية، دبي: دار القلم.

الخركوشي، أبو سعد عبدالملك بن محمد بن إبراهيم (1424هـ)، **شرف المصطفى**، الطبعة الأولى مكة المكرمة: دار البشائر.

خضير، شيماء جاسم (2011)، ثنائيات المكان في شعر أبي نواس دراسة تحليلية، **مجلة كلية التربية الأساسية**، الجامعة المستنصرية، العدد (التاسع والستون).

خليف، يوسف: **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، الطبعة الرابعة، القاهرة: دار المعارف.

أبو داهش، الدكتور عبدالله بن محمد (شعبان: 1412)، رأي في تحديد بداية نهضة الشعر السعودي المعاصر، **مجلة الحرس الوطني**، العدد: (5114).

الدرابسة، محمود (1415، 1995)، أثر البيئة الطبيعية في الشعر عند النقاد العرب، **مجلة جامعة أم القرى**، السنة الثامنة، العدد (العاشر)، مكة المكرّمة.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: **جمهرة اللغة**، الطبعة الأولى، تحقيق (رمزي منير البعلبكي) دار العلم للملايين، بيروت،، 1987م.

ري، وليام (1987) **المعنى الأدبي من الظاهرتية إلى التفكيكية**، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز الطبعة الأولى، بغداد: دار المأمون للترجمة والنشر.

الزهراني، يحيى أحمد (1425)، **الصحراء في الشعر العربي السعودي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية.

السخاوي، أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد (1414، 1993) **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.

الشايب، أحمد (2003م) **الأسلوب**، الطبعة الثانية عشرة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

الشنطي، محمد صالح (1431هـ، 2010) **في الأدب العربي السعودي وفنونه واتجاهاته ونماذج منه**، الطبعة الخامسة، حائل: دار الأنـدلس للنشر والتوزيع.

الشوابكة، محمد (1991)، دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمن منيف، **مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات**، (العدد التاسع)، الأردن.

شوقي ضيف، أحمد شوقي عبدالسلام: **الأدب العربي المعاصر في مصر**، الطبعة الثالثة عشرة القاهرة: دار المعارف.

الشيباني، أبو عمرو (1422هـ، 2001)، **شرح المعلقات التسع**، تحقيق وشرح (عبد المجيد همو)، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

ابن الضياء، أبو البقاء محمد بن أحمد بن الضياء: **تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف**، الطبعة الأولى، تحقيق: علاء إبراهيم، وأيمن نصر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 1424هـ، 2004م.

عباس، إحسان (1978م)، **اتجاهات الشعر العربي المعاصر**، الطبعة الأولى، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

عبدالرحمن، عفيف (1987)، **الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثًا**، الطبعة الأولى بيروت: دار الفكر.

العبيدي، حسن (1987)، **نظرية المكان في فلسفة ابن سينا**، الطبعة الأولى، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية.

عثمان، اعتدال (1998)، **إضاءة النص قراءات في الشعر العربي الحديث**، الطبعة الثانية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

العضايلة، محمد إبراهيم ورّاد (2003)، **المكان الأردني دراسة في الشعر الأردني المعاصر** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الكرك - الأردن.

العطوي، مسعد بن عيد (1427) **الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية**، الطبعة الأولى، الرياض.

العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله: **إعراب لامية الشنفرى**، تحقيق: محمد أديب عبدالواحد جمران، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ 1984م.

العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبد الله: **شرح ديوان المتنبي**، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى د.ت.

عمارة، السيد أحمد: **دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق**، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة المتنبي.

عمر، أحمد مختار (1998)، **علم الدلالة**، الطبعة الخامسة، القاهرة: دار عالم الكتب.

أبو غالي، مختار علي (1995)، المدينة في الشعر العربي المعاصر، **سلسلة عالم المعرفة** الكويت، العدد (196).

فندريس، جوزيف (1950)، **اللغة**، الطبعة الأولى، ترجمة عبدالحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية.

فهمي، ماهر حسن (1970)، **الحنين والغرابة في الشعر العربي**، الطبعة الأولى، بيروت: معهد البحوث والدراسات العربي.

ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري: **الشعر والشعراء**، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1423هـ.

القزويني، أبو المعالي محمد بن عبدالرحمن بن عمر: **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى: **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، الطبعة الأولى، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

كوهن، جان (1986)، **بنية اللغة الشعرية**، الطبعة الأولى، ترجمة (محمد الولي، ومحمد العمري)، الدار البيضاء: دار توبقال.

محجوب، سعادة سيد (1420هـ، 2000)، **وصف بيت الله الحرام في الأدب العربي**، أبو ظبي: مركز جمعة للتراث والثقافة.

محمود، وجدان يعكوب (2011)، **الزمان والمكان في روايات نجيب الكيلاني**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة العراقية، بغداد، العراق.

المصلح، أحمد (1996)، الهم الإنساني في الشعر العربي في الأردن، مصطفى وهبي التل "عرار" أنموذجاً، **الشعر في الأردن وموقعه من حركة الشعر العربي، أوراق ملتقى عمان الثقافي الخامس**، عمان - الأردن.

المغربي، حافظ (1427)، **شعرية المكان المقدس، دراسات في الشعر السعودي**، الرياض: النادي الأدبي بالرياض.

المغيض، تركي (1989م)، جماليات المكان في شعر عرار، **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات** السنة الرابعة، العدد (الثاني)، الأردن.

مفتاح، محمد (1985)، **تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)**، الطبعة الأولى، بيروت: دار التنوير.

المقري التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، الطبعة الأولى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1997م.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي المصري الإفريقي: **لسان العرب**، الطبعة الثالثة دار صادر بيروت، 1414هـ.

النصير، ياسين (1980)، **الرواية والمكان**، الطبعة الأولى، بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام.

النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج: **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، د.ت.

الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى: **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ضبط وتدقيق وتحقيق (مصطفى الصميلي)، المكتبة العصرية، بيروت.

هايمن، ستانلي أدغار (1960)، **النقد الأدبي ومدارسه الحديثة**، الطبعة الأولى، ترجمة (إحسان عباس)، بيروت: دار الثقافة، بالتعاون مع مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر.

هيكل، أحمد عبد المقصود (1994)، **تطور الأدب الحديث في مصر**، الطبعة السادسة، القاهرة: دار المعارف.

الواعظ، رؤوف (1974)، **الاتجاهات الوطنية في الشعر العربي الحديث**، الطبعة الأولى بيروت: دار الحرية للطباعة والنشر.

ويس، أحمد محمد (2005)، **الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية**، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

اليافعي، نعيم (1997)، **أطياف الوجه الواحد، دراسات نقدية في النظرية والتطبيق**، الطبعة الأولى، دمشق: مطبعة اتحاد الكتاب العرب.

PLACE IN MODERN SAUDI POETRY IN THE LAST TWO DECADES

1990 - 2010

By

Naif Manwer Alanezy

Supervisor

Dr. Mohamed Ahmed Alqdah, Prof.

ABSTRACT

Studies dealing with the subject **of** the place in Saudi talk of 1990 m / 1411 --2 010 m Hair / 1431، showing a look Saudi poet to the place where he lived on one side and the ocean by the other; This study aims to Toda h intended to place language and idiomatically and a statement that the psychological and social this business dimensions، in addition، it aims to highlight the most important social and political connotations and psychological and religious place in Saudi modern poetry.

The study Ahtzt footsteps methodological c descriptive and analytical; The study concluded that the place holds social dimensions linking generally and poet writer، especially those aspects of social associated with this place، and also holds the place a range of social dimensions it holds also a range of psychological dimensions the researcher believes that the psychological dimensions more visible in the poetry of poets; as a result of a link psychological aspects of various forms of passion، here it is the more poetic features emerging from these psychological aspects of emotional، And that the more the psychological dimensions that appear in the poetry of poets، while talking about the place is the longing and nostalgia and affection، especially if

you talk about or beloved homeland، the place holds a great impact in the same poet if this was associated dimensions. Saudi poet was based in describing the religious place in his life that live in the holy took places on the sides of the components of that place، and historical value، and link all this with feelings of holiness، faith and compassion، as the poet in his speech focused on description of the place on the source of the message of Islam tolerant issues، and the start of the call Islamic of this place، and that this statement represents the Bekaa pure revelation، and the shrine of the Holy Prophet - peace be upon him - It also has been associated with Saudi place when poets and political aspects related Aspects of pride and sing the glory of the nation، and the most prominent talk about political issues، what is to talk about the glories of the nation and heroic encouraged lighter sons aspects، and the potency of his army، and a statement that national holidays that would be a way of pride and jubilation among the people of this country، Saudi poet has mastered in the formulation of the poetic image associated with the place، use a lot of technical mechanisms that gave the text a more poetic beauty and technical perfection.